

العدد الثالث - السنة الاولى
رمضان ١٣٩٧هـ - اغسطس ١٩٧٧م

الفصل

مجلة ثقافية شهرية





الفصل

بسم الله الرحمن الرحيم

العدد الثالث - السنة الأولى
رمضان ١٣٩٧هـ - أغسطس ١٩٧٧م

رئيس التحرير
علوي طه الصافي

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن دار الفصل الثقافية

هذا العدد

ص	من كتاب هذا العدد
٤	الاسلام .. دين انتصار
٦	علوي طه الصافي
٨	الاسلام .. وشهر الصوم
٨	د. عبدالله التركي
١٢	محمد أبا حنيي .. وحوار
١٧	شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام
١٧	د. عبدالله عقيل
	عقاري
٢٤	حركة الاستشراق .. ما لها .. وما عليها
٢٤	د. عبدالله الطيب
٣١	كلمة عن كتاب سبويه
٣٥	الجزيرة .. ثاني مدينة بناها المسلمون
٣٥	مدينة .. وتاريخ
٥٢	عندما يظول السفر (شعر)
٥٢	احمد بهكلي
٥٤	أول سيرة نبوية
٥٤	د. فاروق أبو زيد
٦١	العالمية .. في الأدب
٦١	علي شلش
٦٥	حاجتنا الى الثقافة البليغة
٦٥	د. عبد العزيز أبو زنادة
٦٨	مدن في السعودية تشغل بالطلاقة الشمسية
٦٨	د. عبد احسن صالح
٧٤	زيد .. الخبر
٧٤	عبد العزيز الرفاعي
٧٦	التراث العربي الاسلامي المروي
٧٦	عمر عيّن خضر
٩١	الصحراء .. رحلة تاريخ طويل
٩١	موضوع خاص
١٠٧	أخبارهم
١١١	مشكلات النوم
١١١	ترجمة محمد فكري
	أنور
١١٨	شهر رمضان
١١٨	شكري العائني
١٢٥	الشاعر .. في مدينة الاحياء (شعر)
١٢٥	بدر توفيق
١٢٦	الكتابة العربية .. تاريخ وفكر
١٢٦	محمد عبدالله مليباري
١٣٠	الجامعة المقنونة
١٣٠	محمد فحي
١٣٤	مقومات شخصية الأدب
١٣٤	د. بدوي طيانة
١٣٩	تششتي (قصة قصيرة)
١٣٩	لويجي بيراندولو
١٤٦	النجمة (أفصوصة)
١٤٦	د. نادية كامل
١٤٩	الدراما التلفزيونية
١٤٩	انعام محمد علي
١٥٢	المسابقة
١٥٥	دائرة المعارف
١٦١	كتب وردت للمجلة

** تعيش الامة الاسلامية على امتداد خريطة العالم، شهرا وراء شهر، حتى يبدور الزمن دورته ويحيي شهر رمضان، شهر الصوم، وشهر البر، وشهر الخيرات، والشهر الذي نحيي فيه ليلة القدر، التي هي خير من الف شهر، فتحلو التوبة والرجوع الى الله سبحانه وتعالى، انه شهر القرآن، والقرآن كلام الله، وهو المعجزة التي حملها رسوله محمد بن عبدالله، هاديا ومبشرا ونذيرا ورحمة للعالمين.



** صحراء عربي الامس، هي صحراء البخل والجلمل والخيمة، وصحراء عربي اليوم هي آبار البترول وآليات المدينة الحديثة، وموقف الشموخ الدولي، والصحراء عند الفنان لوحة متكاملة بألوانها الصارخة، وظلالها العبقريّة، وهي عند العلماء وفي قواميس اللغة شيء غير هذا كله، فما نعرفه وما لا نعرفه عن الصحراء، تستطيع ان تطلعه في صفحات هذا العدد.



** عبقريّة الحضارة العربية كنعن للنهضة، كتاب جديد حقاً، جديد سواء في شكله او في مضمونه، وجديد ايضا سواء في هدفه او في فكرته، وجديد بعد هذا كله سواء فيمن اصدره وانفق عليه او فيمن اهدي اليه هذا الكتاب، فما هي نواحي الجدة ؟ وما هو الجديد في هذا الكتاب ؟ الاجابة على صفحات هذا العدد.





الدكتور عبد العزيز حامد
أبو زنادة

- ولد بمحبة في سنة ١٩٤٥ م.
- حصل على درجة البكالوريوس في الأحياء من جامعة الرياض في سنة ١٩٦٣
- حصل على درجة الماجستير في الأمراض النباتية والأحياء الدقيقة من جامعة مينسوتا بالولايات المتحدة الأمريكية
- حصل على درجة الدكتوراه في التراكيب الدقيقة للبروتينات النباتية من جامعة درم ببريطانيا في سنة ١٩٧١.
- له العديد من الأبحاث المنشورة في مختلف المجالات العلمية العالية والمحلية كما شارك في تأليف وترجمة عدد من الكتب والمراجع
- استاذ مساعد ورئيس قسم علم النبات - بكلية العلوم - جامعة الرياض .. ورئيس الجمعية السعودية لعلوم الحياة.



الدكتور عبدالله الطيب

- من مواليد السودان عام ١٩٢١ م
- دكتوراه في موضوع الأدب العربي من بريطانيا
- عمل في معهد التربية في السودان فعميدا لكلية الآداب بجامعة الخرطوم .. فديرا للجامعة نفسها.
- قام بتأسيس جامعة عبدالله باريو في كاثو (نيجيريا).
- عضو عامل في مجمع اللغة العربية.
- صدرت له ثلاثة دواوين شعرية.



من كتاب هذا العدد



الدكتور عبدالله عبد المحسن
التركي

- من مواليد «حرة» بالملكة العربية السعودية عام ١٣٥٩ هـ.
- دكتوراه من كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر عام ١٣٩٤ هـ.
- تنقل في عدة وظائف تعليمية .. مدرسا .. ففشا .. فعميدا لكلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية .. ثم وكيفا بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ..
- مؤلفاته المطبوعة: «مجل أسباب اختلاف الفقهاء» «أصول مذهب الإمام أحمد بن حنبل»
- وشغل حاليا منصب مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

جلال العشري

* ولد في مصر بالهجرة
الكبرى عام ١٩٣٩م.
* ليسانس آداب - قسم
الفلسفة - جامعة
القاهرة.

* عمل بالصحافة .. كان
سكرتيرا لتحرير مجلة
«الفكر المعاصر» .. ثم
مديرا لتحرير مجلة
«المجلة» .. ومجلة
«الشعر».

* يعمل حاليا ناقدا ادبيا
وقيا بمجلة الاذاعة
والتلفزيون .. واستاذ
محاضرا بالمعهد العالي
للفنون المسرحية ..
والمعهد العالي للنقد
الفني.

* له عدة ترجمات من
الادب الغربي في
الادب والمسرح.
* وله مجموعة من الكتب
المطبوعة في الآداب ..
والنقد المسرحي من
تأليفه.



عبد العزيز الرفاعي

* من مواليد مكة المكرمة
عام ١٣٤٢هـ.

* خريج المعهد العلمي
السعودي في مكة
المكرمة.

* تنقل في عدد من
الوظائف الحكومية ..
وحاليا يعمل في مجلس
الوزراء

* له نشاط ادبي واسع في
الصحافة السعودية
اصدر سلسلة «المكتبة
الصغيرة» التي صدر منها
الى الآن ٢٠ جزء .. في
الشعر .. والدراسة
الادبية والتاريخية ..

بعض هذه الاجزاء من
تأليفه .. والبعض الآخر
لمفكرين وادباء آخرين
* يستقبل في منزله اسبوعيا
عددا من الادباء
السعوديين .. وغيرهم
من الادباء العرب في
ندوة ادبية.

بدر توفيق

* ولد بالمنايا في مصر عام
١٩٣٤م.

* تخرج في كلية الآداب
بجامعة عين شمس
حيث درس الادب
الانجليزي، ثم واصل
دراساته في الادب
الالمانى، والعلوم
المسرحية لمدة اربعة
اعوام بجامعة كولون
بألمانيا الغربية.

* يعمل حاليا مترجما بدار
أخبار اليوم.

* صدر له ديوان «القباع
الأحراس الصلدة» عام
٦٥. وديوان «قيامه
الزمن المفقود» عام
١٩٦٨ ومسرحية
اذاعية بعنوان «مأساة
أدونس» عام ٦٩.

* كما نشرت له عدة
دراسات في نقد الشعر
بمجلات الكتاب
والآداب والمسرح
والبرنامج الثاني باذاعة
القاهرة، ونشرت
قصائده منذ عام ٦٢
بالاهرام والجمهورية
وروز اليوسف والشعر.



الدكتور بدوي طبانة

* من مواليد مصر - محافظة
المنوفية عام ١٩١٤م.

* دكتوراه في الادب العربي
- النقد الأدبي والبلاغة.

* تنقل في مراكز مختلفة في
التدريس الجامعي ..
مدرسا .. فاستاذا مساعدا

.. فاستاذ .. فاستاذ كرسي
.. فريسا لقسم البلاغة

والنقد الأدبي .. والادب
المقارن في كلية دار العلوم

بجامعة القاهرة.
* شارك في عدد من المؤتمرات

العلمية .. ومؤتمرات
الأدباء العرب.

* انتدب استاذًا في كلية
آداب جامعة بغداد ..

وكلية التربية بجامعة
طرابلس .. ويعمل حاليا

استاذًا للدراسات العليا في
كلية اللغة العربية بجامعة

الإمام محمد بن سعود
الاسلامية بالرياض.

* له ١٨ مؤلفا في فنون
الأدب والمعرفة الانسانية ..

والتحقيق .. وله كتابان
نحت الطبع.

الإسلام ..

لم يأت الإسلام لجماعة معينة من البشر لها صفاتها «العرقية» .. و «العنصرية» .. بل جاء لكل الناس عربا .. وأعاجم .. أيضا .. وسودا .. وهم أمامه سواسية .. «الناس سواسية كأسنان المشط» .. وهو مع هذه السواسية .. أفرد أهل التقوى .. وأهل الصلاح .. والداعين إلى الخير بالفضل .. وهذا الفضل حق للعربي .. وللأعجمي .. كما أنه حق لصاحب السلطان وإجاءه .. وللإنسان الفقير العادي «لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى» .. ولهذا كان «بلال» وهو عبد حبشي أحد صحابة الرسول الكريم .. و (سلمان الفارسي) من أهل البيت «سلمان منا أهل البيت» .. قال تعالى في كتابه العزيز «يأيتها الذين آمنوا انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم».

« » وهذه الشمولية .. والمساواة انتصار يحققه الإسلام للإنسان.

والإسلام لم يكن تشريعا «مرحليا» تحكمه أطر زمان .. ومكان محددين .. بل جاء منخطبا هذه «الاقليمية» .. متجاوزا كل «الأزمة» .. جاء لكل زمان ومكان.

« » وهذه العالمية .. تأتي متكاملة لصفة الشمولية والمساواة .. وهي انتصار آخر للإنسان في مواجهة رياح المتغيرات .. والمفاجآت .. والتزعجات .. والتسلط الفردي.

وقواعد الإسلام جاءت منظمة لكل جوانب الحياة .. فهي لم تهتم بالجانب الروحي على حساب الجانب المادي .. ولم تركز على العبادات دون المعاملات .. فكان الإسلام بهذا التنظيم حقا دين عمل .. وعبادة .. وعقيدة دين .. ودنيا .. اعلم لديناك كأنك تعيش ابدا وأعمل لآخرتك كأنك تموت غدا .. « فالإسلام دعوة عامة للحياة والأخرة .. اعطى للعبادات الروحية التي تنظم العلاقة بين الإنسان وربّه حقها .. كما أعطى للمعاملات المادية التي تنظم العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان حقها أيضا.

والإسلام بتنظيماته وتشريعاته المختلفة حفظ للمسلم حريته .. وصان عرضه وماله من الاعتداءات .. ووفر له من خلالها حياة الاستقرار والأمن والطمأنينة التي يفتقدها غيره.

هذه «الموازنة» الرائعة عجزت عن تحقيقها كل التشريعات «الوضعية» لأنها تشريعات العقل البشري الخجول بالحدودية .. والقصور .. بينما الإسلام تشريع الخالق المطلق العارف بمصالح كل الناس «يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور» وهي موازنة فيها انتصار للإنسان ضد الظلم الذي تلحقه به التنظيمات الوضعية المغيرة لمصلحة الأقلية .. والفرقة .. والحكومة بالاهواء .. والزعزعات والتغيرات المكانية والزمانية.

والدين الإسلامي يقوم على أركان خمسة «الشهادة .. الصلاة .. الزكاة .. صوم رمضان .. والحج» هذه الأركان هي أروع انتصار

ين انتصار

بصنام :
علوي طه الصافي

يحققه الاسلام للانسان.

فالشهادة بان الله وحده لا شريك له . وان محمدا رسوله هو انتصار ضد عبودية الانسان لأخيه الانسان .. وضد أية عبودية أخرى «بشرية» كانت ام «شيطانية».

لقد جاء الاسلام .. والانسان تحكمه مجموعة من الحجارة الصماء .. هذه الحجارة كانت تمثل عددا من الآلهة يعبدونها .. ويقدم لها القرابين والنذر .. يخشى ضررها .. ويرجو نفعها في الوقت الذي كانت هذه الآلهة من صنع يديه .. وقد صنع بعضها من القمر حتى اذا ما جاع أكلها .. كما ان بعضها المصنوع من الحجارة كانت الثعالب تبول عليه .. قال شاعرهم:

لقد خاب من بالت عليه الثعالب

أرب يبول الثعلبان برأسه

جاء الاسلام وهذه الآلهة المتعددة تتحكم في اقدار الانسان ومصائره . وهماً .. وخرافة .. فهو يعتقد فيها .. ويتخذها «واسطة» لطلب الخير .. والوقاية من الشر .. فعاش مخلوقا مشلول الارادة معطل العقل .. واول ما عمله الاسلام هو تحطيم هذا الوهم .. وإيقاظ الارادة المشلولة .. وتخليص العقل الانساني من هذه العبودية .. وبالشهادة ألغى الاسلام كل انواع «الواسطات» .. وارتفع بمستوى العلاقة بان جعلها مباشرة بين الانسان وربيه الحق المطلق القادر على كل شيء «ليس كمثله شيء» وهو السميع البصير».

فالجنة ليست لمن له واسطة من البشر .. كما انها ليست لمن يملك صك غفران .. ويدخل الله فيها من يشاء .. كما يدخل من يشاء النار .. وهذا انتصار.

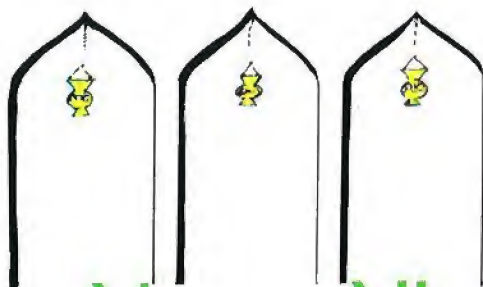
والصلاة .. وسيلة من وسائل التقرب الى الله .. وهي نوع من انواع الصلات المباشرة بين الانسان وربيه الذي خلقه .. وسخر له كل ما على الارض وما في باطنها من خيرات.

والزكاة .. وهي أخذ نصيب من أموال الاغنياء من اجل الفقراء انتصار للانسان البائس ضد الجشع والفقر .. والانانية.

والصوم .. والحج .. فيها انتصار للانسان ضد غروره .. وصلفه وفي مواجهة شهواته .. وغرائزه ويطوره .. وخيالاته.

هذه أمثلة سريعة يعرفها الجميع عن الاسلام .. تؤكد حقيقة انه دين انتصار .. وهي غيضة من فيض .. ووشل من بحر.

واخيرا .. فالاسلام دين يحتاج الى من يفهمه بانصاف .. ونزاهة .. لا لمن يدافع عنه .. فهو فوق كل الشبهات .. وكل التهم التي يلصقها الجاهلون به .. وسيفي كما جاء دين انتصار لمن اراد ان ينتصر لانسانيته .. وأدميته .. وكرامته.



الإسلام

وشهر الصوم

بمقام : د. عبد الله التركي

ونظمها وبالجملة فالشريعة الإسلامية كاملة شاملة. وفيه
تحتلقات الناس في كل وقت ومكان.

وقد آمن الله على أمة الإسلام بهذه النعمة، قال تعالى:
«اليوم أكملت لكم دينكم وأنممت عليكم نعمي
ورضيت لكم الإسلام ديناً»

وقال تعالى:

«وأنزلنا إليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى رحمةً
ويشرى للمسلمين»

وقال تعالى:

«ما فرطنا في الكتاب من شيء».

وقد بين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما أنزل الله
إليه خير بيان امتثالاً لقول الله تبارك وتعالى:

«وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم
يتفكرون».

وما ينصل بالعقائد والعبادات والحلال والحرام في الأكل
والشراب والملبس والسكن، والحدود وأحكام الأسرة - الذي

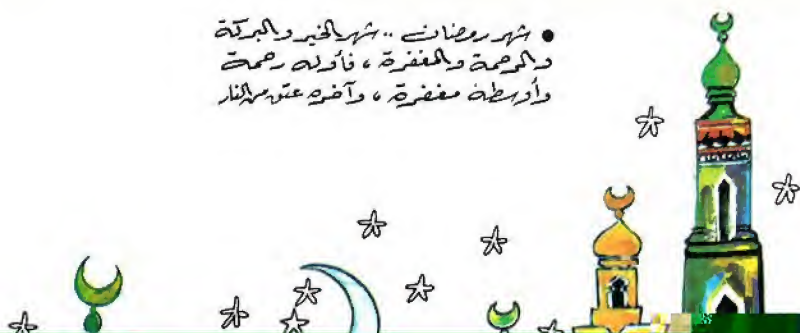
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد
المرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، إلى يوم
الدين.

وبعد:

فقد أكمل الله للمسلمين دينهم. وجعل رسالتهم خاتمة
الرسالات، ونبيهم خاتم الأنبياء. ولذلك فقد تميزت الشريعة
الإسلامية بخصائص وميزات لا توجد في الشرائع والديانات
الأخرى، وهذا التميز والاختصاص يستدعيه عمومها لجميع
الناس، ودوامها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وإبرز تلك الخصائص شمول الشريعة الإسلامية لجميع
شعب الحياة ومعالجتها لجميع القضايا والمشكلات، فعلاقة
المسلم بخالقه، تنظيمها العقيدة والعبادة، وعلاقته بنفسه لها
أحكامها في مأكله ومشربه وملبسه، وعلاقته بأسرته لها نظامها
فما نحل وما يحرم، وما له من حقوق، وما عليه من واجبات،
وعلاقته مع الناس ومع المجتمع الذي يعيش فيه، تنظيمها
أحكام المعاملات بيعاً وشراءً وإجارةً وغير ذلك مما تستدعيه
الحياة، وعلاقة المسلمين مع غيرهم من المجتمعات لها أحكامها

• شهر رمضان .. شهر الخير والبركة
والرحمة والغفرة ، فأزله رحمة
وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار



• في رمضان نزل القرآن دستور
لهذه الأمة، وحضر هذا شهرها وصبرها.

الدين

قيلها: خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا، ويزين الله كل يوم جنته ويقول: يوشك عبادي الصالحون ان يلقوا عنهم المؤونة والأذى ويصيروا اليك، ونصفد فيه مردة الشياطين فلا يخلصون الى ما كانوا يخلصون اليه في غيره، ويغفر لهم في آخر ليلة، قيل: يا رسول الله أهي ليلة القدر، قال: لا، ولكن العامل انما يؤقى اجره اذا قضى عمله».

وقد جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «قال الله تعالى: كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لي وأنا اجزي به والصيام جنة، فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرقث ولا يصخب، فان سابه أحد، أو قاتله، فليقل لي صائم. والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتان يفرحهما، اذا أفطر فرح بفطره واذا لقي ربه فرح بصومه».

وفي رواية: «كل عمل ابن آدم له يضاعف الحسنة بعشر أمثاله الى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى: الا الصوم فانه لي وأنا اجزي به. يدع شهوته وطعامه من أجلي».

ومن هذا ايها القارئ الكريم تدرك فضل الصوم وشرفه وفضل رمضان، ومضاعفة الأجر فيه، ولذلك استحب فيه عمل الخير، من واجبات ومستحبات، فقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اذا دخل رمضان شد مئزره وأحيا ليله، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان المبارك وكان يحث صحابته وأهله على فعل الخيرات، والاكثار من الصدقة والانفاق في هذا الشهر.

وقد تابعه على ذلك سلف هذه الامة الصالح، الذين كانوا ينتظرون رمضان بفارغ الصبر، ليسابقوا فيه الى الخيرات،

«يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون».

وشهر رمضان موسم للمسلمين من أعظم المواسم، وما أكرم مواسم الخير لدى المسلمين، ولكن الله اختص هذا الشهر بالفضل العظيم، ففيه يعظم الأجر، ويفتح مجال الخير، ويتسابق المسلمون في أعمال البر وطاعة الله تبارك وتعالى. وشهر رمضان شهر الخير والبركة والرحمة والمغفرة، فأوله رحمة، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار، وقد تواترت النصوص في فضله، والترغيب في اهتبال فرصته، وشغلها بالمطاعات.

وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه ان النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «اذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت ابواب النار، وصعدت الشياطين».

وهو بهذا موسم من أعظم المواسم، تقدره الأمة الاسلامية حق قدره حينما كان الوازع الديني لديها قويا، ورغبها في الخير عظيمة، وغايتها بلوغ رضوان الله تبارك وتعالى، فان أمل المسلم الحقيقي ان ينعم في الجنة، وان ينجي من النار، أعادنا الله منها.

ونظرة الاسلام الى هذه الدنيا انها مرحلة انتقال، ومحالة للخير والإيتار، وما فيها من منع ومعلدات لا تقاس معها بلغت من الحسن والكمال بما في الجنة والدار الآخرة من النعم المقم.

وقد أعطيت الامة الاسلامية في هذا الشهر من الخصال ما لم تعطه غيرها قال صلى الله عليه وسلم:

«أعطيت امتي خصال في رمضان لم تعطهن امة من الامم

أكتبوا علىكم السلام

وان سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسيرة السلف الصالح لا تزال بين أيدينا.

لما الذي تغير إذن؟

ان الذي تغير - أيها الاخوة - هم المسلمون أنفسهم، ضعف الايمان لدى الكثير منهم، وابتعدوا عن سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في رمضان وفي غيره ومن هنا لم يعد لرمضان ذلك الأثر البالغ. لأن كثيرا من المسلمين تكاسلوا، وأسلموا انفسهم للدنيا ولمذاتها واصبحت هي الغاية وبالتالي تغيرت طابع المسلمين.

وطريق العودة الصحيح: ان تنهج الامة الاسلاميه نهج الحق وتلتزم رسولا - محمد صلى الله عليه وسلم - في جميع أوقاتها، وبخاصة في رمضان، يصوم الناس ويؤدون فرائضهم، ويبتعدون عن الكلام المحرم وعن الكسب المحرم، ويكثرون تلاوة كتاب الله واقامة الصلاة، واتفاق المال، والتعاون على الخير.

فالله الله ايها المسلمون: اغتنموا فرصة الشهر، وجددوا التوبة بصدق وزعامة، فان الله يقبل التوبة، ولا تفرطوا في اعظم نعمة لديكم، نعمة الاسلام، ومنهجه الصالح، فان الشقاء كل الشقاء ما حل بالمسلمين جماعات وافراد الا يوم ان اكتفوا من الاسلام باسمه، وتبعوا كل تافق باهوى والضلال.

نسأل الله ان يرد المسلمين الى دينهم ردا جميلا، وان يبي هذه الامة أمر رشد يعز فيه اهل الطاعة، ويذل فيه اهل المعصية، ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر، وتقام فيه حدود الله، ويسلك الناس طريق الحق المستقيم وتعود للمسلمين كلمتهم، فينشروا العدل والرحمة في البشرية الخائرة التي تتردى في مهادي الضلال وتتصارع للفناء والهلاك - ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، وصلى الله على نبينا محمد وسلم.

وكانوا يتألمون لانتهائه، لما فيه من عظيم الأجر. والمسلمون في حاجة ماسة الى متابعة رسولهم - صلى الله عليه وسلم - في الواجبات والمستحبات، في حاجة الى عودة الى الله تبارك وتعالى، عودة صادقة، تتجدد معها العزيمة لمضاعفة الجهد في اعمال الخير، والاستقامة على هدى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى تستقيم أحوالهم، ويكون الله معهم.



ان رمضان يذكر المسلمين بمصدر عزهم، ومبعث نصرهم، وبدء انتصاراتهم، في رمضان نزل أول ما نزل القرآن، والقرآن دستور هذه الأمة، ومصدر هدايتها ورحمتها، هو النور الذي نزل من الله الى عباده، ليخرجهم من الظلمات الى النور ومنذ ان بزغ الاشعاع على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في حراء وفجر هذه الامة في تألق، وفي رمضان انتصر المسلمون اول انتصارهم على قوى الشر والظلمة في وقعة (بدر) التي كسرت فيها شوكة المشركين، ونصر الله فيها جنده.

ان رمضان مؤتمن عبادة، وموسم تعاون على البر والتقوى، وموسم ذكريات تثير في النفس اشجانا، تعلو بهمج المؤمنين وتجعلهم أكثر عزيمة على الثابرة والجهاد في سبيل الله.

وقد كانت مناسبة رمضان فيما مضى تؤثر هذا الأثر واكثر منه لما قال المسلمون اليوم لا يؤثر فيهم رمضان كما كان أسلافهم.

ان رمضان هو رمضان لم يتغير، وان هدى الله لا يزال ولن يزال مغفوطا لدى المسلمين:

«انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون».

من مدينة كانت منارة علم
أديب .. وقاض .. ومعلم .. وهو اليوم وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية في بلاده المغرب .. هذا البلد الذي ظل طوال

لتمتاء مع :

محمد أباحصيني

وحوار عن الثقافة .. والأدب .. والكتاب

.. ماهي الوسائل التي تساعد الكتاب
العربي على تجاوز المخاض .. أو المشاكل
التي تحمده من انتشاره ؟

المغرب اليوم) لاعطاء دروس في اللغة العربية .. والأدب العربي بالمعهد (المولوي) في ذلك الوقت .. هذا المعهد الذي كان يتلقى فيه ولي العهد (الملك الحسن الثاني) وأخوه الأمير عبد الله دروسها .. وهو يشعر بالسعادة لأنه أسهم في تعليمها .. كما أسهم في تعليم الأميرتين (لالا عائشة .. ولالا ملكة) .. وكان ذلك في أصعب ظروف يمر بها المغرب أيام كان الاستعمار يحتل المغرب .. ومقاومة الملك محمد الخامس لهذا الاحتلال الأجنبي .. نفاه الاستعمار الى جنوب المغرب .. لكنه عاد اليها مع عودة الملك محمد الخامس من منفاه بعد استقلال المغرب فأسند إليه مهمة الأمانة العامة لأول حكومة مغربية مستقلة .. وكثرت مسؤولياته .. وتعددت المهام التي كلف بها (للقارئ راجع تاريخ

قليلون جدا - ان لم يكونوا نادرة - الذين لا يعرفون الأستاذ الحاج محمد أباحصيني وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية في المغرب الشقيق داخل بلاده.

فهو شخصية قريبة الى نفس كل مواطن مغربي .. ومتواجد في كل المناسبات التي تقام في بلاده .. كما أن له صداقاته في أرجاء الوطن العربي.

عمل في سلك القضاء .. وما زال قاضيا في المجلس الأعلى للقضاء في بلاده .. وهو أعلى مجلس للقضاء .. ويمثل محكمة النقض .. أو التمييز حسب اصطلاح المشاركة العرب.

دعا الملك محمد الخامس والد الملك الحسن الثاني (ملك

حقب التاريخ قلعة عربية اسلامية في وجه كل الغزوات .. والنيارات .. واستطاع ان يحافظ على عروبه .. وعلى عقيدته أمام كل التحديات العالمية .. وهو يخوض اليوم أهم معاركه مع الدول الشقيقة المجاورة في عملية التعريب.



حياته مع هذا اللقاء).

أستقبل بعثة مجلة «الفصل» برحابة صدر .. وأعطى تعليماته للجهات المختصة في وزارته بتسهيل مهمتها العلمية فكانوا جميعاً على مستوى المسؤولية.

وفي مكتبه بالوزارة أجري معه هذا الحوار السريع.

مشاكل الكتاب العربي

الكتاب العربي في المشرق والمغرب على السواء يعاني عدداً من المخاطر .. أو المشاكل المختلفة التي تحد من انتشاره ليس في

العالم .. بل في الوطن العربي .. وبين أقطاره = المتقاربة والمتباعدة .. هذه المشاكل أوجدت حاجزاً من الجهل قاد إلى بعد الصلات .. وعدم معرفة المثقف في المشرق العربي بالحركة الثقافية في المغرب العربي.

كانت هذه القضية هي بداية حوارنا مع الاستاذ الحاج محمد أبا حنيني وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية في المغرب الشقيق .. وقد سأله:

«هل هناك حلول معينة تتصورونها معاليكم

(شخصياً) بصفتكم أحد المفكرين في العالم

العربي من ناحية .. (ورحمياً) بتحكم مركزكم



وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية في المغرب

- من مواليد مدينة فاس ١٩١٤
- ليسانس حقوق .. وليسانس الادب العربي
- يجيد اللغة الفرنسية
- قاض في المجلس الاعلى للقضاء في وطنه.
- عمل في التدريس
- عمل مديرا عاما للديوان الملكي ايام الملك محمد الخامس
- بعد الاستقلال تولى رئاسة الامانة العامة لاول حكومة مغربية مستقلة .. ثم عين وزيرا للعدل الى جانب الامانة العامة .. ثم عين وزيرا للشؤون الادارية والدفاع الوطني .. ثم لوزارة العدل مرة ثانية .. وفيما بعد عين وزيرا للدولة بدون اختصاص معين .. واخيرا هو الآن وزير الدولة المكلف بالشؤون الثقافية.
- خلال هذه الاعمال .. قام بعمل نائب الوزير الاول.
- نشرت له مجموعة من المقالات في الادب ..
- والتقى بصيغة خاصة الى جانب كتابة تراجم لبعض عظماء المسلمين.

القيادي في وزارة الثقافة في المغرب العربي من ناحية أخرى؟
وكانت اجابة معاليه:

«سرتي قبل كل شيء ان ارحب أجمل ترحيب بمجلة «الفصل» وأن أحبيي أصدق تحية طوعها القريب.

واني كمسؤول في الحكومة المغربية التي تصلها بحكومة المملكة العربية السعودية أمن الصلات وأقواها، وكمنتقف عربي يعتز بكل طريف يضاف الى التليد من أسباب التعريف والتثقيف لأمتي مجلة «الفصل» التي تحمل اسم علم لامع من اعلام العرب والمسلمين، العمر المديد والنجاح المستمر الوطيد.

وبعد فقد كنت أود ان توجه الي بوصني وزيرا للشؤون الثقافية في المغرب اسئلة تستوضح ما تقوم به الوزارة من عمل ثقافي في اطار المغرب وخارج هذا الاطار. فلو ان الاسئلة قصدت الى الحصول على اجوبة خاصة بما تم انجازه عندنا لحد الآن وبما تعزم الوزارة انجازه في المستقبل لاطلعتك على الجهود المبدولة قصد التنظيم القانوني والاداري للوزارة وقصد الانطلاق من منطلق هذا التنظيم نحو تحقيق الاهداف المرسومة للعمل الثقافي في حدود المغرب وفيما وراء هذه الحدود.

ولكنني سأحاول جهد المستطاع تلبية الرغبة المعروضة في السؤال.

لا اعلم بصورة دقيقة وعلى وجه الاستيعاب ما يلاقيه الكتاب العربي من مشاكل في الاقطار العربية الا انني اعلم ان الكتاب المغربي لا يروج في البلاد العربية الشرقية على النحو المطلوب والعله في ذلك ان كتابنا ومؤلفينا لا تتوافر لهم الآن وسائل ترويج الانتاج الثقافي المغربي في الاقطار الشقيقة، فلو اتيح لجميع مؤلفاتنا ان تطبع في الشرق العربي لتيسر انتشارها ولوقف اخواننا العرب على ما ينتجه المغاربة، يضاف الى هذا ان اشقائنا المشاركة لا يكتفون انفسهم عناء البحث عما يصنفه من تصانيف ولا يتجشمون مشقة السعي وراء ما نسهم به في تشييد صرح الثقافة العربية، ويظهر ان من شأن اهتمام دور النشر بالمغرب - وهي دور خاصة - بترويج الانتاج المغربي في نطاق المغرب وفي غير هذا النطاق، واهتمام الباحثين والدارسين المشاركة بهذا الانتاج، ان يفضيا متنازرين الى الغاية المقصودة».



قصور بالفلج والغلبة في جميع الميادين ولا مراء في ان الفكر العربي واعني بالفكر العربي سائر ما وهبت الامة العربية من طاقة عقلية وقوة نفسية واصرار على استخدام المواهب والكفايات، يقصد الى تدارك النقص واللاحاق بالركب ومنافسة المجملين ومباراة السابقين، ان الفكر العربي بهذا المفهوم اخذ يتحرك وطلق هنا وهناك بعد الوعي والادراك يوالي الخطوات التي تنشأ عنها الاجيال المتحررة من الرواسب تحررا عميقا وشاملا، على ان اوجب ما علينا هو ان نفحص اسباب النقص فحفا شديدا وبلغا ونعالج انفسنا من بعض الادواء الكامنة في طواياها ونخلص ضئنا من الشوائب والاكدار التي يتخذها خصوصنا اداة لتوهين عزائنا، فاننا ان امعنا في استقراء اسباب الضعف بنزاهة وتصدينا لعوامل التوهين بتقويض حازم واستئصال جاد، قاطعون ولا شك للمراحل الضرورية وبالفعل لا محالة الشاؤ الذي تنهوا القلوب السليمة..

الادب العالمي

كثيرة هي الاحاديث التي تناولت قضية الادب العالمي .. وماهيته .. وكثيرة هي المواصفات التي وضعها الكتاب لمفهوم العالمية في الادب بحيث اصبحت هذه القضية واحدة من القضايا التي تثار من حين لآخر.

عن هذه القضية سألنا الاسناد ابا حنبي .. هل هناك مواصفات لما يمكن ان يسمى بالادب العالمي ؟ .. وهل صحيح ما يردده البعض من ان الادب العربي مازال ادبا

تنسيق ثقافي عربي

.. من حين لآخر ترتفع اصوات تدعو الى ايجاد تنسيق ثقافي عربي .. او وجه من وجوه هذا التنسيق يخدم ثقافتنا العربية .. ثم تصمت هذه الاصوات لتعود مرة اخرى الى هذه الدعوة.

عن هذه النقطة اجاب الوزير المغربي من خلال تصورات معاليه كمسؤول قائلا :

«انا بحكم عضويتنا في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وبحكم ما نحرص عليه من اسهام في جميع المنتقيات العربية وبحكم ما يربطنا بالاقطار العربية من روابط المعاهدات الثقافية نعمل بكل ما في وسعنا على ان يتسم العمل الثقافي العربي بسمه الانساق ويتصف بصفة الانسجام، ولا اشك في ان جهودا منظمة هادفة سارية على خط مستقيم من القصد والعقل والجد، خالقة بأن نظر اليها بعين التقدير والاكبار».

التحديات .. العالمية

وحين سألنا معاليه فيها اذا كان المفكر العربي قد استطاع ان يقوم بدوره كاملا في مواجهة التحديات العالمية التي تنف في وجه الوطن العربي اجاب: «اذا انت استعرجت التحديات العالمية وبعبارة ادق التحديات الغربية وجدتها اصنافا متعددة لا يسهل على امة مثل امنا تناول الظلماء بالتبديد وتلتبس طريق السلامة ونحاول بلوغ السؤدد والجد ان تغالبا وتفوز في ظرف من الزمن

.. ارفع أي حد استطاع المفكر
المربي القيام بدوره في
مواجهة التحديات العالمية ؟



.. هل في الإسلام إيمان تسيير تما في عربي ؟

القبول .. والرفض .. فقد تناول الحديث مع معالي وزير الدولة المكلف بالشؤون الخارجية الأستاذ الحاج محمد أباحيني عنه من زاوية معينة .. وهي كيفية احياء .. وإعادة صياغته بشكل معاصر من منظوره الخاص .

قال معاليه :

«المهم فيما يتصل بالتراث العربي هو احياؤه ، اما اعادة صياغته بشكل معاصر فاني اتوجس منها خيفة فقد تؤدي الى مسح وتشويه لا نرضاها لثرائنا . واحرص ما يجب ان نحرس عليه ان تتكامل جهود الامة العربية لجعل تراثنا في متناول القراء والباحثين والدارسين . على ان جهود العلماء العرب المنتشرين في الاقطار العربية قد يسر الله لها ان تضع في ايدي اولئك وهؤلاء من العرب وغيرهم جملة صالحة من ذخائر التراث العربي ، وما دام احياء هذا التراث امرا ضروريا فاني لا استصعب تنظيمه في كل قطر عربي باتصال مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم» .

محليا لما يقوى بعد على الاجتياز والوصول الى مرحلة العالمية ؟
«ان الادب العالمي هو فيما اعتقد الادب الصالح لكل امة ولكل زمان ، وهو الادب الذي يقرؤه العربي وغير العربي فيجد فيه كل قارئ كيفما تقلبت به الاحوال وحيثما وجد من مكان او زمان . التعبير الصادق عما يلزم الطبيعة البشرية والحيلة الانسانية على اختلاف العصور والاجناس من مشاعر ثابتة واحساسات دائمة ولا جدال في ان آدابنا العربية القديمة آداب يكثر فيها الادب العالمي ، ويكفي ان نصفح فصولا من التراث العربي اودواوين من شعرنا لتبين صدق هذا الرأي . واذا كان ادبنا المعاصر تنسم بعض اثاره بالسمة المحلية فقد ظهرت منذ نبضتنا في الشعر بصورة خاصة محاولات تريد ان تتجاوز النطاق المحلي الى ما وراء ذلك من ساحات عالمية» .

صياغة التراث العربي

اما التراث .. وهو يمثل اهم قضايا الفكرية المعاصرة قبولاً موضوعياً .. ورفضاً سلبياً .. ووسطاً بين

من كتب التراث

شفاء الخبر السلام

بقلم: د. عبدالله عتيق عنقاوي

شع نور الاسلام في مكة المكرمة،
وانطلق الرسول الكريم محمد بن عبدالله
يدعو قومه الى توحيد الله، وبث عبادة
الأوثان، وبدلاً من أن تستجيب قريش
لدعوته صلى الله عليه وسلم تضافرت - في
عدائها - للدعوة الجديدة ومحاوله القضاء

”انه كتاب شفاء الغرام .. لا يمد
مصدراً للتاريخ السياسي لئلا يفسد
بل يعتبر موسوعة تشمل على التاريخ
السياسي والاقتصادي ولا سيما على
التاريخ لئلا يفسد خلاصة فترة
هامّة من تاريخنا“



عليها. فهاجر الرسول الكريم الى المدينة المنورة. وفي رحاب المدينة وبين أنصاره الجدد من الأوس والخزرج استقر رسول الله (صلم) وصحابته من المهاجرين. وفي غضون سنوات قليلة. وبعد ان تم فتح مكة. استجابت كافة أنحاء الجزيرة العربية لدعوته صلى الله عليه وسلم فانضوت تحت ثواء الإسلام وآمنت برسالة محمد بن عبدالله. وبعد حياة عامرة بالكفاح ضد الجحالة والوثنية والدعوة لدين التوحيد انتقل الرسول الكريم الى الرفيق الأعلى. وسارع المهاجرون والأنصار الى اختيار خليفة يخلف الرسول (صلم) في قيادة الجماعة الاسلامية فاختر ابو بكر الصديق ليحتل هذا المركز الجديد. وهكذا قامت الخلافة الاسلامية. وتبوأت المدينة مكانتها السياسية الى جانب مكانتها الدينية. فأصبحت عاصمة لخلافة لم تلبث ان اتسعت حدودها حتى شملت أراضي الدولة الساسانية الى جانب مساحات شاسعة من القسم الشرقي من الامبراطورية البيزنطية.

على انه على الرغم مما بذله الخلفاء الثلاثة الأولون من جهد مشكور في نشر الدعوة الإسلامية وفي فتح الأراضي الخاضعة لنفوذ الفرس والروم. فلم تلبث الدولة الإسلامية ان تعرضت لهزة عنيفة أدت الى تطورات خطيرة في أوضاعها السياسية. فعندما اندلعت الفتنة في الأندلس على عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه واتجه المتمردون الى المدينة المنورة لجهالة الخليفة وانزاعه من منصبه. كانت تلك الحركة هي بداية النهاية للمركز السياسي للمدينة بصفة خاصة والجزيرة العربية بصفة عامة. فقد نتج عن مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه وما تلا ذلك من تطورات اثر اعتلاء علي كرم الله وجهه كرسي الخلافة. انتقال مركز الخلافة من

المدينة المنورة الى الكوفة ثم الى دمشق. وهكذا فقدت الجزيرة العربية مركزها السياسي وانتقلت من قاعدة للخلافة الى ولايات منفردة تابعة للخلافة في دمشق على عهد الامويين ثم في بغداد في العهد العباسي.

على ان هذه التطورات وان تركت آثارها على مركز الجزيرة العربية السياسي والاقتصادي ايضا فلم تكن لتؤثر على مركز كل من مكة والمدينة الدين فقد ظلت مكة تضم الكعبة المشرفة قبله المسلمين. كما تضم داخل حدودها وفي اطرافها مشاعر الحج وهو الركن الخامس من أركان الاسلام. كما ظلت المدينة تضم المسجد الثاني الذي تشد اليه الرحائل كما تضم ثوى الرسول الكريم محمد بن عبدالله.

هذه التطورات في الاوضاع الدينية والسياسية في الجزيرة العربية وما تمخض عنها من نتائج. تفسر لنا في واقع الامر - طبيعة العلاقات التي قامت بين الجزيرة العربية من جهة. والخلافة الاموية ثم العباسية من جهة أخرى كما تفودنا الى بعض الحقائق التي تتعلق بمصادر تاريخ الجزيرة العربية في صدر الاسلام والعصر الاسلامي الوسيط. ففي الوقت الذي حرص فيه الامويون على بسط سيادتهم على سلاطين الممالك على بسط سيادتهم على مكة والمدينة. اتسمت علاقاتهم ببقية أنحاء الجزيرة العربية بالفتور. ولم تكن سيادتهم على تلك الاقاليم في معظم الاحيان الاسمية. كذلك فانه في الوقت الذي حرصت فيه جميع مصادر التاريخ الاسلامي تقريبا على الاسهاب في تاريخ الجزيرة العربية في عهد الرسول (صلم) وعصر خلفائه الراشدين. نجد هذا الاهتمام يتضاءل بصورة بارزة في كتاباتهم عن الجزيرة العربية في العصر



المكرمة. وتحدث عن نشأته ودراساته بكل من مكة والمدينة كما تحدث عن رحلاته في طلب العلم التي شملت مصر وبلاد الشام وفلسطين واليمن، وأسهب في ذكر شيوخه الذين تلقى على أيديهم علوم الحديث والفقه واللغة والتاريخ. وقال ما نصه «وشيخ صاحب هذه الترجمة كثيرون جدا، ولعلهم نحو خمسمائة شيخ بالسباع والاجازة» وقد قرط القاسي معاصروه ومن بينهم الحافظ بن حجر العسقلاني الذي يقول عنه «كان لطيف الذات حسن الاخلاق عارفا بالامور الدينية والدنيوية له غور ودهاء ومعرفة وشجيرة وحسن عشرة وحلاوة لسان. ويحلب القلوب بحسن عبارته ولطيف شأوته، ورافقي في السباع كثيرا بمصر والشام واليمن وغيرها وكنت اوده واعظمه واقوم معه في مهاته. ولقد ساء في موته واسقت على فقد مثله» ويقول عنه المؤرخ الناقد السخاوي بانه «اعتنى باخبار بلده فاحبا معالما ووضح مجاهلها وجدد مآثرها وترجم اعيانها، وكان اماما علامة فقيها حافظا للأشياء والكنى ذا معرفة تامة بالشيوخ والبلدان ويد طوي في الحديث والتاريخ والفقه واصوله يفيد البلاد الحجازية وعالمها». كما يقول المقرئ بانه تردد اليه بمكة والقاهرة، وهو بئر علم وكثر فوائده.

شغل القاسي منصب قضاء المالكية في مكة بتعيين من السلطان المملوكي الناصر فرج بن برقوق، كما انتطب به وظيفة التدريس في المدرسة السلطانية الغياية البنجالية التي أشادها بمكة السلطان المنصور غيات الدين ابي المظفر اعظم شاه سلطان البنجال سنة ٨١٣ وعين للتدريس فيها فقهاء على المذاهب الاربعة وهم قضاة مكة الاربعة، كما

الاسلامي الوسيط. وحيث لم تتأثر مكانة مكة والمدينة الدينية بالتطورات السياسية التي مرت بها الجزيرة العربية فقد حظيت كل منهما بالحظ الأوفر في التزور اليسير الذي أوردته مصادر التاريخ العام عن الجزيرة العربية في العصر الاسلامي الوسيط، في حين ازوت مناطق اخرى من الجزيرة في غياهب النسيان وشملها غموض تام.

فاذا ما نظرنا الى مكة المكرمة - بصفة خاصة - وهي موضوع كتاب مؤرخنا القاسي - نجد انه الى جانب المادة التاريخية المتناثرة في مصادر التاريخ الاسلامي والتي يمكن ان نمثنا بمعلومات عن احوال مكة في العصر الاسلامي الوسيط فقد حظيت هذه المدينة المقدسة ببعض ابناءها ممن تصدوا لكتابة تاريخها. ومن أشهر هؤلاء، الأزري والفاكهي - وهما من رجال القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، ثم القاسي «الذي كتابه موضوع بحثنا» فمن هو القاسي!

سيرته الذاتية

القاسي: هو محمد بن احمد بن علي وبني نسبه - كما أوردته في كتابه العقد الثمين - الى ادريس بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب. وبلقب بتي الدين الحسيني. القاسي، المكي، المالكي. فهو علوي النسب يلتقي مع امراء مكة في عصره في نسبه الى الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه. وقد ترجم القاسي نفسه في كتابه «العقد الثمين» ترجمة مطولة تقع في ثلاثين صفحة. فذكر بأنه ولد سنة ٧٧٥هـ بمكة

الكتاب. فهو يرغب في تحقيق هدفين:
الأول:

ان يتلافى ما لحسه من عدم وجود مصادر
تفصصت في تاريخ مكة منذ عهد
الازرقى والفاكهي. وهما من رجال القرن
الثالث الهجري. وحتى ابامه مما احدث
فجوة في المعلومات عن هذا البلد
الكريم. وعلى الرغم من محاولات
القاسي في سد هذه الفجوة فلا يزال
الباحث في وقتنا الحاضر يواجه كثيرا من
الجواب الغامضة في تاريخ مكة في
الفترة ما بين القرن الثالث. والثامن
الهجريين.

الثاني:

ان الذي دفعه الى وضع هذا الكتاب هو
رغبة القاسي وشوقه الى تتبع اخبار بلده
خلال الفترة التي تلت عهد الازرقى
وحتى ابامه هو اذ يقول «واني لأعجب
من إهمال فضلاء مكة بعد الازرقى
تأليفًا لتاريخ مكة يحتوي على معرفة
اعيانها من أهلها وغيرهم من ولائها
وأمنها وقضائها وخطابها وعلائها وروائها.
كما صنع فضلاء غيرها من البلاد
لبلادهم كتاريخ بغداد لخطيب
البغدادى ومن بعده تاريخ دمشق لابن
عساکر. وتاريخ مصر للقطب الحلبي
وغير ذلك من تواريخ البلاد. وقد وفقني
الله تعالى لجمع شيء من هذا المعنى
حداني الى جمعه اتي تشوقت كثيرا لمعرفة
ذلك وتتبع ما الله الناس من التواريخ
والطبقات والمعاجم والمشيخات ... الخ.

كذلك بشرى القاسي في مقدمته لكتابه الى
المصادر التي اعتمد عليها في جمع مادته
والى طريقته في التأليف. يقول القاسي
بعد تدوينه للمواضيع التي تناوفا الكتاب

بأشر التدریس والفتوى في المسجد الحرام
على ان القاسي قد عرف لنا من خلال
مؤلفاته التي تناولت عدة موضوعات.
ومن بين هذه المؤلفات:

- كتاب يشتمل على اربعين حديثا متباينة
الاسناد والمتون.
- اختصار كتاب «حياة الحيوان» للشيخ
كمال الدين الدميري.
- ارشاد ذوي الافهام الى تكميل كتاب
الاعلام للحافظ الذهبي.
- ثلاثة مؤلفات في المناسك على مذهب
الشافعي ومالك.
- العقد الثمين في تاريخ البلد الامين «٤»
مجلدات.

• مختصر العقد الثمين المسمى: عجالة القرى
للاغب في تاريخ ام القرى.

• شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام «جزءان»
وهو موضوع بحثنا. وقد اختصر القاسي
كتابه هذا عدة مرات. فأتت المختصرات
على النحو التالي:

- مختصر شفاء الغرام المسمى «تحفة
الكرام بأخبار البلد الحرام».
- ثم مختصره: تحصيل المرام من تاريخ
البلد الحرام.
- ثم مختصره: هادي ذوي الافهام الى
تاريخ البلد الحرام.
- ثم مختصره: الزهور المقتطفة من تاريخ
مكة المشرفة.

وسوف تقتصر في بحثنا هذا على كتاب
شفاء الغرام ولن نتناول المختصرات حيث لم
تجاوز مواضيعها ما ورد في الاصل.

كتاب شفاء الغرام

بشرى القاسي في مقدمته لكتاب شفاء
الغرام الى الباحث له على تأليف هذا



«فعرفت طرفا جيدا من ذلك كله بعضه من كتب التاريخ. وبعضه من رخام وأحجار وأخشاب مكتوب فيها ذلك ثابتة في الأماكن المشار إليها. وبعضه علمته من أخبار الثقات وبعضه شاهدته وعلق ذلك كله يدهي وقيدته في أوراق مفردة من غير ترتيب خيفة ذهاب ذلك بالنسيان.. ثم بدا لي أن أجمع ذلك مرتبا واضم إليه من تاريخ أبي الوليد الأزرق ما يلائحه من الأمور التي أشرنا إليها لما في ذلك من كمال الفائدة، ففعلت ذلك.. وقد رأيت أن أذكر أساندي في تاريخ الأزرق لكثرة المقول منه في هذا الكتاب، وإذا كان متصلا إليه بالأسناد فهو مما يستجد».

حادثة منهجه في كتابة التاريخ

هذا الأسلوب الذي اعتمده الفاسي في تأليفه لكتاب شفاء الغرام هو نفس الأسلوب الذي يلجأ إليه المؤرخ الباحث في عصرنا الحاضر. فهو يجمع مصادره أولا. ولا تقتصر هذه المصادر عادة على الكتب المدونة، بل تتعدى ذلك إلى الآثار والنقوش والوثائق التي لها صلة بموضوع البحث. ومن هذه المصادر يدون الباحث معلوماته، وهذه الخطوة تمثل مرحلة جمع المادة، ثم تبدأ المرحلة التالية وهي ترتيب المادة وتصنيفها وتحقيقها ونقدها. أما المرحلة الأخيرة، فهي عرض الموضوع بأسلوب جيد بليغ. ولا أرى الفاسي قد تجاوز هذه المراحل والتي تمثل في نظرنا المنهجية في التأليف. ونسبها إلى العصر الحديث. ولنستكمل الصورة عن منهجية الفاسي نورد مثلا عن اهتمامه بالوثائق. يقول المؤلف في ص ٣٣٢ من كتاب شفاء الغرام عند حديثه عن رباط رامشت «وظفرت بنسخة كتاب وقده» ويقول في حديثه عن

رباط بالمرو وقد أوقف عليه حمام باجباد «وقد ظفرت بكتاب وقفت الحمام ثم ذهب مني» أما لجوء المؤلف إلى الاستنتاج للتدليل على رأيه فيتضح من المثال التالي: فعندما أراد أن يترجم لرجل من كثافة في كتابه «العقد الثمين» الذي يعتبر كتاب تراجم لمشاهير وعلماء وإعيان مكة فقط أراد أن يثبت أولا انتهاء كثافة لمكة والذي يمكن أن يكون موضع شك في نظر البعض فقال: «هن الأخبار الدالة على اشتراك قريش وكثافة في النزول ببادية مكة. قول ابن اسحق في السيرة.. لما ذكر ولاية غبشان من خزاعة للكعبة دون بني بكر بن عبد مناة» وقريش إذ ذاك حلول وصرم وبيوتات متفرقون في قومهم من بني كثافة ووجه الدلالة من هذا الكلام: أنه يقتضي أن قريشا كانوا نزولا مع قومهم من كثافة حين انفرد غبشان من خزاعة بولاية الكعبة. والمنازل التي كانت تنزل بها كثافة وقريش إذ ذاك خارج الحرم، وقد استطرده الفاسي في استنتاج الأدلة التي تؤيد ما ذهب إليه. ويمكن الرجوع إليها في الصفحة ١٣ وما بعدها من كتاب «العقد الثمين». كذلك فقد اجتهد الفاسي في مقارنته للروايات التي تناوفا كتابه ونقدها خصوصا تلك الروايات التي تتعلق بأحداث سابقة لعهد. والأمثلة على ذلك كثيرة ولا يتسع الوقت لذكرها، ويمكن الرجوع إليها في كتاب «شفاء الغرام».

استخدم الفاسي ثقافته الواسعة ومصادره التي تفوق حد الحصر في وضع كتاب في تاريخ مكة المكرمة فكانت النتيجة أن أخرج موسوعة لهذا البلد الكريم تشمل على معلومات عنها من النواحي الدينية والثقافية والعمرانية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية منذ عصر ما قبل الإسلام وحتى أوائل القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي. وقد سمى كتابه هذا «شفاء الغرام

بأخبار البلد الحرام» ورتب مواضيعه في أربعين بابا، كل باب منها يشتمل على عدة مواضيع، وستناول هنا بالدراسة بعض الأبواب التي اشتمل عليها الكتاب.

مضامين ابواب الكتاب

في الباب الأول من الكتاب، تحدث الفاسي عن طوبوغرافية مكة المكرمة في عهده. فأورد وصفا شاملا لمكة كما تحدث بأسهاب عن الأسواق التي كانت تحيط بالمدينة وحالات الإصلاح والدمار التي أصابتها من جراء الصراع الاسري بين أمراء مكة من الأشراف. كما أشار إلى الامتداد العمراني الذي وقع لمكة منذ عهد الفاكهي أي النصف الثاني من القرن الثالث الهجري وحتى أيامه. وتوضح لنا معاناة الفاسي في كتابة هذا الباب إذا علمنا أنه قام بذكر مكة من حدها الشمالي إلى حدها الجنوبي والجنوبي الغربي.

وفي الباب الثامن من الكتاب. وصف الفاسي الكعبة المشرفة وصفا دقيقا. يقول «وفي الكعبة الآن ثلاث دعائم من ساج على ثلاثة كراسي و فوقها ثلاثة كراسي. وعلى هذه الكراسي ثلاث جوائز من ساج وها سقفان بينهما فرجة. وفي السقف أربعة روازن نافذة من السقف الأعلى إلى السقف الأسفل للوضوء. وفي ركنها الشامي درجة من خشب يصعد منها إلى سطحها. وعدد الدرج الذي فيها ثمان وثلاثون مرفاة وسقفها الأعلى مما يلي السماء مرخم برحام ابيض وطلبي بنورة في ستة احدى وثمانين وسبعائة بأمر أمير يقال له «باشة» من أمراء مصر.. ثم كتشطت النورة في ستة احدى وثمانائة بأمر الأمير «يسق» وبطيف بسطحها افريز مني بالحجارة على جدرانها من جميع جوانبها يأتي تخريز ذرعه فيما بعد.. ويتصل بهذا الافريز

أخشاب فيها حلق من حديد يربط بينها كسوة الكعبة وبابها من ظاهره مصفح بصفائح فضة موهجة بالذهب، وكذلك فياريز الباب وعتيته العليا مطلية بفضة زنها على ما بلغني ألف درهم وثمناثة درهم وفيها مكتوب اسم مولانا الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر صاحب الدبار المصرية واسم أبيه الملك الظاهر»

هذا الوصف الدقيق الممتع للكعبة المشرفة في بداية القرن التاسع الهجري والذي قدمه القاضي في كتابه ترداد اهميته اذا تذكرنا ان البناء الحالي للكعبة هو من انشاء السلطان العثماني مراد الثاني، وقد تم انشاؤه في سنة ١٠٤٠هـ/١٦٣٠م. ولم يكنف القاضي بالتناجيج التي توصل اليها الازرق وغيره في قياساتهم لمساحة الكعبة المشرفة، وأطوال اضلاعها وارتفاعها بل قام بنفسه بهذا الجهد ليتحرى الدقة في المعلومات التي يقدمها في كتابه، فذرع الكعبة من داخلها وخارجها وذرع سطحها، ولندل على مدى الدقة التي نغراها القاضي في عمله نذكر طرفا من قياساته، يقول: «وسعة فتحة باب الدرجة الذي يصعد منه الى اعلى الكعبة من اسفله ذراع وقيراطان ومن اعلاه ذراع وثمن، وارتفاع الباب عن الارض ذراعان ونصف ذراع وسدس ذراع وثمن ذراع».

ويستطرد القاضي في حديثه عن الكعبة فيتحدث عن الهدايا التي كانت تقدم لها من قبل الخلفاء والسلاطين والاعيان، ومن امثلة هذه الهدايا: «القمسية» التي ارسلها الخليفة جعفر المتوكل على الله لتعلق في وجه الكعبة في كل موسم، وكانت صناعتها من ذهب مكلمة بالدر الفاخر والياقوت الريع والزبرجد مع سلسلة تعلق بها، ومن بين الهدايا التي ذكرها القاضي هدية السلطان ابي سعيد بن خذابندا (خوبندا) ملك التتر وهي خلفتان من ذهب مرصعتان بالؤلؤ والبلخش كل

حلقه وزنها الف مثقال وفي كل حلقه ست لؤلؤات فاخراحت وبينها ست قطع بلخش فاخر، وقد ارسلت من قبل سلطان المغول لتعلق على باب الكعبة سنة ٧١٨هـ فاعترض على تعليقها امير الحاج المصري واصر على ان يستشار في السجح بتعليقها السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون، وبعد محاولات باثثة من قبل مندوب السلطان ابي سعيد اذن له في تعليقها لفترة من الوقت ثم رفعنا واستولى عليها امير مكة «الشريف رمية ابن ابي نحمي». ولم يغفل القاضي عن تدوين ما هو موجود بداخل الكعبة في ايامه بقول «والذي في الكعبة الآن من المعاليق ستة عشر قنديلا منها ثلاثة فضة وواحد ذهب وواحد بلور واثنان نحاس والباقى زجاج حلي وهو تسعة، وليس في الكعبة الآن شيء من حلقة الذهب والفضة التي كانت في اساطينها وجدرانها بسبب توالي الايدي عليها من الولاة وغيرهم».

ويقتل القاضي بعد هذا الى الحديث عن كسوة الكعبة فيسهب في تدوين تاريخها منذ ما قبل الاسلام وحتى ايامه، ثم يصف كسوة الكعبة في ايامه وصفا دقيقا، كما يصف الاحتفال الذي يصاحب نزع الكسوة القديمة ووضع الكسوة الجديدة على الكعبة، الى آخر المواضيع التي يشملها هذا الباب. ويستطيع الباحث من دراسته لهذا الباب الى جانب الباب السابع والثلاثين والثامن والثلاثين (وستعرض لها فيما بعد) ان يكون صورة واضحة عن الصراع الذي كان قائما للسبيل على مكة بين كل من الخلافة العباسية والدولة الفاطمية، ثم بين كل من سلاطين المايالك بمصر، والمغول بالعراق، وآل رسول باليمن، وفي الباب الثالث والعشرين من الكتاب تحدث القاضي عن المدارس والاربطه والسقايات والبرك والآبار التي بمكة، ومن بين المدارس التي تحدث عنها

المدرسة السلطانية الغياثية البنجالية. وقد وصفها القاضي منذ ابتدئ في تأسيسها سنة ٨١٣هـ وحتى بدأ الدراسة فيها اول عام ٨١٤هـ، ولم يقتصر على وصف بناء المدرسة بل اشار الى ثمن الارض التي اقيمت عليها والاقواف التي رصدت من أجلها، ومقدار مرتبات اساتذتها والمتابعين التي درست فيها والاساليب التي اتبعت في التدريس، ومجمل القول فان هذا الباب يحتوي على معلومات قيمة عن النواحي الثقافية والاجتماعية والعمرانية لمكة في عصر المايالك.

أما التاريخ السياسي والاقتصادي لمكة المكرمة - وخصوصا في عصر المايالك فيمكن مطالعته في الابواب السابع والثلاثين والثامن والثلاثين والتاسع والثلاثين.

في الباب السابع والثلاثين يتحدث القاضي عن ولاة مكة منذ عهد الرسول (صلم) وحتى ايامه. وفي الباب الذي يليه يسرد حوادث متفرقة تتعلق بمواسم الحج، ويدرسة هذين البابين يمكننا ان نخرج بصورة واضحة عن أوضاع مكة السياسية وعلاقاتها الخارجية، خاصة في عهد المايالك. الى جانب التعرف على دور امراء الحاج في تنفيذ سياسة الخلفاء والملوك في الحرمين الشريفين اي في مكة والمدينة. ولتوضيح هذا الدور نذكر طرفا مما ذكره القاضي في حديثه عن سنة ٨١٢هـ يقول «في سنة اثني عشرة وثمناثة كان بين بني حسن من اهل مكة وبين امير الحاج المصري مشاجرة عظيمة افضت الى قتل بعض الحجاج وتتهم غير مرة، ولم يحج بسبب ذلك من اهل مكة الا اليسير، وسبب هذه الفتنة ان صاحب مصر الملك الناصر فرج اعزف على الشريف حسن بن عجلان نائب السلطة ببلاد الحجاز فعزله عن ذلك وعزل ابنه عن امرة مكة وأمر ذلك الى امير الحج المصري بيسق فاستعد للحرب واستصحب

معه انواعا من السلاح والمكاحل والمدافع وغير ذلك. وروى بأن قصده بذلك الدخول الى اليمن، وبلغ الشريف حسن ذلك في عاشر ذي القعدة من السنة المذكورة فجمع اعراب مكة واهل الطائف ولبه وغيرهم من عرب الشرق على ما كان معه من بني حسن من الاشراف والقواد وعبيد اخيه احمد بن عجلان واولادهم وعوام مكة. وكان من معه على ما بلغني ستة آلاف نفر.. وكان يكره القتال مخافة ان يصيب الحجاج سوء من معرفة الجيش. و اشار بعض جاعته بأن يرسل الى امير الحاج من يعظم عليه امر الحرم واهله. وانه اذا كان قصده القتال فليقدم الحجاج قبله يوم او يتقدم هو قبلهم يوم فقع اللقاء. وبينما هم في الفكرة فيمن يؤدي هذه الرسالة الى امير الحاج اذ جاء الله بالفرج وازال عن الناس ما كان عندهم من الفسق والخرج. وذلك ان الملك الناصر بعث خادمه الخاص بخدمته فيروز السافي الى مكة بخلع وتقائيد للسيد حسن المذكور وولديه بمودهم الى ولايتهم ومنع امير الحاج من التعرض لقتالهم .. الخ».

اما في الباب التاسع والثلاثين فيسجل الفاسي حوادث تتعلق بامطار مكة وسيوها واخبار الغلاء والرخس والابوثة بها. ويدرس هذا الباب يمكن ان نتعرف على انواع العملة التي كانت متداولة بمكة في العصر الاسلامي الوسيط وانواع الموازين والمكاييل واسعار المواد الغذائية. والاسباب التي كانت تؤدي الى ارتفاع الاسعار وانخفاضها. ومن امثلة ما ذكره الفاسي في هذا الباب ما اوردته عن اسعار المواد الغذائية في سنة ٨١٩ يقول في حديثه عن هذه السنة «كانت الغرارة الحظلة اللقيمية المليحة بخمسة الفربنتيه والغرارة الماييه وهي نوع دنئي من الحظلة بأربعة الفربنتيه. وربع الغرارة

الذرة بثلاثة الفربنتيه. وبيعت في وادي مرفابرينتين وستة دنائير مسعوديه. وصرف الافربيني خمسة عشر دنائرا مسعوديه بالوادي. والسمن كل وقية بسبعة مسعوديه ويستقيم المئ بالفربيني وثلاث ونحو ذلك. واللحم كل من ستة مسعوديه والخركل من بدرهمين مسعوديتين. وكان صرف الافربيني بمكة بأربعة وخمسين مسعوديا وربما زاد قليلا ويقول في مكان آخر بعد ان اورد قاعة بأسعار بعض المواد «وسبب هذا الغلاء مع المقدور قلة الغيث بمكة في سنة خمس عشرة وثمانمائة عما يعهد. ولم يصل الى مكة مما كان يصل اليها من الذرة من بلاد سواكن ومن اليمن لغلاء وقع فيها ولاسا بسواكن. فسبب الغلاء فيها اكل الجراد لزوع بلاد الداع التي يحمل منها الذرة الى سواكن .. الخ» الى غير ذلك من الامثلة التي يضيف المقام عن تقديمها والتي تعطي في مجموعها صورة حية عن أوضاع مكة الاقتصادية في عصر المؤلف بل وفي العصور التي سبقت عهده.

والآن وبعد ان قدمنا نماذج من المواضيع التي تناولها الفاسي في كتابه «شفاء الغرام» يجدر بنا أن نتساءل: ما مدى أهمية هذا الكتاب كمصدر من مصادر تاريخ الجزيرة العربية؟ وما هي مكانة الفاسي بين مؤرخي الجزيرة؟

ولنجيب على السؤال الاول نعود فنذكره بان كتاب «شفاء الغرام» لا يعد مصدرا للتاريخ السياسي لمكة فحسب. كما هي الحال مع معظم مصادر التاريخ الاسلامي التي تقتصر عادة على تناول الاحداث السياسية. بل ان الكتاب بأبوابه «الاربعين» يعتبر موسوعة تشمل على التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي والديني لمكة المكرمة خلال فترة هامة من تاريخها وهي الفترة التي خضعت فيها الحجاز خضوعا

مباشراً لنفوذ سلاطين المالكين في مصر. ولقد تأكدت في عهد الفاسي أهمية السيطرة على الحجاز بظهور العامل الاقتصادي الى جانب الدافع الديني الذي ما زال حتى ذلك الوقت يشكل الدافع الوحيد للسيطرة على الحرمين. ويرجع السبب في ذلك الى ما حدث خلال النصف الثاني من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي عندما احتل ميناء جدة مكانة ميناء عدن فاصبح الميناء الرئيسي الذي يستقبل كل عام السفن الحاملة ببضائع الهند ومن اهمها التوابل والفلنل حيث تنفرغ بضاعتها فيتنافس على شرائها التجار اهللون الى جانب التجار القادمين من مختلف الاقطار. ومن ثم تحل الى اسواق مصر والشام لتوزيعها أو شحنها الى اسواق اوروبا. وحيث أثارت تلك التجارة المربحة اطماع سلاطين المالك فقد حاولوا احتكارها مما أدى بهم الى تشديد قبضهم على الحجاز عموما.

اما مكانة الفاسي بين مؤرخي الجزيرة فمن اكون مبالغا - ايها السادة - لو اقترحت عليكم بأن يلقب «شيخ مؤرخي الجزيرة في العصر الاسلامي الوسيط» اذ هو اغزروهم انتاجا وقومهم منهجية واوسعهم علما. وقد استفاد جميع من اتى بعده من مؤرخي مكة من كتبه امثال ابن فهد القرشي وقطب الدين النهروالي وابن ظهيرة وغيرهم.

وقد طبع كتاب «شفاء الغرام» طبعتين، الاولى وهي عبارة عن منتخبات من الكتاب. وطبع في ليدن سنة ١٨٥٩م اما الطبعة الثانية فقد ظهرت في القاهرة سنة ١٩٥٦ وشملت جميع مواضيع الكتاب، وكانت على نفقة المرحوم الشيخ محمد سرور الصبان. وارجو ان يقبض الله من يقوم بتحقيق هذا السفر القيم ووضع فهراس له واعادة طباعته.



د. احمد دياب

حركة الاستشراق مالها؟.. وما عليها؟

اشترك في الندوة: د. عباس جباري - المغرب ○ د. أحمد إبراهيم دياب - السودان ○ د. عبد الرحمن زكي - ع.م.ع

التراث، او عن سوء قصد للنيل من هذا التراث. والانتقاص من هذه العبقريّة.

وذلك كله تمهيدا وتأكيذا للحضارة الغربية في السيطرة على مقدرات الشعوب الأخرى بحجة ان هذه الشعوب قاصرة في ميادين الابتكار والابتداع. وبخاصة في ميادين الفكر والعلم والفن والأدب. وان قصورها هذا لا يرجع لأسباب عارضة او عابرة، تزول بزوال هذه الاسباب ولكنه القصور الكامن في طبيعة هذه الشعوب. الداخل في بنية تركيبها النفسي. وتكوينها العقلي. ولما كانت الشعوب العربية هي أعلى ما وصل اليه

الاستشراق حركة علمية وثقافية على جانب كبير من الخطورة والخطر. الخطورة بالنسبة لما لها من أهمية في إثارة اهتمام العلماء والمؤرخين الغربيين بتاريخ وتراث العرب المسلمين. وادخال مناهج البحث العلمي في تحقيق تراثنا، ومراجعة تاريخنا، وتقييم مآثرنا الفكري والأدبي والفني في ضوء معطيات البحث الأكاديمي الحديث.

والخطر بالنسبة لما عليها من مآخذ لصدورها في بعض الأحيان، ولدى بعض المستشرقين، اما عن سوء فهم لتراثنا العربي الإسلامي، وعبقرية اللغة العربية في تعبيرها عن هذا



د. حسن الخري



د. حسن الخري



د. حسن الخري: من أجل حركة الاستشراق في الوطن العربي - د. حسن الخري

هكذا بدأت حركة الاستشراق على الأقل، على يد المفكر الفرنسي (رينان) وعلى يد زميله العالم الفرنسي (جوريس)، الأول من خلال اهتمامه باللغات المقارنة، والآخر من خلال اهتمامه بعلم الاجتماع، وكلاهما كان من فرنسا، أول البلاد الأوروبية الساعية إلى الاستعمار في مطلع القرن التاسع عشر، ومن ورائها إنجلترا، ثم ألمانيا، ثم العديد من دول الحضارة الغربية.

أما وقد تغيرت الظروف وتبدلت الأحوال، زالت البحت

احسن السامي، كانت هذه الشعوب بالنسبة هي هدف احسن (الأري) صاحب هذه الحضارة البيضاء.

ومن هنا، لا من هناك، ولا من أي مكان آخر كانت حركة الاستشراق في أحد حاضيتها حركة على جانب كبير من الخطر، لما تنطوي عليه من غزو ثقافي يستهدف التمهيد للغزو الاستعماري من ناحية وتأكيد أصالة العصر الأري على حساب العصر السامي من ناحية أخرى، فضلاً عن تنبيهه حركة

التي من شأنها تحفيزه لم يعد

بين الكشف والتاريخ

في طليعة من الثقبين بهم من عالمتنا ونقادنا المتخصصين، الدكتور عباس جراري من المغرب. وهو من الأساتذة الفضلاء الذين لهم رأيهم في موضوع الاستشراق، وكان من رأيه أن حركة الاستشراق قد اغتبت بالفعل، التراث العربي الإسلامي، ولفتت النظر إلى بعض جوانبه، وأبرزت من عناية الباحثين الغربيين بهذا التراث. وقد تجلت هذه العناية من وجهة نظره في ثلاثة مظاهر:

أحدهما، العثور على عدد غير قليل من المخطوطات، والقيام بإخراجها ونشرها، والأخر كتابية مجموعة كبيرة من الأبحاث والدراسات في مختلف نواحي التراث، أما الأخير فهو تدوين عدد من الرحلات في بلدان العرب والمسلمين.

وبتناول الدكتور عباس جراري كل مظهر من هذه المظاهر الثلاثة، فينكلم عنه بمزيد من التفصيل، أما عن المظهر الأول، فيقول:

«بالنسبة لنشر المخطوطات، قام المستشرقون بعمل جليل حقاً، لأنهم عثروا على العديد من النفاثس التي كانت دفينية في مكتبات نائية خارج الوطن العربي الإسلامي، وكذلك في خزائن الكتب الوطنية التي حال الاستعمار دون أن تقع في أيدي العرب والمسلمين. ومع ذلك فقد بقيت هذه العملية محصورة في الإخراج دون التحقيق. والفرق بينهما واضح وأبسط مظاهره أن الإخراج لا يتوقف إلا على مقابلة النسخ، أما التحقيق فيحتاج إلى فهم النص وتدقيقه، والقدرة على شرح غوامضه والتعليق عليه. وهو ما لم يكن في مقدور المستشرقين أن يتدققوا النص العربي، ويدركوا أبعاده، خاصة إذا علمنا أن لغتنا العربية لغة ذوقية».

وأما عن المظهر الثاني، والخاص بإنتاج المستشرقين لعدد من الأبحاث والدراسات في مختلف نواحي التراث العربي الإسلامي، فيقول الدكتور عباس جراري:

«الواقع أن الأمر فيما يتعلق بما كتبه من دراسات، وما دونه من رحلات، يحتاج إلى قدر كبير من الحيلة والحذر، لأن أحجر هذه الانتاجات لم يكن يتسم بصفة الموضوعية. فالترجمات الصليبية والاستعمارية والعنصرية عملت على تشويه العديد مما قدمه المستشرقون، وبعدت به عن الموضوعية التي يجب أن تتوافر في كل بحث علمي».

«الواقع أن الأمر فيما يتعلق بما كتبه من دراسات، وما

الأثنولوجية والإنثولوجية الحديثة، سذاجة التفسير بطابع الأشياء بمعنى أن تكون بعض الأجناس عبقرية بطبيعتها، والأخرى عاطلة من العبقرية بحكم الطبيعة، كما أثبتت علوم اللغات المقارنة الحديثة، أن العبقرية قادر مشترك بين جميع الحضارات، فكل حضارة أبدعت ونقلت وكانت لها سمة تميزها بين الحضارات الأخرى. ولم توجد قط حضارة تفردت بالعطاء دون الأخذ، أو بالابتداع دون الاتباع. بل لم توجد قط حضارة على ظهر الأرض، كان جميع علمائها من عنصر محض خالص ينتمون إليه ولا يمتزجون بالعناصر الأخرى.

أما وقد أثبتت العلوم الحديثة هذا كله، واقتبت بالتالي أن العبقرية والأصالة ليست حكراً على جنس دون جنس أو على أمة دون أمة، وإنما هي مشاع لكل الأجناس وكل الأمم دونما الغاء لمزايا الأجناس وخصائص الشعوب، وإنما هي ظروف حضارية وتاريخية هي التي تساعد على النمو والازدهار في جانب وإن حجبها في جانب آخر. وهي ظروف عارضة وعابرة. قد تعرض لأمة من الأمم فتعوقها عن الابتكار والازدهار، وقد تعرض عن أمة أخرى فتدفعها في طريق النمو والتنمية حتى تحقق لنفسها وللآخرين كل معاني الأصالة والعبقرية.

لهذا كله ولكن غير، بات من الضروري إعادة النظر في قضية الاستشراق، وطرحها في ضوء مكنسباتنا المعنوية والمادية الجديدة، طرحاً يتبرخي الانصاف الموضوعي لحركة الاستشراق.. مالها.. وما عليها؟ ماذا نأخذ منها وماذا ندع؟ وما الذي نفعله بكتب وكتابات المستشرقين. هل نقدف بالسلي منها إلى النار، أم نطالعها في نور الوعي، الوعي بتراثنا الأصيل، وثقافتنا المعاصرة؟ وإذا كانت بحلة «الفصل» قد تصدت في هذا العدد، لعقد هذه الندوة التي تطرح فيها قضية الاستشراق طرحاً موضوعياً جديداً متنوعة في أعضائها من الباحثين والمتخصصين روح الانصاف والأمانة العلمية، حتى لا يصدروا في اجاباتهم عن شعور بالنار، أو يصعدوا عن القضية برمتها عن شعور بالنقص، فإنها تأمل من خلال طرح هذه القضية أن ينهي الطرح إلى الكشف عن الحقيقة الموضوعية، وإظهار وجه الحق.


المستشرقين، فيقول:

«التاريخ مشاركة قبل كل شيء، ولما كان المستشرقون يصدرُونَ عن أفكار وآراء عقائدية من شأنها تشويه وجه التاريخ العربي الاسلامي، وتقدمه بصورة بعيدة عن جادة الصواب وصحيح ان المستشرقين كشفوا عن اشياء فانت المؤرخين المسلمين، ولكن الصحيح ايضا ان الكشف شيء، والتاريخ شيء آخر.

وربما ساعدنا الكشف عن الحقائق في كتابة تاريخنا كتابة سليمة من الخطأ، قريبة من الصواب ان لم تكن هي عين الصواب، ولكن ذلك يقتضي منا ان نحذر كل الحذر، ونحاط كل الحيطه ونحن نتعامل مع المادة التاريخية التي يقدمها لنا المستشرق المؤرخ، او المؤرخون من المستشرقين».

اما عن الدعوة التي يدعو اليها الدكتور احمد ابراهيم دياب بشأن اعادة كتابة التاريخ فهو يرى ان تقام لها ندوة وان تلزم هذه الندوة مجموعة من الضوابط والروابط تحاسبها للوقوع في اية منزلقات، وفي رأيه ان العمل الجماهيري افضل بكثير من الجهود الفردي، وهذا معناه تشغيل لجان متخصصة تتكامل فيما بينها من اجل الوصول الى الكمال، او الاقتراب منه بقدر الامكان. وهنا يجيء دور «منظمة اليونسكو العربية» في تقديم العون كل العون لانجاز مثل هذا العمل الهام.

سرقوا المخطوطات النادرة

ومن جمهورية مصر العربية، يجيء الدكتور عبدالرحمن زكي، الاستاذ بكتبة  كليات بجامعة القاهرة ليبيدي رأيه في هذه القضية من خلال تخصصه في مادي الآثار الاسلامية. والتاريخ الاسلامي، يقول الدكتور عبدالرحمن زكي «ان جامعة الدول العربية تخطت خطوة فسيحة في جمع المخطوطات، يختلف ألوانها وشتى صنفها، ولكن هذا وحده لا يكفي. وانما الواجب هو تشكيل لجنة موسعة تكون مهمتها اختيار ابداع واروع ما في تراثنا العربي والاسلامي ثم العمل على تحفيظه ونشره على المساحة العريضة من جمهور القراء».

ونسأل الدكتور عبدالرحمن زكي - وكيف يمكن التجهيز والاعداد لمثل هذا العمل من ناحية، وللمثل هذه اللجنة من ناحية اخرى، ويرد قائلا:

«هذا العمل في الواقع يتطلب اعداد جهاز ضخم من الباحثين العارفين بفنون التحقيق والنشر. والاحاطة باللغة العربية، والامام باللغات الاجنبية وكذلك التدريب على استخدام الاجهزة الحديثة فضلا عن تكوين جهاز تكون مهمته

دونه من رحلات، يحتاج الى قدر كبير من الخيطة والحذر، لان اكثر هذه الانجازات لم يكن ينسجم بصفة الموضوعية، فالزعماء الصليبية والاستعمارية والعنصرية عملت على تشويه العديد مما قدمه المستشرقون، وبعدت به عن الموضوعية التي يجب ان تتوافر في كل بحث علمي».

واخيرا يقول باحثا المغربي عن المظهر الثالث والخاص بتدوين المستشرقين للرحلات، «لنا لا نعرف تماما في تدوينهم للرحلات، ما اذا كان هدفهم علميا صرفا، ام مشويا ببعض الاغراض غير العلمية، ويستطيع القارئ حتى من الوهلة الاولى ان يدرك ما تكنه طوية هذا المستشرق او ذاك من خلال تدوينه لهذه الرحلة او تلك».

ويغيب الدكتور عباس جباري على تفنيده لهذه المظاهر الثلاثة، بقوله «لنا اليوم، وبعد ان اصبحت امورنا بأيدينا، ونيسرت لنا وسائل الاتصال بالخزائن والمكتبات في كل مكان، وبعد ان اخذنا بمناهج البحث العلمي الحديث في مختلف نموتنا ودراساتنا، اصبح من حقنا بل من واجبنا، ان نعيد النظر فيما كتبه المستشرقون، لا من اجل تقيييمه وتقويمه فحسب، ولكن لكي نتناول نفس الموضوعات التي سبق لهم ان تناولوها بالمناهج العلمية وبما ينسجم مع حقائق امتنا، وواقع مسيرتنا التاريخية.

وتبني بعد ذلك المستشرقين مادة يمكننا ان نعيد منها، باعتبارها تشكل وجهة نظر اجنبية في تراثنا العربي الاسلامي، وهي مادة نستطيع ان نستأنس بها في الفهم والتحليل دون ان نغتمد عليها اعتماداً اعمى. ودون ان نقلدها تقليدا كاملا.

اعادة كتابة التاريخ

اما الدكتور احمد ابراهيم دياب من السودان، فيبدي برأيه الشخصي في حركة الاستشراق، فيقول:

«انا شخصيا لا ارحب بآراء المستشرقين، وما اقدر من كان منهم غير منحاز او متحيز. لذلك فأنا ادعو الى اعادة كتابة التاريخ، واعني بالتاريخ، تاريخ هؤلاء المستشرقين، من خلال ما كتبوه عن تراثنا العربي الاسلامي، فهم قد حاولوا بأفكار مسبقة قبل ان يطلعوا على تاريخ المسلمين، ويطبقوا هذه الافكار بشكل لا يخلو من التسف والتعنت، فضلا عن انهم لم يعايشوا ما كتبوه عن العرب والمسلمين، ولم يتسوا اليه انشاء وجدانيا. لذلك غابت عنهم الحقيقة ووفقوا عند ظواهر الاشياء».

ويستطرد الدكتور احمد ابراهيم دياب في حملته على

هي كيفية حماية المخطوطات من التلف وهو ما سبقنا اليه الأوروبيون.

ويستطرد الدكتور عبدالرحمن زكي قائلا:

«وهناك كذلك المنظمة العربية للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، وهي تحاول انشاء مراكز لحفظ المخطوطات وصيانتها، كما تحاول ان تنشر التراث على الوجه الامثل، وهو الوجه المطلوب. اذا فالعمل الجماعي المتكامل والمتكاتف هو النخط المطلوب لدفع الازدواجية في تحقيق التراث، ثم العمل على تأسيس مطبعة كبرى تقوم على طبع ما يتم تحقيقه واعاداده من كتب ومخطوطات التراث».

ونرجع الى قضية الاستشراق مرة اخرى فنسأل الدكتور عبدالرحمن زكي عن تقييمه العام لدور المستشرقين في حياتنا الثقافية، والى اي حد اساء ام افاد هذه الحياة، يقول أسفا:

«حركة الاستشراق للأسف البالغ كانت تستهدف أكثر ما تستهدف دراسة الدين الاسلامي والحضارة العربية، لا الدراسة المقصودة لذاتها، ويصرف النظر عن اي اعتبار خارجي .. سياسي او عنصري، ولكنها الدراسة التي تحاول التعرف على خصائص الطبيعة العربية، على نحو يمكنهم كأوروبيين وغربيين من التعامل مع هذا الجنس البشري من اجناس الشعوب. هذا بالإضافة الى مخططاتهم الكبيرة في استلاب المخطوطات النادرة من كل بلدان الوطن العربي الاسلامي، ومن المتاحف والخزائن والمكتبات الوطنية، هذا كله في الوقت الذي كانت الامم العربية الاسلامية تعيش تحت وطأة الاستعمار، فلا تقوى على حماية نفسها فضلا عن حماية هذا التراث.

وهذا هو دور العرب المسلمين في عصرنا الحاضر. بعد ان حصلوا على حريتهم واستقلالهم واصبحت لهم شوكتهم، فليس لهم من عذر في استعادة تراثهم السليب، كما استعادوا حريتهم الغنصية.

الغرضية في دور المستشرقين

والفتينا بالدكتور مصطفى لطفي ييلجا، استاذ التاريخ الاسلامي بجامعة استانبول بتركيا، ودار معه هذا النقاش حول حركة الاستشراق ودور المستشرقين.

وكان قد حضر مؤتمر الارشاد والتبليغ الذي عقد بالمدينة المنورة ١٣٩٧ هـ والى يبعثنا في هذا المؤتمر عن المستشرقين. وعن اهدافهم المعادية للاسلام، ويبدأ الدكتور مصطفى لطفي ييلجا كلامه عن الاستشراق فيقول:

علينا ان نعرف اولاً ان مراكز المستشرقين في جامعات اوروبا، لم تفتح اعتباراً، وانما كان الهدف منها هو فهم الاسلام، كعقيدة وشرعية، وذلك لخدمة اهداف استعمارية فضلاً عن تزييف تاريخنا الاسلامي، وتشويه علومنا الاسلامية.

واستوضح الدكتور مصطفى لطفي ييلجا رأيه في هذه الناحية من نواحي الاستشراق، وكيف يمكن ان يكون هذا الهدف محسوباً على الحقيقة العلمية، والموضوعية «الأكاديمية»، وهو ما يدعيه المستشرقون، فبرد قائلا:

«هؤلاء المستشرقون الذين كتبوا في التفسير، قالوا الكثير والكثير جدا ضد التفسير، والذين كتبوا عن الحديث ارادوا ان يثيروا الشبهات حول رواية الاحاديث مثل (جولدنزيه) (وشاغت) وغيرها.

«هذا بعينه هو ما حدث في ميادين التاريخ الاسلامي والفقه الاسلامي، فهم قد كتبوا في هذين الميدانين، وغايتهم اللقاء الشبهات في عقول المسلمين، وتقديم الاسلام الى الغرب بالصورة التي لا تشجع الغربيين على الدخول في الاسلام.

وهنا بادرننا على الفور سؤال الدكتور مصطفى لطفي ييلجا، عن موقفنا الراهن من كتب المستشرقين وكتاباتهم، ماذا ينبغي ان يكون موقفنا منهم الآن ؟، هل نعرض لكتبهم ام نعرض عنها ام نتعرض لها ام نعارضها ؟، وكان جوابه:

«حسن، ماذا علينا ازاء المستشرقين اذا صدر لاحدهم كتاب في العلوم الاسلامية او في تاريخ المسلمين. هذا بالفعل سؤال هام، واجابته انه من الواجب علينا ان نتناول الكتاب بمنهج علمي وننقده بأسلوب موضوعي، ونحن نقدم الكتاب مترجماً الى القارئ العربي المسلم مع ابداء وجهة نظرنا في الكتاب من ناحية، ووجهة نظر العقيدة الاسلامية من ناحية اخرى، حتى لا يحدث الكتاب الاستشراقي اية بلبلة في عقول القراء».

هذا فيما يتعلق بالمستقبل، او فيما هو آت من كتب للمستشرقين. ولكن ماذا عن الماضي، غا صدر لهم بالفعل من كتب ؟ واجاب الدكتور مصطفى لطفي قائلا:

«علينا ان تشكل لجنة تكون وظيفتها مراقبة وانتقاد واعادة تقييم آثار المستشرقين التي طبعت حتى اليوم، والتي استطع في المستقبل، على ان تكون هذه اللجنة من باحثين متخصصين في مختلف العلوم الاسلامية. فاذا ما صدر كتاب لواحد من المستشرقين، عرض على اللجنة المقترحة هذه، حتى نقر مدى صلاحيته للترجمة والنشر.

وعدنا نسأل الدكتور عبدالحلil التيمبي، وآلآن، كيف نواجه هذا الموقف برفضه ام قبوله، ام اعداد نوعية جديدة من الباحثين العرب والمسلمين للرد على مزاعم المستشرقين ؟ وكانت اجابته:

«اعتقد ان نوعية المؤرخين العرب التي نريدها بمجتمعاتنا، هي التي تحدد نوعية الاستفادة من اعمال هؤلاء المستشرقين، ونوعية المؤرخين العرب، كما اعتقد ان المستوى الذي نريده لهم هو الذي يعطي الابعاد الحقيقية لمواقفتنا منهم، ومن كتبهم وكتاباتهم، فان كان لدينا حقيقة علماء بالمعنى الكامل لهذه الكلمة، فانا لا اخشى على مجتمعاتنا من كتاباتهم ولا من تفكيرهم، لان تفكير المستشرقين وكتاباتهم في هذه الحالة، يمكن ان يتبلور مع عمق دراساتها، وجودة تفكيرنا، ومنهجية اجابتنا.

وعدنا نسأل الدكتور التيمبي، عا اذا كان هذا العمل في مقدور افراد باعيتهم، اما انه ينبغي ان تشارك فيه الهيئات العلمية والجمعيات الثقافية، حتى تحقق له نوعا من التكامل والشمولية، وكانت اجابته:

«هذه القضية بالفعل، واحدة من اهم القضايا التي يعاني منها مجتمعنا العربي الاسلامي، كما تعاني منها معاهدنا وبعاني منها كذلك باحثونا بوجه عام، واذا نحن اردنا بحق النجاح لمستقبلية الابحاث العربية الاسلامية، وجب علينا ان نقوم بعملية مسح شامل للمتخصصين والمتخصصين في موضوع التراث العربي الاسلامي، وان نصدر نشرة دورية تعكس اهتماماتهم ومشاعرهم بهذه الطريقة. او بمثل هذه الطريقة يمكن ان نتاحتس الاحطاء الكثيرة التي لا نعتز والتي نفع في ميدان التحقيب والنشر. والتي لم يعد هناك، بيزر وقوعها اليوم وقد ساعدت الطائرات ووسائل المواصلات على اختصار الزمن وتقريب المسافات. ووجدنا نواتج تسعين العمل بين كافة المعاهد العلمية. وشمل توجيه الباحثين كافة ابعاد العملية الزائفة مما يساعد في النهاية على تحقيق شمولية البحث في تراثنا العربي الاسلامي.

منظمة اليونسكو العربية

ومن الحواضر، التقيت بالدكتور رشيد بورويبة، اسناد تاريخ المغرب الاسلامي بجامعة الجزائر. والاستاذ بدمسة العنوني الجنسية باخراير. وبدأنا بسؤاله عن قضية التراث من ناحية، وعن حركة الاستشراق من ناحية اخرى فقال:

انا لشاهد في بعض الاحياض صورة واضحة لعمد التنسيق في ميدان البحث العلمي وفي ميدان تحقيق المخطوطات

«على الاقتصار دور هذه اللجنة على ذلك فقط، بل عليها ايضا وبالإضافة ان تشير باعداد دراسات وابحاث من قبل العلماء المسلمين، تقف وجهها لوجه امام دراسات المستشرقين وابحاثهم، حتى يكون تراثنا العربي الاسلامي في ايد امينة، تطمئن القارئ من ناحية، وتزري المكتبة الاسلامية من ناحية اخرى.

«وانا اذكر هنا على سبيل المثال «دائرة المعارف الاسلامية» فما اكثر المواد التي ترجمت منها الى لغتنا.. العربية والتركية والفارسية.. ترجمت عن الطبعين الانجليزية والفرنسية، دون اي تحميم او تفنيد لكثير من المزاعم الاستشراقية التي وردت في هذه المواد».

واستطرد الدكتور مصطفى بيلجا، قائلا:

«ولقد كتب في هذا الموضوع عدد من باحثينا المتمازين مثل الدكتور عمر فروخ، والدكتور مصطفى السباعي، اللذان طالما حذرا القارئ العربي المسلم من آثار المستشرقين، حتى لقد قال الدكتور مصطفى السباعي في كتابه عن «الاستشراق والمستشرقون» انه زار كثيرا من مراكز الدراسات الشرقية في اورويبا، فوجد ان رؤساء هذه المراكز اما من القسس او من الرهبان ففساد مندهشا، وماذا ننظر من هؤلاء جميعا بالنسبة للاسلام ؟

«بل اكثر من هذا انا نجد من المستشرقين الغربيين من لا يجيد اللغة العربية ويتحاول ان يقوم بترجمة القرآن الكريم، فكيف يمكن ان تصور هذا ؟ بل كيف نستطيع ان نتق في حركة الاستشراق، دون ان نتأولوا بالكثير والكثير جدا من الخبطة والخلابة».

القضية من وجه آخر

وليتي بالدكتور عبدالحلil التيمبي، اسناد التاريخ الحديث لجامعة تونس، ونستعرض معه تاريخ حركة الاستشراق، واهم الاشارات التي قدمها المستشرقون، ورأيه في تقييم الحركة الاستشراقية بوجه عام، وكان ان بدأ اجابته قائلا:

انا انظر للقضية من وجه آخر. فهؤلاء المستشرقون قاموا بواجبهم الوظيفي بالنسبة لبلادهم. في وقت لم تكن تستطيع فيه ان تواكب الحركة الفكرية في العالم من حولها. ولا حركة المستشرقين الفهم في الكشف عن كنوز تراثنا العربي الاسلامي ومن ثم كان الطريق امامهم واسعا وممتدا لتحقيق اهدافهم ومرامهم البعيدة. في الوقت الذي كنا فيه بعيدين كل البعد عن ادراك هذه الاهداف، وفهم هذه المرامي.

ونشرها، فكثيرا ما نرى باحثين اثنين يقومان بتحقيق مخطوطة واحدة، بينما تظل مخطوطات اخرى كثيرة في زوايا السبائن تنتظر من يذكرها او يتذكرها لكي ترى النور. ومرجع ذلك في رأبي هو ضعف العلاقات العلمية بين الجامعات العربية من ناحية ومراكز البحوث الاسلامية من ناحية اخرى. وهذا مما يقتضي بالسرعة وبضرورة البدء فوراً في تنسيق العمل في مختلف المجالات وفي شتى الاتجاهات».

وسألنا عن السبيل الى ذلك، كيف يمكن تنسيق مختلف المجالات في شتى الاتجاهات فكانت اجابته:

في تقديري ان الحل الامثل هو انشاء مركز للوثائق العربية، يكون مجهز بأحدث الاجهزة العصرية. ويوضع في خدمة كافة الباحثين في قضايا التراث في الوطن العربي الاسلامي كله. ويمكن ان يكون هذا المركز تابعاً لمنظمة اليونسكو العربية، وفي اي بلد من البلدان العربية.

«هذا بالإضافة الى دور الباحثين العرب في ضرورة انتقاء كتب التاريخ التي يحتاج اليها القارئ من ناحية، والتي يمكنه ان يستوعبها ويفيد منها من ناحية اخرى، وينبغي للكتب التاريخية وخاصة ان تفضل طباعة جديدة، مودق باليسوع والخلاط والصور الفوتوغرافية حتى تتحقق الفائدة المرجوة منها على الوجه الاكمل».

وسألناه عن رأيه في حركة الاستشراق، فكانت اجابته:

«لست ممن يرفضون الاستشراق، لانني لا انسى ابداً اني كنت تلميذاً للمستشرقين فلقد ساعدني الأستاذ (فولبي) في إيجائي، واشرف على اطروحتي الاولى والثانية هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى، ينبغي ان نلاحظ ان المستشرقين اسهموا مساهمة كبيرة في الحفاظ على التراث العربي والاسلامي، فكيف والحال كذلك، يكون موقفنا من المستشرقين موقفاً رافضاً ومضاداً؟

«هذا مستحيل!»

«بل اكثر من هذا انني اطالب البلدان العربية بتشجيع حركة الاستشراق والوقوف الى جوار الموضوعين من المستشرقين حتى نستطيع ان نوجد جواً من المنافسة العلمية الموضوعية والشرقية بين الباحثين العرب وبين الباحثين من المستشرقين.

صحيح انه من واجبننا مراقبة اعمال المستشرقين، فلا نتركهم يفعلون براءتنا ما يشاءون ولكن يجب ان نفيد منهم في ذات الوقت، وان نشاركهم ونشرك معهم في المؤتمرات العلمية التي تعقد في الوطن العربي او في غير الوطن العربي.

واخيراً ارجو للمستشرقين ان يصبحوا بعد جيل او جيلين

مؤيداً للعلماء والباحثين العرب بعد ما كانوا اساتذة لهم. وهذا يستوجب من العلماء العرب والباحثين المسلمين ان يكونوا في المستوى العلمي والاكاديمي الذي يمكنهم من اعتلاء كرسي الاساتذة.

تعقيب

تلك كانت اهم الآراء التي قبلت في موضوع الاستشراق، وهي الآراء التي وإن تشابهت كثيراً واختلفت قليلاً، الا انها في مجملها تعكس وجهة النظر العربية والاسلامية في الحركة الاستشرافية، وهي آراء على جانب كبير من الاهمية، في موضوع لا يقل عنها خطورة وخطراً، الا وهو اعادة النظر في حركة الاستشراق، وطرحها طرحاً موضوعياً جديداً، في ضوء وعينا الثقافي والحضاري الجديد، وفي ضوء تطلعاتنا وتشوقنا لان نأخذ بأيدينا مقاليد امورنا الثقافية والعلمية بعد ان ملكنا زمام انفسنا حياتياً واجتماعياً وعلى المستوى الحضاري.

وهو طرح نرجو ان يجد فيه القارئ الفاضل في **الجزء الثاني**، والبحر كل الخير في التظايف الثقافية نحو اتفاق أوسع. ونحو غايات أبعد مدى.

كلمة عن كتاب سيبويه

بقلم : د. عبد الله الطيب

نحو قولك قد زيدا رأيت وكى زيد بأنيك وأشباه هذا. وأما الحال الكذب فأن تقول: «سوف أشرب ماء البحر أمس». أعجبتني جدا هذه القطعة وساعدني على الإعجاب بها اننا كنا آنئذ ندرس المنطق، وبدا لي ان سيبويه ههنا لم يتعرض لعلم النحو وحده فحسب، ولكن ألم بأصناف مما يعرف باسم علم المعاني من العلوم الموسومة باسم البلاغة، وتنسب فيها الى عبد القاهر الجرجاني فضيلة سبق لا أراها له، على فضله، وإنما أراها لسيبويه ولأستاذه الخليل وتلاميذهما من بعد الذين وطئوا علوم النقد وكانت عندهم جميعهم كلا واحدا كما هو واضح من تأليف محمد بن يزيد المبرد في الكامل، وما كان يعرف الا بالنحوي.

هذا وفي المقال المتقدم انما أراد سيبويه ان يجهد بجمل لما سيفصله من بعد، ومن أمثلة ذلك في أوائل الكتاب قوله: هذا باب تحوير فيه عن النكرة بالنكرة، وذلك قولك ما كان أحد مثلك وليس أحد خيرا منك وما كان أحد مجترأ عليك وإنما حسن الاختيار ههنا عن النكرة حيث أردت أن تني ان يكون مثل حاله شيء أو فوفه لأن المخاطب قد يحتاج الى ان تعلمه مثل هذا-

أول عهدي بكتاب سيبويه رحمه الله في أوليات سنوات الأربعين، عصر كنا تلاميذ في المدارس العليا، وهي التي صارت في ما بعد جامعة الخرطوم، وكان مقررا علينا في النحو بمدرسة الآداب كتاب «الكامل في النحو» لأحمد زكي صفوت وهو كتاب جيد، طريقة تأليفه مبنية على ما عليه الفقيه ابن مالك. وكنا آنئذ نؤثر من الكتب ما كان مثله صحائفه بيض ومن كتب النصوص ماله شروح في أسافل الأوراق على الطريقة الأفريقية، ونفتر من الكتب ذات الأوراق الصفراء والخواشي. وكانت طبعة بولاق من هذا الضرب. وكنت قد ألفت في طبعة كتاب كامل بن يزيد، وهو كما لا يخفى غير المتقدم. وقلت الورقات الأوليات، واذا بعسر شديد بلقاني في الصفحات الأولى، ولا أحسني مضيت فيه كثيرا غير أنني استوفيتي قوله: «هذا باب الاستقامة في الكلام والاحالة» فنه مستقيم حسن وعال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب، فأما المستقيم الحسن فقولك أنتيك أمس وسأتيك غداً وأما المحال فأن تنقض اول كلامك بآخره فتقول أنتيك غدا وسأتيك أمس، وأما المستقيم الكذب فقولك حملت الجبل وشربت ماء البحر ونحوه. وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ غير موضعه

كلمة عن كتاب سبويه

أراد حياة لتبقى له

فئات المؤمل قبل الأمل

حسبنا يروى أصول الفسيل

فئات الفسيل وعاش الرجل

فوقع في نفسي أن الفسيل الذي عاش هو هذا الكتاب - وقد ذكروا أنه أنفَس من بعض أصحابه، أن يعاونه على إحياء علم الخليل، فلم يخف لذلك منهم أحد، فتفرد هو لذلك وتجرّد فاتفق له هذا الإنتاج الباهر العظيم.

وروي أن أبا عَمَّان الجاحظ أهدى إلى صديقه أبي جعفر محمد بن عبد الملك الزيات نسخة من كتاب سبويه، وقال له أنه لم يجد بعد كتاب الله شيئاً يهديه إليه أنفَس من هذا الكتاب.

وهذا بالجاحظ من ناقد وأديب. وما كان ليقول ذلك وكتاب سبويه عنده مجرد كتاب نحو.

فصح عزمي على ركوب البحر. وهكذا كان يقول المبرد رحمه الله لمن بهم بقراءة كتاب سبويه ودرسه، وذلك أنه فيه الدر واللحج المرويات.

واتفق أن كان في معهد اللغات الشرقية أيام كنت أخصر للدكتوراة الدكتور محمود السمران، وقد صار بعد أستاذاً باسكندرية، ثم توفي وهو في روق شبابه رحمه الله. وكان يحضر هو أيضاً للدكتوراة. وكنا كثيراً ما نلتقي فنتجاذب أطراف الأحاديث في أبواب من الأدب واللغة - وكنا نجد في تقليد آراء سبويه ومراجعة بعض نصوصه فائدة عظيمة. وكانت النسخة التي عندي وكذلك مثلها عنده من طبعة باريس. وكان ربما شاركنا أحياناً كثيرة الدكتور سيد يعقوب بكر، وكان هو أيضاً بعد للدكتوراة، وقد صار فيما بعد عميداً لكلية الآداب بالقاهرة، ثم قد توفي منذ زمان قريب وهو في أول عشر

أنظر إلى قوله لأن المخاطب قد يحتاج إلى أن تعلمه مثل هذا فإن هذا في صمم علم المعاني كما ترى.

ثم يقول رحمه الله، وإذا قلت كان رجل ذاهبا فليس في هذا شيء تعلم كان جهله، ولو قلت كان رجل من آل فلان فارسا حسن لأنه قد يحتاج إلى أن تعلم ذلك.

وانظر قوله حسن فانه يرجع بلا إلى التفصيل الذي قدمه قبل من قوله حسن وقبيح ومحال وكذب وهلم جرا.

هذا وقد وجدت في كتاب سبويه أول قرائنه عمرا شديدا ولم يكن النحو الذي عندي حينئذ على حيي له بتمهيد حق صالح له، اذ كتاب سبويه هو ليس بمحض كتاب نحو، ولابد لقارئه من شرح يوطئه له من شارح ملم، فإن لم يجد شارحا ملما لزم أن تكون له كما يقولون الآن خلقية من العربية وكتب النحو، ولأسيا التي من ضرب شرح الأشموني، جواف خوال من غير كوالح القواعد بعد تجريدن من ذوق اللغة نفسها مما الكتاب به مفع. والكتب التي تأثرت بمذهب الكتاب مثل مفصل الزمخشري وشرح الكافية للرضي.

هذا ومضى زمان وكنت أقلب صفحات من كتاب تاريخ بغداد، فوجدت في ترجمة سبويه رحمه الله، أنه كان على رأس جامع البصرة شيء يستدل به على اتجاه الهواء، فسأل سبويه أحد تلامذته أن يخرج فينظر أين اتجاه الريح، فخبره أنه من كل اتجاه، فقال له قل: تذاعبت الريح. وإنما ساق صاحب التاريخ هذا الخبر ليدل على مكان سبويه من الفصاحة وصحة اللغة.

وأحزني وأنا أقرأ ترجمة له مما كتب الخطيب أوباقوته أنه لمّا كبد له عند البرامكة خوخ محزوناً، ومروض ببعض الطريق، واشتد به المرض وكان معه أخوه، فكان إذ يقارب سكرات الموت ينظر إلى أخيه ففطرت دمعة منه على خده، فتمثل رحمه الله بقوله:

هو عمرو بن بحر الخولاني في عام ٧٧٥ والمتوفى في عام ٨٦٨ للهجرة. وكانت ولادته ووفاته بالبصرة، حيث نشأ في أسرة فقيرة. فواصل التعلم في الكتاب والمسجد والحلقات، والاطلاع على كل ما تقع عليه يده. اتصل بعلماء الكلام - وازدهر في اللغة - واجاد في الفقه - وألف كتاباً في التاريخ - وألف كتاباً في الطب - وألف كتاباً في الفقه الإسلامي.

- وكشف لها عن أسناع في الرزينة، وبراعة في الوصف، وفدرة على التمييز، ودقة في التصور المحسني والتضيي مع ميل إلى الفكاهة.
- قصد إلى بغداد، وزار دمشق والطائفة ورعا مصر، وفي آخر حياته أصيب بطلق نفسي فعاد إلى البصرة.
- ولقد أشهر الملاحظ بكية عن «الحويان»، و«البخلاء»، و«البيان والدين»، و«الحامس» والأعزّاء.

المورد

هو محمد بن يزيد المولود في عام ٨٢٦ والمتوفي في عام ٨٩٨ للهجرة، ولقد ولد بالبصرة ومات بغداد، ودرس اللغة والنحو على المازني والجرمي، والسجستاني حتى صار اماما للبصريين، فأخذ عنه الزجاج، والسراج، ونفطويه.

• شهر في اللغة والنحو والادب والتفسير والاعجاز، وألف فيها كتباً كثيرة أشهرها كتاب «الكامل» الذي يعد أحد أصول الادب القديمة.

• ويمثل مبعث اللغويين القدماء والمعارف العربية المختلفة في عصره.

من أشهر كتبه «المقنن» في النحو، و«معاني القرآن» والرد على

ولا ذللت بعد لي ولا لكثير من الناس مصاعبه -

وقد ترجم الى الألمانية في القرن الماضي. وقد رأ
المستشرقين يصيرون على النظر فيه. وبجسارتهم على الأخذ
أشد. وإنا خاصة ما أشك ان علم العويات أحدث مد
للهذه في الكتاب ولمذهب شيخه أبي عبد الرحمن الخلف
ورحمهما الله. وكذلك علم الصوتيات وهذه قد قلها أبو
الرحمن علما. حتى ان الزعم بزيادة شيء عليه باطل.

ولا يسع المجال هنا لتفصيل بعض ما تقدم أجله
سبق أني بشر وأني عبد الرحمن إلى مذاهب اللغويات وفلسفة
فأحسب بالتنبية إلى ما بدأت به وما هو أعلو محيبي
سبق أني بشر في البلاغة والأدب. ولعجبني جدا تقديم الأستاذ
الفاضل العلامة محمود مصطفى لطبعة الكتاب بقوله في عنوان
«كتاب علم الأعلام» إمام كل إمام مالك أئمة الأدب وملوك
علوم العرب أني بشر عمرو الملقب بسبيو» «وموضع استشهائه
قد كان حقاً ما لكها، روح

عربي شامل على الحروف باسم
(كتاب العين) وتنسب اليه
كتب (معاني الحروف) و
(جملة آلات العرب) و
(العوامل) و (العروض) و
(النقط والشكل) و (النغم)
وغيرها.

اشهر تلاميذه سيويه
والاصمعي والتضري بن شميل،
بعد شيخ نخاة البصرة في
القياس والتعليل النحوي. كان
عارفا بالموسيقى فاستنبط علم
العروض وألف اول معجم

ولد بعمان ومات بالبصرة،
درس اللغة والقرآن والحديث
على أبي عمرو بن العلاء
وعاصر الأحوال وعاش زاهدا

قال سيويه بذكر مقال أبي الخطاب رحمهما الله وما زعمه
أبو ربيعة في تفسير الآية: «لأن هذه الآية فيها زعم مكية ولم
يؤمر المسلمون يومئذ أن يسلموا على المشركين ولكنه على قوله
براءة منكم وتسلموا لا خير بيننا وبينكم ولا شر».

تأمل هذا الذي قدمناه من كلام سيويه وما اشتمل عليه
مع التعليل النحوي من التفسير وعلم القرآن والتعليل الى بلاغته.
وتأمل بعد قوله وهو يوضح هذه المعاني التي قدمها: «وزعم
- (يعني أبا الخطاب) ان قول الشاعر:

سلامك ربنا من كل فجر

بريا ما تغتلك الذموم

على قوله براءتك ربنا من كل سوء. فكل هذا ينتصب انتصاب
حمدا وشكرا الا ان هذا يتصرف وذاك لا يتصرف» يعني ان
حمدا وشكرا يتصرف لأنه يقع مواقع مختلفة في الاعراب
بخلاف سبحان فهو اما منصوب مضافا او معزولا عن الاضافة
ممنوعا من الصرف وربما جاء منونا.

قال رحمه الله: ونظير سبحان في البناء من المصادر والمجرى
«أي في كون أن أصله مصدر وأن مجراه أي حركته النصب» لا
في المعنى، غفران لأن بعض العرب يقول غفرانك لا كفرانك
يريد استغفارا لا كفرا ومثل هذا قوله ويقولون حجرا محجورا أي
حرما محرما يريد البراءة من الأمر (يعني بقوله حجرا) ويبعد عن
نفسه أمرا (يعني قوله محجورا أي بعيدا عنا). فكانه قال أحرم
ذلك حرما محرما. ومثل ذلك ان يقول الرجل للرجل أنفعل
كذا وكذا فيقول حجرا أي سزا وبراءة من هذا الخ. ا. هـ.

قلت وموضع الافادة بلغة العرب وفصاحتها ههنا لا يخفى
ولا أريد بعد في هذا الفصل أن استقصي وإنما أريد أن أتبه على
مكان هذا الكتاب الجيد النادر الذي عرف فضله الأولون
ويتبين ان يعرف فضله الآخرون.

أي براءة منه. - قلت قوله أبرئ براءة الله، براءه هنا مفعول
مؤكد لقوله أبرئ.

- رجع الحديث:

«وأما ترك التنوين في سبحان فانما ترك صرفه لأنه صار
عندهم معرفة» - أقول فاجتمع فيه العلمية وزيادة الألف
والنون وقد فصل هو الجانب النحوي من هذا في باب في اوائل
الجزء الثاني ص ١٠ من طبعة بولاق.

رجع الحديث

«وانتصابه كانتصاب الحمد لله» (عند من نصب الحمد)

«وزعم أبو الخطاب ان مثله قولك للرجل سلاما تريد تسليما
منك كما قلت براءة منك تريد لا ألتبس بشئ من أمرك».

ههنا كما ترى أدب وشرح وتفسير لا نحو بحث -

«وزعم ان أبا ربيعة» أي زعم أبو الخطاب ان أبا ربيعة -
وكان هذا كان فصيحاً، ممن تؤخذ عنهم اللغة «كان يقول اذا
لقيت فلانا فقل سلاما فرغم انه سأله ففسره له بمعنى براءة
منك» - أي اذا لقيت فلانا هذا فقل اني اتبرأ منك فصارت
سلاما بهذا المعنى «وزعم ان هذه الآية مفعول بها واذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاما بمنزلة بذلك» يعني بقوله مفعول بها أي
معمول بها على نحو هذا المعنى الذي زعمه أبو ربيعة وهو ان
هؤلاء الصالحين كانوا يتبرئون منهم فكان قالوا سلاما بمنزلة ما
قدم من قوله أبرئ براءة الله من السوء في تفسيره نصب سبحان
آفها.

هذا ويؤيد ما ذهب اليه أبو ربيعة ههنا ما روى من نحو خير
مصعب بن عمير أنه رد على لبيد قوله:

وكل نعم لا محالة زائل

بأن نعم الجنة لا يزول

المجيزة

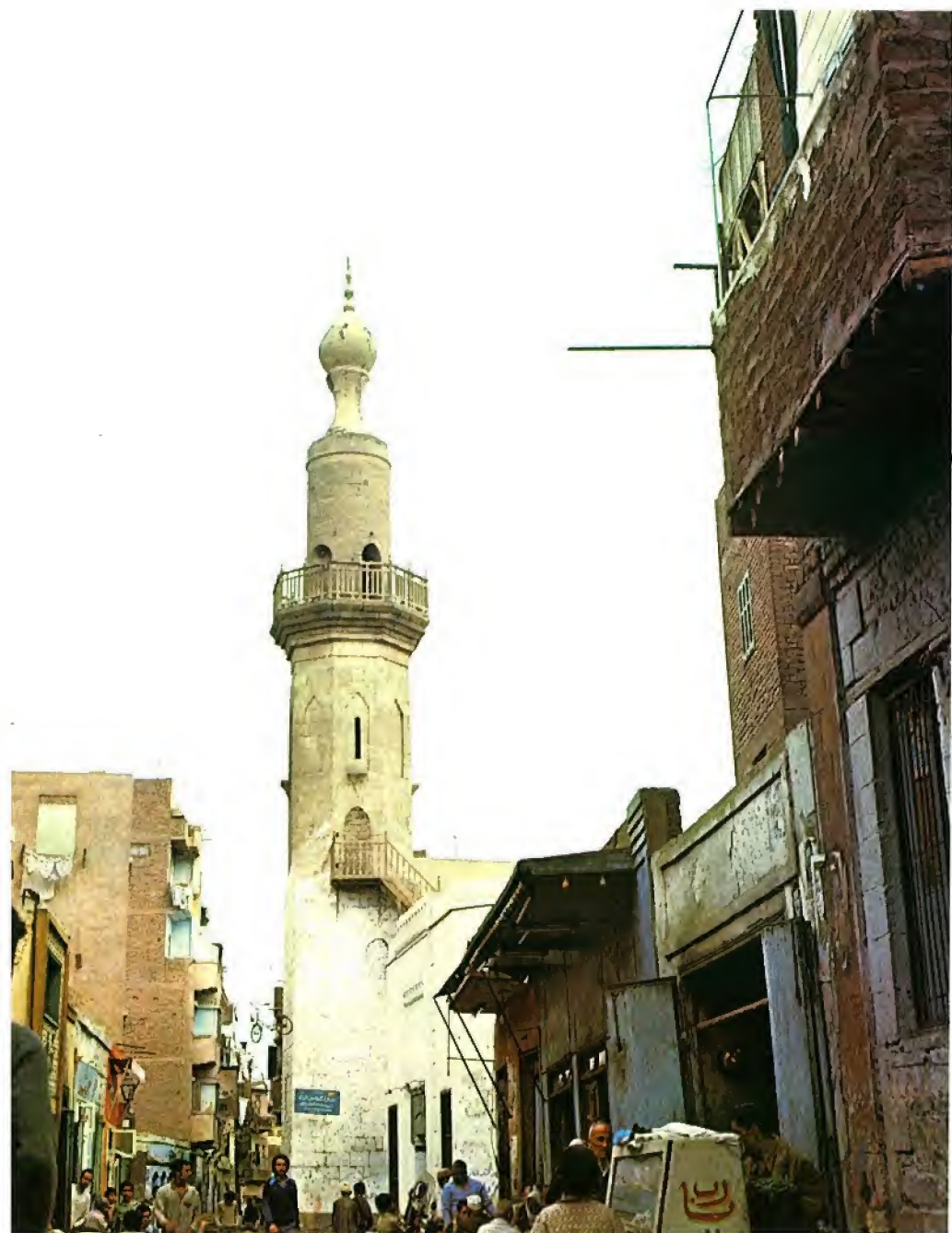
ثاني مدينة بناها المسلمون في مصر

إعداد : خيري شلبي

نفسه قد زار القاهرة حقا اذا لم يقم بجولة طويلة في مدينة
الجيزة، وتحتل الجيزة مكانا لامعا جدا في خيال الأطفال
المصريين والعرب على السواء، ولعلها كذلك أيضا
بالنسبة لأطفال بعض الدول الأوروبية خاصة فرنسا
والمجلترا.

ربما كانت مدينة الجيزة من أشهر الأقاليم المصرية
فعلى الرغم من وجود الأقصر وأسوان وغيرهما من المدن
المصرية الحافلة بالآثار التاريخية الهامة، إلا أن شهرة
الجيزة طبقت الآفاق، وأي زائر يأتي إلى القاهرة لا يعتبر





كان من الرأي الا يؤخذ الشاعر بهذه الدقائق الفلسفية، ما لم يأخذ نفسه بها، ويتكلف العمل لها، فيؤخذ فيها حينئذ بحكمة، ويطالب بما جنى على نفسه».

ونحسب أن هذا التفريق بين مجالات التفكير العلمي

والفكر الأدبي، هو الذي ينبغي أن يلاحظه القارئ.

لا عهد لهم به. و«الغربة» في طبيعة العوامل التي تجذب الانتباه، وتنشط العقول والقلوب، وتثير شعور الإعجاب، كما أن (الألفة) تغض كثيرا من قبح الأشياء، ولا سيما في عالم الفنون. ولا يوصف شيء بالجددة الا اذا كان فيه قدر من الغربة وبالإضافة الى ذلك فإن هذه «الجددة» أو «الغربة» مقياس من



المدارس الجديدة في جميع مراحل التعلم، بالإضافة الى المدارس الصناعية والزراعية، ومعهد لشلل الأطفال بامبابية ومستشفى للأمراض المتوطنة ومبنى لمديرية أمن الجزيرة وسوقين في امبابية وساقية مكى، والمعهد الصحي الفني، وسترال الهرم، ومدينة للطلبة والطالبات تضم خمس وحدات سكنية.

«صوت» التاريخ القديم في «ضوء» الحاضر:

وفي ابريل عام ١٩٦١ افتتح مشروع الصوت والضوء بمنطقة ابي الهول والأهرام بالجزيرة. وهو مشروع يعرض تراث وتاريخ مصر القديم عرضاً مضيئاً ناطقاً يحكي الكثير من عراقة حضارتنا ويوصل وثبتنا الحاضرة بنهضتنا البعيدة الغابرة.

واذا كان الاغريق يعتبرون الأهرامات من عجائب العالم السبع فان علماء الآثار ومهندسي المعار يعتبرونها أعظم ما خلفه القدماء من آثار ومن أبدع أعمال العمارة في جميع الأزمنة. ويقول «ديودور الصقلي» ان الآراء اتفقت على أن عظم شأن الأهرام لا يرجع الى ضخامة بنائها وما تكلفه من جهد ومال بقدر ما يرجع لدقة بنائها، فهندسوها أولى بالاعجاب من الذين دبروا نفقاتها. ومن الأقوال الماثورة عند نابليون قوله بأن اهرامات الجزيرة الثلاثة تحتوي من الاحجار ما يكفي لبناء سور حول فرنسا جميعها ارتفاعه ثلاثة أمتار وعرضه ثلاثين سنتيمتراً. وهي تؤلف معا - فيما يذكر الدكتور محمد أنور شكرى -

الأهرام وأبو الهول



بمجموعة متناسقة فريدة، كما تُولف مع ما يحيط بها من أهرامات صغيرة ومقابر أفراد الأسرة المالكة وكبار رجال الدولة مدينة كبيرة للموتى، وكان لكل منها اسمه، فكان الهرم الأكبر يسمى «مشرق خوفو»، والهرم الثاني «خفرع عظيم» والهرم الثالث «منقرع مقدس» - وقد اختار خوفو لهرمه أحسن موقع في الهضبة الغربية شالي منف حيث يشرف على الوادي الخصيب من عل لمسافات بعيدة مما يدل على اختيار مقصود. ثم تبعه خفرع فاختار لهرمه مكانا في الجنوب الغربي من هرم خوفو في موقع يبعد قليلا عن حافة الهضبة، وأخيرا أقام منقرع هرمه في مكان أقل ارتفاعا، ويبعد مسافة غير قصيرة عن حافة الهضبة.

وليس يملك الانسان وهو يرى الهرم الأكبر الا ان يهوله سموه وعظم مسطحاته وقوة رسوخه وحسن نسقه. وهو يُولف مع الهضبة التي يقوم عليها وحدة متسعة - وكان طول كل جانب من قاعدته ٢٣٠ مترا تقريبا، وكان ارتفاعه مائة وستة وأربعين مترا ونصف المتر، وزاوية ميل جوانبه ٥٢. وقد ظل أربعين قرنا اعلی بناء في العالم حتى أواخر القرون الوسطى عندما بنيت بعض الكاتدرائيات التي تعلوه قليلا. وكانت مساحة قاعدته حوالي ٥٣٠٠٠ متر مربع او ما يقرب من ١٣ فداناً، وهي مساحة تسع كاتدرائيات فلورنسا وميلانو والقدیس بطرس في روما والقدیس یولس ووستمنستر أني في لندن.

وعلى الرغم من انه بني حول نواة بارزة من الصخر لا تسمح بحساب صحيح لما استخدم في بنائه من أحجار الا ان الدكتور شكري يقدر مجموع عدد احجاره بنحو مليونين وثلثمائة ألف حجر، ومتوسط وزن الحجر الواحد طنان ونصف. ويؤكد القول السائد بأنه اذا صنع من الأحجار مكعبات طول كل ضلع منها قدم ثم وضعت جنباً الى جنب فإن طولها يغطي ثلثي محيط الكرة الأرضية. ويقع مدخل الهرم في الجانب الشالي منه على ارتفاع ١٧ متراً تقريبا. ويؤدي المدخل الى دهليز هابط يفضي في بناء الهرم نفسه ثم في الصخر مسافة طويلة الى أن تكون غرفة الدفن، مما دعا الى شق دهليز صاعد في نواة الهرم قبيل الخراق الدهليز الهابط للصخر. وبعض الدهليز الصاعد مسافة في بناء الهرم ثم يستقيم مسافة أخرى غير قصيرة الى أن يؤدي الى ما يسمى خطأ بغرفة الملكة، وتقع على محور الهرم وعلى ارتفاع عشرين متراً تقريبا من سطح الأرض. وسبقها أحذب. هكذا يقول الدكتور شكري، ثم يضيف ان من القرائن ما يدل على ان هذه الغرفة بدورها تركت قبل ان يتم العمل فيها مما يشير الى تغيير جديد في مخطط الهرم اقتضى



جامعة القاهرة بالجيزة



منها احدها على الآخر، بما يخفف ثقل مائة متر تقريبا من الحجر عن غرفة الدفن. ويفوق الدهاليز العظم وغرفة الملك بغرفة الملكة فخامة ودقة بناء، فقد حقق فيها البناء كمالا فنيا يثير الإعجاب والتقدير. ويدل هذا كله على ان فن البناء بلغ في عهد خوفو ذروة التفوق والافتقان لما كان ولا يزال مثار الإعجاب والدهشة لدى السالحين والمؤرخين والفنئين على حد سواء. وهو يدل كذلك على ان الهرم بني على أسس هندسية عملية وهو لا يزال قائما رغم الزمن ورغم تعمرته من كسائه.

كيف بني الهرم؟ ..

يقول الدكتور شكري في مؤلفه الكبير عن العمارة في مصر القديمة انه كان يعنى باختيار المكان الذي يقام عليه الهرم، بحيث يخلو من الشقوق والعيوب، ويكون قريبا من العاصمة والنيل، ليتسنى إشراف الملك على البناء وليسهل نقل الأحجار اليه. وبعد اختبار المكان الصالح كانت طبقة الرمال والحصى تزال منه ليبني الهرم على أساس ثابت متين. ثم كان الصخر بسوى، ولا يعرف على وجه التحقيق كيف كانت المساحة الشاسعة تسوى بدقة لا تبارى - ولكن الموقع كان يسمح بدقة بما يكفل ان تكون قاعدة الهرم أقرب ما يمكن الى المربع، وان تواجه جوانبه الجهات الأصلية.

وبينا كانت أرض الهرم تسوى وتحدد اتجاهاتها الأصلية كانت طوائف عديدة من العمال تعمل في قطع الأحجار سواء في المضيق ذاتها او في محاجر طرة في الجانب الآخر من النيل او في محاجر الجرانيت في أسوان. وكانت طوائف اخرى تعمل في اعداد الطرقات من المحاجر الى النيل، ومن النيل الى مكان الهرم، بينما كانت جماعات غيرها تنشي الحراسى واخرى تنقل ما تم قطعه من الأحجار على زلاقات من خشب في البر، وعلى مراكب كبيرة في الماء. وكان لكل طائفة اسمها. وقد وجدت اسماء بعض الطوائف مكتوبة على كثير من الأحجار. ولعل الغرض من ذلك كان بيان عمل كل طائفة.

ويضيف الدكتور شكري قائلا انه عندما كانت الأحجار تبلغ موقع الهرم كان يتلقاها البنائون فيسوقونها من اسفل ومن الجانبين، ثم كانوا يضعونها في دقة وعناية في اماكنها من البناء، ومن ثم ينحتون سطوحها العليا. فاذا أنتموا رصف أرض الهرم وبناء المدامك الاول كان لابد من جر الأحجار على جسور صاعدة تعتمد على جوانب ما تم بناؤه، وذلك على مستويات يعلو بعضها بعضا كلما تقدم البناء حتى يبلغ ذروته ويبدو مما تهدم

من اجزاء بعض الأهرامات ان الهرم كان يبنى من نواة وسطى تتضمن الغرف الداخلية، تضاف اليها في جوانبها الأربعة اضافات جانبية يمثل زاوية قدرها ٧٠°، باطنها من حجر جيري علي وجوهها الظاهرة من حجر جيري جيد أحسن بناؤه، على أن وجه الحجر لم يكن يسوى على عكس ما جرى عليه الأمر في هرم زوسر المدرج وهم ميدوم وبذلك استغنى البناء عن عمل غير مجد في بناء الهرم.

وكان يتم بناء الدهاليز والغرف الداخلية في الهرم قبل بناء المداميك التي تحيط بها، والتابوت والمنايس تأخذ مكانها قبل ان يتم بناء جدران الأماكن التي كانت توضع فيها. فاذا تم بناء نواة الهرم وما كان يضاف اليها من اضافات مدرجة نقل الى اعل الهرم الهرم. وكان عادة من حجر الجرانيت، وبرز من وسط قاعدته ما يشبه القرص ليستقر في وسط المدامك الأخير. واخيرا كان الفراغ الذي يعلو الدرجات يبنى بحجر جيري جيد ليكون جدارا سائدا للكساء الخارجي للهرم. وكان الكساء يبنى ايضا بحجر جيري جيد، يعنى البنائون بتسوية سطوحه الظاهر من اعل الى اسفل، اذا كانت احجار الكساء توضع في اماكنها باوجه جافة غير مهذبة حماية لها من ان تتعرض للتلف اثناء العمل.

ويقول ايضا ان الحجر الجيري كان بسوى بازامل من نحاس يطرقت عليها بدقائق من الخشب، ولما كان الحجر الجيري قاسيا فكان يستعان في صقله بمصاقل من حجر صلد، اما الاحجار الصلدة فكانت تسوى بسحقها بكرات من الكورزيت، وتصفل بمصاقل من حجر الجرانيت او البازلت او الكورزيت. وربما كان يستعمل في ذلك مسحوق للصقل. ومع ذلك كله لا يعرف كيف سوى المصريون المساحات الشاسعة التي تؤولف أوجه الهرم وكيف جعلوا هذه الأوجه تتلاحق في دقة واحكام دون انحراف او اعوجاج.

ولكن لماذا اختار المصريون هذا الشكل الهرمي للمقبرة الملكية؟

يجيب على ذلك الدكتور شكري - قائلا ان هذا الشكل وان كان نتيجة تطور معاري يمكن ترسمه الا انه قد صاحبه عقائد وافكار ساعدت على تحقيقه او على الأقل اقترنت به في اذهان المصريين. لقد كان الهرم يشرف على مدينة الموتى كما كان يشرف على مدينة الاحياء وعلى الوادي الى مسافات بعيدة، وكان أعلى شيء يحيطه تتلألاً في ذروته اشعة الشمس. ويبدو انه اقترنت في تصور المصريين بالحجر المقدس «بنين» الذي كان يرمز الى الاكمة الاولى، وهكذا يكون الملك المتوفي قد دفن في

أبو الهول

ونفس ما قيل عن الهرم الأكبر يمكن ان يقال عن الهرمين الآخرين باستثناء بعض الفروق البسيطة فيما يخص بطروف البناء وهي فروق لا أهمية لها في موضوعنا.

وبقربان باهرامات الجزيرة شمال أبو الهول، ذلك الرابض على حافة الصحراء، ويذكر المؤرخون انه كان في الاصل صخرة تحلت في الحجر الذي اقتطع منه خوفو احجار نواة هرمه، فنتجتها مثال مبدع في هيئة اسد رابض طوله ٧٥ مترا بملامح وجه خضر فكان أبو الهول. وقد تلفت بعض اجزاء من الوجه، وأحمت الألوان او كادت، ومع ذلك لا يزال في ملامحه كبرياء وشموخ، وأطمئنان وهدهوء، وفي نظرتيه استعلاء وغموض. وهو يرونو بناظره عبر الوادي الخصيب نحو الشرق البعيد. حيث تشرق الشمس كل صباح. وبحرس من ورائه جبانة الجزيرة.

ولأنه في مكان منخفض من الهضبة فكثيرا ما كانت تغمره الرمال السافية. ومن ذلك ما يجله نصب كبير من الحجر الجرانيت. يقوم من امامه بين فجليه، من ان تحمس الرابع وهو امير كان يصيد الحيوان في صحراء الجزيرة، وانه في ظهيرة يوم حار جلس يستريح في ظل ابي الهول، فأخذته سنة من نوم. رأى فيها أبا الهول يتحدث بذات فمه ويعدده بالملك وتاجي مصر ويطلب اليه ان يزيل عنه الرمال التي اخفت اعضاءه. واستيقظ الامير ووعى ما قاله له أبو الهول. على ان الجزء الاسفل من النصب تالف، وبذلك ضاع ما يقرب من نصف النص. بيد انه ما من ريب في ان تحتمس ازال عنه الرمال حتى استطاع ان يقم هذا النصب في مكانه. وقد مضى على ابي الهول اكثر من ستة واربعين قرنا وهو شامخ برأسه، ولا يزال الزوار من كل مكان يحتلون فيه كثيرا من المعاني.

الجزيرة مدينة اسلامية

ورد في خطط المقرئ عن ابن سيدة: الجزيرة الناحية والجانبة والجزر جانب الوادي. وقد يقال فيه الجزيرة. ثم يستطرد قائلا ان الجزيرة اسم لقرية كبيرة جميلة البنبان على النيل من جانبه الغربي تجاه مدينة فسطاط مصر. لها في كل يوم احد سوق عظم يحج اليه من النواحي اصناف كثيرة جدا، ويجتمع فيه عالم

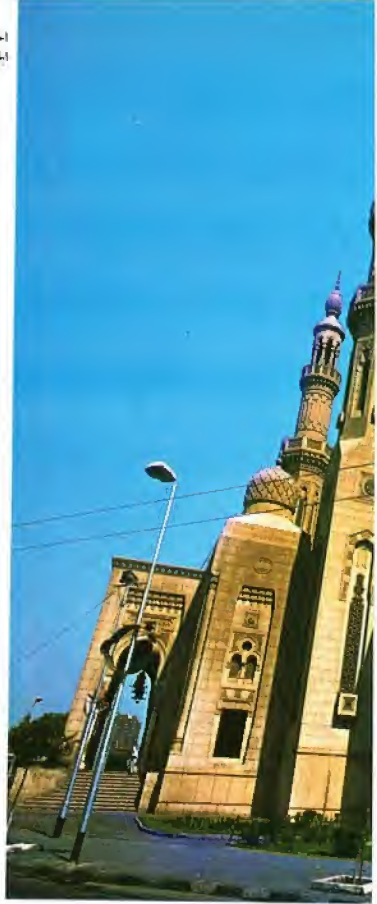


عظم ومها عدة مساجد جامعة.

لكن كيف بنيت هذه القرية الكبيرة التي صارت الآن من العواصم العربية الكبيرة؟

كان «عمرو بن العاص» قد انتهى من فتح مصر، وترك خيمته (الفسطاط) في الموضع الذي بنى فيه جامعته الشهير، ثم سار الى الاسكندرية ففتحها، وكانت الاسكندرية في ذلك الزمن مدينة ذات ابعاد تاريخية لا مثيل لها، وكانت جديرة بان

يجعلها، «عمرو بن العاص» عاصمة للفتح العربي في مصر، لكنه حين ارسل الى «عمر بن الخطاب» يستفتيه في هذا الامر، رد عليه بانه ليس من المستحب ان يجعل بينه وبين عشيرته



بن العاص» الى «عمر بن الخطاب» رضي الله عنها يعلمه بما صنع الله للمسلمين، وما فتح عليهم، وما فعلوا في خططهم وما أستجبت «همدان» من التزول بالجيزة. فكتب اليه عمر بن محمد الله ما كان من ذلك، ويقول له: (كيف رضيت ان تفرق اصحابك؟ لم يكن ينبغي لك ان ترضى لأحد من اصحابك ان يكون بينك وبينهم بحر، ولا تدري ما يفاجئهم، فلعلك لا تقدر على غياهم حين ينزل بهم ما تكره. فاجمعهم اليك، فان أبوا عليك وأعجبهم موضعهم بالجيزة وأحبوا ما هنالك، فابن عليهم من في المسلمين حصنا.) فجمعهم «عمرو بن العاص» وقرأ عليهم كتاب «عمر بن الخطاب» فلم يقبلوا الخروج من الجيزة. فأمرهم ببناء الحصن عليهم يقول المقرئ: فكرهوا ذلك وقالوا: لا حصن أحصن لنا من سيفنا. وكرهت ذلك همدان ويافع، فأقرع «عمرو» بينهم فوكت القرعة على يافع، فبنى فيه الحصن في سنة إحدى وعشرين، وقرع من بنائه في سنة اثنين وعشرين.

وبعد ذلك أمرهم ببناء المنازل والأخطاط. وفي الوقت الذي كانت تبنى فيه مدينة القساط على الضفة المقابلة كانت ثمة مدينة اخرى تنشأ. يقول المقرئ: فاختط ذو أصبح من حمير من الشرق، ومضوا الى الغرب حتى بلغوا ارض الحرث والزرع، وكرهوا ان يبنى الحصن فيهم. واختط يافع بن الحارث من رعين بوسط الجيزة، وبنى الحصن في خططهم، وخرجت طائفة منهم عن الحصن آفة منه. واختط بكيل بن جشم بن نوف من همدان - في مهب الجنوب من الجيزة في شرقها. واختط حاشد بن جشم بن نوف في مهب الشمال من الجيزة في عزبها - واختط الجياوية بنو عامر بن بكيل في قبلي الجيزة وأختط بنو حجر بن ارحب بن بكيل في قبلي الجيزة، واختط بنو كعب بن مالك بن الحجر بن الأزد فيا بين بكيل ويافع. والحشبة اختطوا على الشارع الأعظم.

الجيزة .. والاماكن المقدسة:

وفي الجيزة أكثر من مكان مقدس. يقول القاضي: سجن يوسف عليه السلام ببومير من عمل الجيزة، اجتمع اهل المعرفة من اهل مصر على صحة هذا المكان. وفيه اثر نبين: أحدها يوسف، سجن به المدة التي ذكر ان مبلغها سبع سنين. وسطح السجن موضع معروف باباجية الدعاء .. يذكر ان كافور الأخشيدى سأل أبا بكر بن الحداد عن موضع معروف باباجية الدعاء ليدعو فيه، فأشار عليه بالدعاء على سطح السجن. اما

بحرا، قفل راجعا الى قساطه بجوار حصن نابليون الذي سيطر عليه المسلمون سيطرة تامة.

وأثناء العودة كانت جيوش المسلمين في ازدياد، وكانت تغرق الصحراء لتجتاز النيل الى القساط وحصن نابليون، وارتأى «عمرو بن العاص» ان يترك في هذه الصحراء مؤخرة لجيشه تخميه من أي عدوان مفاجئ يجي من الخلف، ثم عبر بمن معه. واذا استتب له الامر وشرع في بناء مدينة القساط وجامعه الكبير، ارسل الى من تركهم في الصحراء يستحثهم على الوصول اليه، لكن بعض القبائل كانت ضربت خيامها واستطابت الصحراء، فلما طلب اليهم مغادرتها لم يرضوا، وطلبوا السباح هم بالاستقرار فيها وبناء المنازل. فكتب «عمرو

كرونة ابن هاني
(بيت الشاعر أحمد شوقي)



التي الآخر فوسى عليه السلام. وقد بني على أثره مسجد هناك يعرف بمسجد موسى.

وبالبحث عن هذا المسجد اتضح انه يقع على هضبة عالية بسفح الجبل الشرقي بقرية الشيخ موسى بمركز الصف، ويرجع تاريخ انشاء هذا المسجد - فيما تذكر الدكتور سعاد ماهر - الى العصر الفاطمي، وقد تهدم الآن ولم يبق منه الا محرابه. والمسجد بني من الطوب اللبن، ويبدو من بقايا الجدار القبلي ان المسجد كان له دور ثان بدليل وجود تجويف في اعلى الجدار. وقد عثرت مصلحة الآثار على اجزاء من لوحة تذكارية كانت موجودة بهذا المسجد وهذه اللوحة خاصة بالتجديد وليس بالتأسيس وقد أمكن قراءة الآتي منها: «أقام الصلاة» وهي نهاية السطر الأول ويمكن قراءة اول السطر الثاني من الوجه الثاني. وقد قام الأهالي الآن بعمل دعامة خلف المحراب للمحافظة عليه.

وأما الأثر الذي بني عليه مسجد موسى فهو المكان الذي كان فيه تابوت موسى عليه السلام الذي قذفه امه في التل. وبه - أيضا - النخلة التي أرضعت مريم تحنها عيسى عليه السلام. وقد ظلت هذه المنطقة طوال العصر الاسلامي بنظر اليها كمناطق مباركة.

ويذكر المسيحي في كتابه (تاريخ مصر) في حوادث سنة ٤١٥هـ ان الخليفة الفاطمي الظاهر لاعاز دين الله خرج وعدى في سائر عساكره الى الجزيرة في اربع عشاريات واربع عشرة بغلة من بغال النقل، وفي جميع من معه خاصته وجرمه الى سجن يوسف عليه السلام وأقام هناك يومين وليتين.

ويقول ياقوت (في معجم البلدان) ان كعب الأحمار الصحابي مدفون بالجزيرة. ويقول المقرئ ان اول مسجد جامع بني بالجزيرة انشاه محمد بن عبد الله الخازن سنة ٣٥٠هـ بأمر الأمير علي بن الاخشيد واشرف عليه كافور، وكان الناس قبل ذلك يصلون الجمعة في مسجد همدان. ويقول الجبرتي ان بالجزيرة جامعاً يعرف بتجامع أبي هريرة الذي جدد في سنة ١١٨٨هـ. وأبو هريرة هذا ليس هو الصحابي المعروف، فقد ذكر ابن جبير: وفي سنة ٧٢٤هـ منع الناصر محمد بن قلاوون الوزير ان يتعرض الى شيء مما يتحصل من مال الجزيرة فصار جميعه يحمل اليه، وأضاف، وبخارج الجزيرة موضع يعرف بأبي هريرة فيظن من لا علم له انه أبو هريرة الصحابي وليس كذلك بل هو منسوب الى ابن ابنته. وجاء في (تحفة الأرباب وبغية الطلاب) للسخاوي ان أبا هريرة الصحابي مات على بعد فراسخ من المدينة وحمل اليها ودفن بالقيع. وفي (الخطط

التوفيقية) يقول «علي مبارك» ومدينة الجزيرة كثيرة الأسواق والوكائل والخانات وحوانيت مملوءة بالتجارة والبضائع من جميع الأصناف، كما يوجد بها كثير من أرباب الحرف، فيوجد بها تجار التبر والحزير والنحاس والعقاقير والدخان ومعايير الزيوت وطواحين بخارية، ومعامل للفخار وأنوال النسيج القطن وغيره. وقد أخذت سكناً للأمرء والماليك وكبار رجال الدولة منذ العصر العثماني ومن العلماء الأفاضل الذين ينتسبون الى الجزيرة «الربيع الجيزي» صاحب الامام الشافعي، وهو أبو محمد الربيع بن سليمان بن داود بن الأعرجي الأزدي توفي سنة ٢٥٦هـ بالجزيرة ودفن بها. ومنهم بهاء الدين ابو الحسن علي بن هبة الله خطيب مصر وأعلم أهل زمانه، المتوفى سنة ٦٩٤هـ. ومنهم

«**بولاق الذكورور**» وهي بلدة آهلة بالسكان كانت تعرف بمنية بولاق. وكلمة بولاق هي في الأصل كلمة مصرية قديمة اسمها «بيلاق» ومعناها الموردة او المرساة وقبل انشاء مدينة الجزيرة كانت هذه البلدة هي المرسى الوحيد في هذه المنطقة - فلما أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٣هـ مدينة جديدة على النيل تجاه القاهرة اسماها بولاق ايضا - بولاق ابو العلا الآن لأنها موردة ترسو فيها السفن القادمة الى القاهرة والمسافرة منها. اما منية بولاق فقد ظلت تعمل هذا الاسم الى ان نزل بها الشيخ ابو محمد يوسف بن عبدالله التكروري في عهد العزيز بالله الفاطمي، وكان الناس يعتقدون فيه الخير والصلاح، فلما مات - فها يقول «محمد رمزي» في (القاموس الجغرافي) بنى عليه قبة وعمل بجانبها جامعاً، فاشتهرت هذه القرية من ذلك الوقت باسم بولاق التكروري.

ويقول المفريزي انه بعد سنة ٧٩٠هـ طغى ماء النيل على بولاق التكرور فأخذ منها قطعة عظيمة كانت كلها مساكن، فخاف أهل البلد ان يأخذ النيل ضريح الشيخ التكروري والجامع لقرية من النيل، ففعلوا الضريح والجامع الى داخل البلد، وتذكر الدكتورة «سعاد ماهر» ان هذا الضريح لا يزال في مكانه الذي نقل بالبلد القديمة وليس في بولاق الذكورور كما يظن البعض. ويقول «محمد رمزي» في (القاموس الجغرافي) انه في سنة ١٨٦٣م حول مجرى النيل من الغرب الى الشرق لاماكان توفر الماء اللازم لشرب سكان القاهرة، وبذلك أصبحت مساكن قرية بولاق التكرور بعيدة عن شاطئ النيل، وفي سنة ١٨٦٨م هدمت مساكن هذه القرية وعرض أهلها فانتقلوا الى مكانها الحالي بجوار محطة بولاق الذكورور. ويتضح لنا من هذا - فها تذكر الدكتورة «سعاد ماهر» - ان قرية بولاق الذكورور هذه ليست في مكانها الأصلي القديم، وأن الجامع الذي جدهه الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٥هـ قد أُنْشِئ، وأن اللوح الرخام الذي كان مركباً على بابه نقل الى باب ضريح الشيخ يوسف التكروري الموجود الآن مع اضرحة اخرى بين مبنى وزارة الزراعة ومبنى المتحف الزراعي.

«**العزيزية** .. يتحدث عنها المقدسي في كتاب (أحسن التقاسم) قائلا انها من القرى القديمة وانها من مدينة منف القديمة، وقد أختفت وخربت وكانت مصر في القديم، وبها كان ينزل فرعون، وفيها قصره ومسجد يعقوب ويوسف، وفي معجم البلدان يقول ياقوت ان العزيزية خمس قرى بمصر، تنسب الى العزيز بالله الفاطمي ومنها قرية بالجزيرة. وفي (صحيح



ايضا الطبيب علي بن رضوان بن علي جعفر. كان عالم مصري في أوانه في أيام الخليفة المستنصر بالله الفاطمي، وكان أول أمره منجاً، ثم قرأ شيئاً من الطب وشيئاً من المنطق، وصنف كتباً بلغت اثنين بعد المائة كلها مبتكرة مستنبطة، وتوفي سنة ٤٦٠هـ .. هكذا ورد في (عيون الأنبياء) لأبن ابي اميعة.

الجزيرة .. وأماكن لها تاريخ

إذا كان «الدي» من الأحياء الشهيرة جدا في الجزيرة فان هنالك امكان اخرى قد لا تحظى بشهرة هذا الحي ولكنها ذات تاريخ طويل، ومنها:

مجمع آخر أكثر عراقية.

ذلك هو **مجمع اللغة العربية** الكائن بشارع مراد بالجيزة رقم ٢٦ وقد أنشئ بمرسوم صدر في ١٧ ديسمبر عام ١٩٣٢، ثم صدر في عام ١٩٥٥ قانون بشأن تنظيم المجمع وجعله هيئة مستقلة ذات شخصية اعتبارية، واختصاصات المجمع: المحافظة على سلامة اللغة وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقديمها وكذلك تحديدها ما ينبغي استعماله أو تجنبه من الألفاظ والتركيب .. ووضع معجم تاريخي للغة العربية ونشر بحوث دقيقة في تاريخ بعض الكلمات .. وإصدار مجلة تنشر بحوث المجمع^(١).

وإذا فصل إلى جامعة القاهرة تكون قد وصلنا إلى أعلى منارة في الجيزة وتكون أيضاً قد وقفنا أمام شرعية كاملة من التاريخ — فنذكر أن الزعيم مصطفى كامل قد بدأ الدعوة إلى إنشاء جامعة مصرية بأموال الأمة في عام ١٩٠٤ واقترح تسميتها بكلية محمد علي بمناسبة مرور مائة عام على ولاية محمد علي حكم مصر. كان ذلك على صفحات جريدة اللواء — ويقول الدكتور «حسين فوزي التجار» أن الأمير «حيدر فاضل» أيد دعوة مصطفى كامل وطلب من الامراء والأرياء التبرع لتنفيذ المشروع، وأن «محمد فريد» حين دعا للاحتفال باستقبال مصطفى كامل عام ١٩٠٦ بعد أن نجح في إثارة الرأي العام الانجليزي والأوروبي على أحكام دنشواي كتب إليه مصطفى كامل من باريس يعتذر عن الحفل ويقترح فتح مكتب عام لتأسيس جامعة مصرية.

ولكن الفكرة لم تخرج إلى حيز التنفيذ — فيما يقول الدكتور التجار — إلا على يد «**مصطفى كامل الغمراوي بك**» من أعيان بني سويف — وفي ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٠٦ نشر نداء في جميع الصحف العربية والافرنجية داعياً لفكرة الجامعة مهيباً بالقادرين من الأمة أن يتولوا الميدان، وقال في نداءه:

«كثر بحث الجرائد في الزمن الأخير في ارتقاء المعارف في مصر، والمعارف والعلوم كما يعلم الناس حياة الأمة وركن ترقبها وتقدمها وقد استلفت احد الهاميين بمقالة نشرها في إحدى الجرائد انظار المرحوم منشاي باشا إلى تخليد ذكره بإنشاء مدرسة جامعة، فصادف الاستغاثات أذناً واعية، وكان في نية المرحوم انشاؤها لو لم يعاجله القضاء، فهل تعجز الأمة المصرية، وهي تزيد على عشرة ملايين، عن أن تقوم بمشروع حيوي نوى تنفيذه فرد واحد، لم تكن ثروته تبلغ جزءاً يسيراً من ثروة غيره من الأفراد، وهل لا بعد احجام اغنياء الأمة عن

(١) راجع العدد الأول من هذه المجلة الصادر في شهر رجب ١٣٩٧ حديثاً مطرا لمعلومات وافية عن هذا المجمع

الاعشى) انه يوجد في شال منف بلدة صغيرة تعرف بالعزبية يقال انها كانت منزلة العزيز وزير الملك. وهناك مكان على القرب يعرف بزليخا. وفي (القاموس الجغرافي) يقول «محمد رمزي» انه لما ضربت مدينة منف منذ آخر أيام الحكم الروماني بمصر. اقيم على أطلالها وفي أراضيها قرى العزبية ومنية دهيئة والبدريشين وصقارة والظاهر انه لما تولى العزيز بالله الفاطمي اختاروا له خمس مدن قديمة وأطلقوا عليها اسمه تخليداً لذكره وكانت احداها العزبية هذه — والعزبية من أعمال مدينة الجيزة كما ورد في دواوين ابن مماتي.

«ساقية مكى» يقول «محمد رمزي» في (القاموس الجغرافي) ان اسمها الأصلي ساقية مكى، سميت بهذا الاسم لان أراضيها كانت وقفا على اشراف مكة المكرمة وفي بدء تكوين هذه الناحية كان عليها ساقية عرفت بساقية مكة، وحرفت إلى مكى في العصر العثماني، ووردت باسمها في وصف الحملة الفرنسية لمصر — كما تذكر الدكتور «سعاد ماهر».

«ميت القايد» .. وردت في معجم البلدان باعتبارها من القرى القديمة، اسمها الاصلي منية القايد، انشأها القايد فضل بن صالح احد قواد جيش الخليفة العزيز بالله الفاطمي. ويذكر ابن مماتي في دواوينه ان منية القايد من الاعمال الجيزية، وفي تاريخ سنة ١٨١٣م حرف اسمها من منية إلى ميت ومن القايد إلى القايد.

«ميت عقبة» .. يذكرها المقرئ بنائها من القرى القديمة واسمها الأصلي منية عقبة. انشأها عقبة بن عامر الجهني والي مصر من قبل الخليفة معاوية بن ابي سفيان سنة ٤٥هـ، ولأنها كانت واقعة في ذلك الوقت على الشاطئ الغربي لليل قبل تحويله إلى الشرق عرفت باسم منية عقبة. وفي دواوين ابن مماتي ان منية عقبة من أعمال الجيزة، وفي تاريخ ١٨١٣م حرف اسمها إلى ميت عقبة.

ملاحع معاصرة في الجيزة

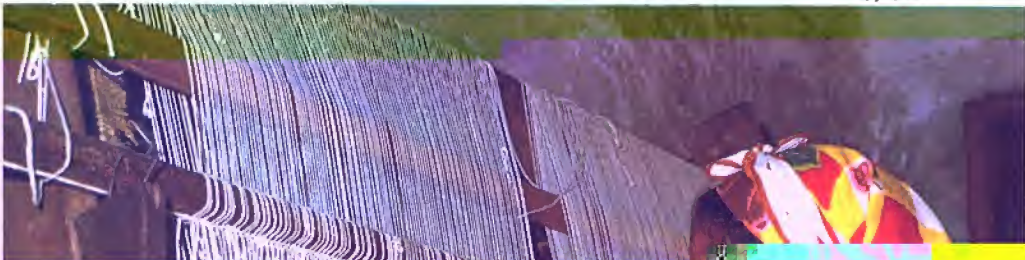
وإذا تجاوزنا مجمع الجيزة للإداريات الذي افتتح في ابريل ١٩٦٧م في مناسبة يوم الجيزة، والذي يتألف من سبعة طوابق بالإضافة إلى الطابق الأرضي وصالة للاجتماعات بالطابق الثامن، والذي تبلغ مساحة موقعه ٦٥٠٠م^٢ ومساحة مبانيه ١٤ ألف متر مسطح تضم ٣٢٠ غرفة بالإضافة إلى صالات للاجتماع في جميع الطوابق، والذي بلغت نفقات انشائه ٢٣٠,٠٠٠ جنيهاً. أقول إذا تجاوزنا هذا المجمع نجد أنفسنا أمام

الاعمال العظيمة المرقية للوطن. لذلك ولاعتقادي بان على كل منا دينا لوطنه يجب وقاؤه وعدم الماطلة فيه. بادرت للاكتتاب بخمسةائة جنيه أفرنجي لمشروع انشاء مدرسة جامعة مصرية على الشروط الآتية:

أولا: ألا تختص بجنس او دين بل تكون لجميع سكان مصر على اختلاف جنسياتهم وأديانهم فتكون واسطة للألفة بينهم.

الاكتتاب دليلا على انها لا تزال بعيدة عن الترقى الحقيقي؟ وهل يعتقد الناس ان الوطنية تقوم بشقشقة اللسان او ببذل النفس والنفيس في سبيل الوطن وترقيته بالطرق التي تفيد ولا تعنى؟ بالطرق التي يجمع عليها العقلاء المعتدلون.

«هذه الأمور جالت في خاطري زمنا، ووجدت ان من العار علينا ان نقف وغیرنا يتقدم. وان نكتفي بالشكوى والتحصير من الزمان والأقدار وحقا ان نشكر من قلة وطنيتنا وبخلتنا على صناعة السجاد بالحراية



ثانياً: أن تكون إدارتها في السنين الأولى في أيدي جماعة ممن يصلحون لإدارة مثل هذا المعهد العلمي الكبير وتثبت كفاءتهم للملاأ.

ثالثاً: أن يكتتب على الأقل ألف من سكان مصر، كل منهم بمبلغ لا يقل عن مائة جنيه، ويحوز أن يزيد هذا المبلغ الى ما شاء كرم الواجب وحبه لوطنه وللانسانية.

رابعاً: ان يقام بناء هذه المدرسة في بقعة خلوية من أجمل بقاع مصر، على شاطئ النيل، وتعمل لها حديقة من أجمل الحدائق، وغير ذلك من الأمور التي يقررها المكتتبون.

«ويقيني ان كل من في فؤاده ذرة من حب الوطن الحقيقي من المسوريين يجد بمائة جنيه او أكثر لخبر وطنه وخير أولاده ليتروا في وطنهم التربية الحسنة ولكي تترنن للأمة العربية على ان فينا بعض الاستعداد والكفاءة. وأمل ان جرائدنا تترك النزاع الشخصي وتنشئ المقالات الضافية في استنهاض الحمم لاتمام هذا المشروع العظم. وفي الختام أقول اذا لم يجب هذا النداء ألف من اغنياء مصر، وهم ألوف عديدة فلنخفي وجوهنا أمام كل الأمم، ولنعرّف باننا عاجزون عن مباراة الأجانب في مضار الحياة الأدبية والمادية. وهأنذا في انتظار ما يكون، فقل اغنياءنا يقبلون بكلياتهم على هذا المشروع المفيد لأفرادهم وللأمة».

وبدأ الشيخ علي يوسف بايعاز من الخديوي عباس موالاة هذه الدعوة وتأييدها ونشرها. وعقد الاجتماع الأول بدار القاضي «سعد زغلول بك» باتفاق المدعوين مساء الجمعة ١٢ أكتوبر سنة ١٩٠٦ - وكلهم من رجال القضاء والعلم والسياسة والجاه وقد بلغت المبالغ التي اكتب بها الحاضرون ٤٤٨٥ جنيها مصريا وقرروا ما يلي:

أولاً: انتخاب لجنة تحضيرية من حضرات سعد زغلول بك وكيليا، وقاسم بك امين سكرتيرا، وحسن سعيد بك أمينا

للصندوق، ومصطفى كامل الغمراوي بك، ومحمد بك عثان اباطة ومحمد بك راسم، وحسن بك جمجوم، وحسن باشا السيوفي، واخنوخ أفندي فانوس وزكريا نامق أفندي ومحمود بك الشيشيني اعضاء.

ثانياً: تأجيل انتخاب الرئيس الى الجلسة القادمة.

ثالثاً: نشر الدعوة في جميع الصحف المحلية.

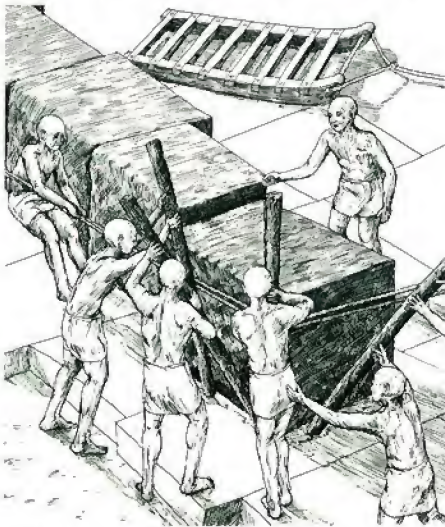
رابعاً: الاجتماع مرة أخرى بدعوة خصوصية لانتخاب الرئيس واءعضاء اللجنة النهائية.

خامساً: تسمية هذه الجامعة بالجامعة المصرية.

وبدأت التبرعات تنال على الجامعة - وفي الساعة الخامسة من يوم الاثنين ٣ جادي الأول سنة ١٣٣٢هـ الموافق ٣٠ مارس سنة ١٩١٤م تم وضع الحجر الاصيل للجامعة في حفل حضره الرعيون وعلى رأسهم حسين رشدي باشا رئيس مجلس النظار - ورأت الاميرة فاطمة اسماعيل - التي تبرعت بستة أفدنة بحوار سراياها بالديق لباني الجامعة ان تكون نفقات حفل وضع الحجر الاساسي للجامعة من مالها الخاص.

وكانت الجامعة حينذاك ممثلة في قسم للأداب فانتخب الاستاذ اسماعيل بك رافت عميدا له، والاستاذ المستر برس وايت نائبا للعميد والاستاذ محمود أفندي فهمي سكرتيرا للمجلس، وحددت الدراسة بالموضوعات التالية:

آداب اللغة الفرنسية - آداب اللغة الانجليزية - آداب اللغة العربية وتاريخها - تاريخ الأمم الاسلامية - علم تقويم البلدان ووصف الشعوب - تاريخ الشرق القديم.



هكذا بنوا الاهرامات

وكانت اول رسالة تناقشها الجامعة للشيخ طه حسين الكاتب المنتسب بقسم الآداب، عن حياة أبي العلاء المعري، وتأنقت لجنة الامتحان من الاساتذة الشيخ محمد الخطصري رئيسا والشيخ محمد المهدي ومحمود افندي المدرسين بالجامعة واسماعيل بك رافت والشيخ علام سلامة ممثلين لوزارة المعارف العمومية. وتقرر امتحان الشيخ الطالب في علم الجغرافية عند العرب وفي المقارنة بين الروح الديني للخوارج في أشعارهم وفي كتب المتكلمين فضلا عن موضوع الرسالة.

ويقول الاستاذ لطفي السيد بشأن تحول الجامعة الأهلية الى جامعة حكومية: «على هذا الوعد عقدنا مجلس ادارة الجامعة في ١٢ ديسمبر سنة ١٩٢٣ لتسلم الجامعة المصرية الى وزارة المعارف، وكتبنا بذلك عقدا أمضاه أحمد زكي أبو السعود باشا وزير المعارف في ذلك الحين، وحسين رشدي باشا رئيس الجامعة، وعينت بأن أذكر في شروط هذا العقد وتلك الجلسة التاريخية التي تم فيها هذا التسليم ان يكون الدكتور طه حسين استاذاً في الجامعة الجديدة».

زهور الحرائية

وعلى مشارف الأهرام تلتقي بهذه القرية في الطريق الى سقارة، حتى تجاوزت الحدود الجغرافية وأسمعت العالم صوت زهورها الناضجة وتعني بها قرية «الحرائية» التي صارت الآن من المعالم البارزة لوجه مصر الفني.

فقد سنة ١٩٥٣ بدأ المهندس الفنان «رمسيس ويصا واصف» وزوجته الفنانة السيدة «صوفي حبيب» هذه التجربة - وبروي الاستاذ بدر الدين أبو غازي قصة هذه التجربة قائلا «ان الفنان رمسيس عاد بعد دراسته للعارة في الفنون الجميلة بباريس الى اساليب البناء المصرية، ووجد في العقد والقبو والقبية دلالات خدمته الى المعارف المصري الأليف .. الى بساطة المسكن المبني بالطوب الأخضر الرصين، واستبوت متعة الروح التي تشع من العارة المصرية المتواضعة في البيوت القائمة في حي مصر القديمة كما دفعته نحو التوبة حيث السكن الأنيس النابض بمواهب الابداع عند الناس فأخذ يبحث عن نور داخلي يهديه الطريق. أما هي - يقصد زوجته - فقد نشأت في بيئة تشيد بفن الطفل وتسعى الى اكتشافه وشهدت ولدها الفنان «حبيب جورج» يخوض تجربة الفنون التلقائية في النسيج وفي منحوتات صاغها حاسة الاطفال ومخيلتهم من الطين المصري الاصيل، وعاشت في أسرة أنضم افرادها الى هؤلاء الصبية

الذين جمعهم حبيب جورجى وأحاطهم بخدوة حسنة وإيمان غير المحدود بالفكرة.

ويضيف الاستاذ بدر الدين أبو غازي قائلا ان رمسيس ويصا وزوجته مضيا نحو حقول البيئة المصرية بحثا عن تغيير في بنوع من نفس الطفل الربوي وبغضب بكل ما فيها من نضارة الفكرة، فأنشأ الى قرية الحرائية عند مشارف الهرم - ولم يكن مرجع اختيارها سيات خاصة تميز سكان هذا المكان او تجارب فنية سابقة عرفت عنهم .. على العكس كان التعبير الفني شيئا بعيدا ومجهولا لأطفال الحرائية .. وانما جاء الاختيار عن إيمان بأن في الطفل طاقة لو رعيتا في بكارتها ايد واعية وحفقت لها جذوتها المبدعة لاستطاعت ان تستخلص وجدانها الصافي. لم يتخذ رمسيس حمة المعلم وانما اتخذ صفة المرافقة الألفية فبدأوا في قطعة صغيرة من الأرض ويخيط من الغزل الملون يكتشفون وجه الجمال في العالم البسيط حولهم ويشكلونه. وجاء اختيار السجاد اعتبارا، اولها انه مجال رحب للانطلاق مخيلة الصبية، وثانيها انه مجال للاجادة الحرفية ولثامها مع نحو الصورة وتطورها.

وانتقلت تجربة الحرائية الى سويسرا سنة ١٩٥٨ حيث لقي معرضها الاول نجاحا كبيرا، ثم تابعت معارض الخارج، ففي سنتي ١٩٦٠، ١٩٦١ اقيمت معارض الحرائية بمتحف الفن الحديث باستكهولم وبعديد من مدن السويد .. وفي سنة ١٩٦٢ عرض صبية الحرائية بمتحف امستردام وبكوبنهاجن. وفي سنة ١٩٦٣ طاف معرضهم بميونخ وكولون وبادن بادن ومدن اخرى بالمانيا .. وفي سنة ١٩٦٥ اقيم بمتحف الفنون الزخرفية بباريس معرض كبير لصبية الحرائية ودخلت ساحة اللوفر اسما «جارية وسعدية ابراهيم وكرمة علي وليلى عشري ونيقولا فايق

وعلي سالم» وترددت هذه الاسماء في المواقع الخالدة التي اقرنت باسماء اعلام الفن في العالم. وفي سنة ١٩٦٦ عادت اعمال الحرائية الى السويد ثم عرضت في بتيالي لوزان الدولي للسجاد سنة ١٩٦٧.

ويضيف الاستاذ بدر الدين أبو غازي قائلا ان العالم أخذ بروعة التجربة وأصلانها وبهذا العالم الشعري النابع من ذات الشعب ومن صمم وجدانه. وصدر عن فن الحرائية كتاب رابع بعنوان «ازهار الصحراء»، بينما أثر فن هؤلاء الصغار في كبار فناني النسيج في العالم فصمموا على رفض النماذج المسبقة وسعوا الى التعبير المباشر. وفي الولايات المتحدة نفرد احدى الرسائل الجامعية بحثا عن فن الحرائية.

عندما يطول السفر

الله..كم نعدو علي أثري
ترمي كياني أسهم وقتاً
لكأنها حققت علي فلم..
ولقد حذرت ولم أزل حذراً
وإذا الليالي ناصبت أحداً
وطغت فلم تترك لبثتين
وأرت دخائلها مكشوفة
طبع الليالي ليس مبتدعاً

خيل الأسي وكتائب القدر
صيغت من الآلام والسهر
تر غير رزني منتهى الوطر
لكنني لم أنج بالخذل.
بعدائها ألقته في الخطر
أملأ، ولا عذراً لمعتذر
فلها ضمير غير مستتر
وكذاك طبع الناس والبشر

* * *

إني شجيت وما الشجي أبداً
فحصيلتي غير تهديني..
أضنيت بالأسفار راحلي
في كل يوم مهمة نكد
تتقاذف الأنحاء بي وأنا

بسطيع يدفعني الى الخور
من دهري المملوء بالعير..
فقضت..ولما ينقضي سفري
يحتاجني بالهم والصجر..
قلب. كثير غير منجبر



وطولالمُ الأباُم تقهرني.. تبدي لنفسِي ظلمها وتُري

غَنَيْتُ حتّى لم أجدُ أذنًا
وطرقتُ أبوابَ الرُؤى بيدُ
ورسّفتُ من كأسِ المُنَى رَشْفًا
فوجدتُ منكِ أرقَّ أغنيةٍ
ولحّتُ في عينيكِ فاتنِي
ولقيتُ منكِ أيا مدلهي
ما راح في الشوقِ يا أملي
إلا وكنتِ اليكِ أبعثه

ياغيمّة تغثال في أفقي
حتامٌ «...» أطل علي
سأطل طولَ الدهرِ منتظرًا
لم تُبدِ من صحوٍ ولا مطرٍ..
لَهبي إلى مغناكِ والتمرِ
ولو أنْ دهري غيرُ منتظرٍ

شعرا
احمد بكلي



أول سيرة نبوية في العصر الحديث ما زالت مجهولة!

بقتام: د. فاروق أبوزيد



الطهطاوي

الوقت فرصة مرور السفينة الحربية الفرنسية لانترويت فكلفت قبطانها روبيار ان يجعل معه الى مرسيليا اربعين شابا ليدرسوا في باريس فاشار الشيخ حسن العطار على محمد علي ان يضيف الى الطلبة اماما يسهر على شؤون دينهم في تلك البلاد البعيدة ورحش حسن العطار تلميذه رفاعه اماما للبعثة ... وفي باريس لم يكن مطلوبا من امام البعثة ان يتعلم علوم الفرنسيين وانظمهم بل يكفهم ان يؤدي وظيفة الامامة لاعضاء البعثة وما التيا من الوعظ والارشاد^(١)... ولكن الطهطاوي اقبل على الدراسة بمجد وشغف فاق به زملاءه من طلاب البعثة الذين ذهبوا في الاصل للدراسة ... وقد وصل به الامر ان اتخذ له معلما خاصا يعلمه الفرنسية على نفقته^(٢)... ولقد لفت ذلك انتباه «جومار» مدير البعثة فجعله موضع عناية وكان جومار مهندسا جغرافيا من علماء الحملة الفرنسية الذين اصطحبهم

رغم كثرة الكتب التي وضعت في السيرة النبوية الشريفة الا ان كتاب «نهاية الایجاز في سيرة ساكن الحجاز» يحتل مكانا فريدا بين هذه الكتب وتعود هذه المكانة الى مجموعة من الاسباب الهامة:

•• اول هذه الاسباب: ان مؤلف الكتاب هو رفاعه رافع الطهطاوي احد رواد الفكر العربي والاسلامي الحديث ... وقد ولد رفاعه رافع الطهطاوي في عام ١٨٠١ بمدينة طهطا في صعيد مصر .. من اسرة تنسب الى جعفر الصادق حين بلغ السادسة عشرة جاء الى القاهرة ليدرس في الازهر وكان ذلك في عام ١٨١٧ ... وفي الازهر تتلمذ الطهطاوي على يد الشيخ حسن العطار.

مكث الطهطاوي في الجامع الازهر طالبا نحو خمس سنوات من عام ١٨١٧ حتى عام ١٨٢٢ - وعمل بعد تخرجه مدرسا في الازهر - ثم واعظا واماما في الجيش ... وفي ربيع عام ١٨٢٦ انتبه محمد علي باشا حاكم مصر في ذلك

(١) عبد الرحمن الراعي - عصر محمد علي - ص ٣٨٦

(٢) علي مبارك - المخطوطات النوفية - الجزء ١٣، ص ٥٤



محمد حسين هيكل



الغداد

الذي كان يوجه سياسة التعليم في مصر. وكان الطهطاوي أيضا احد رواد الصحافة في عصره فقد تولى رئاسة تحرير صحيفة (الوقائع المصرية عام ١٨٤٢) وحوطها من مجرد نشرة رسمية الى صحيفة استكملت كل مواصفات الصحيفة الحديثة... كذلك تولى الطهطاوي رئاسة تحرير مجلة «روضة المدارس المصرية» وهي مجلة ثقافية. ... وقد اظهر اول عدد منها في عام ١٨٧٠ وفيها نشر كتابه «نهاية الايجاز في سيرة ساكن الحجاز» على فصول متفرقة. وللطهطاوي كثير من المؤلفات والترجمات منها «تخليص

يونانرت الى مصر ... وهو الذي اشرف على نشر الكتاب الضخم الذي ضم دراسات علماء الحملة بأسم «وصف مصر»... قضى الطهطاوي في باريس خمس سنوات (١٨٢٦-١٨٣١) عاد بعدها الى مصر لينشر اول مؤلفاته «تخليص الابريز في تلخيص باريز» ... وفي مصر تقلد الطهطاوي العديد من المناصب .. فعمل مدرسا للترجمة بمدرسة الطب ... فمدرسا للترجمة ايضا بمدرسة المدفعية فؤسسا وناظرا لمدرسة الاسن التي عدت بفضله اشبه ما تكون بجامعة تضم كليات للآداب والحقوق والتجارة^(١)... وعمل ايضا مشرفا على قلم الترجمة الذي الحق بعد ذلك بمدرسة

•• وثاني هذه الاسباب: ان هذا الكتاب كان ثمرة للتزواج بين الحضارة الاوربية وانجازاتها العلمية والفكرية الحديثة. وبين العقل العربي المسلح بالثراث الاسلامي ... فقد كان «نهاية الازياز» في سيرة ساكن الازياز اول كتاب وضع في السيرة النبوية في العصر الحديث ... فقد انقطع المؤرخون عن كتابة السيرة .. على كثرة ما كتب فيها من قبل .. نيقا واربعة قرون ... وكان كتاب «متاع الاساع بما للرسول من خولة وحفدة ومتاع» للمؤرخ المصري نفي الدين المقريري في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي آخر ما كتب فيها .. ثم جاء رفاعه الطهطاوي فكتب هذه السيرة الجديدة فصار من بعده تقليدا راسخا من تقاليدنا الفكرية يؤذيها كل كاتب عربي كبير .. ولذلك لم يعرق مؤرخ من بعده ميدانها .. حتى كتب الدكتور محمد حسن هيكال .. «حياة محمد» في عام ١٩٣٥ وكتب الدكتور طه حسن «على هامش السيرة» وكتب العقاد «عقيرة محمد» وبذلك كان «نهاية الازياز» فتحا جديدا في التاريخ للسيرة. وفي كتابة التاريخ الاسلامي على غط حديث^(١).

•• وثالث هذه الاسباب: ان «نهاية الازياز» في سيرة ساكن الازياز اول مؤلف عربي في السيرة يضع من بين اهدافه الرد على الصورة المشوهة التي رسمها الكتاب الغربيون الذين تصدوا للتأليف في الاسلام .. فقد اطلع الطهطاوي بحكم سفره الى باريس ومعرفته للغة الفرنسية .. وسعة اطلاعه على المؤلفات الاوربية .. على الكثير من هذه الكتابات التي تعرضت للاسلام ولنبية بغير الحق .. وعلى سبيل المثال فقد قرأ الطهطاوي وهو في باريس ضمن ما قرأ للفيلسوف الفرنسي (فولتير) ... مسرحية (محمد) التي امتلأت بالهجوم على الاسلام وعلى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وصحابته ... ومها قبل عن ان فولتير كان يستخدم (الاسلام) ستارا لا

(١) د. عبد الطيف حمزة ادب المقالة الصحفية - ص ١٣٠-١٤٠
د. ابراهيم عبدة - تطور الصحافة المصرية الطعة الاولى - مطبعة التركل - القاهرة ١٩٤٤ - ص ٦٢.

- الخلة: فات الكتاب ان يذكر عددا من الكتب التي تناولت السيرة النبوية الشريفة مثل:
١- كتاب «محمد المثل الاعلى» تأليف جاد المولى بك من كبار العلماء في مصر وعضو مجمع فؤاد سابقاً.
٢- كتاب «بطل الابطال» تأليف عبد الرحمن باشا غرام.
٣- كتاب «محمد» تأليف نظمي لوقا.
٣- مسرحية «محمد» تأليف توفيق الحكيم .. وغيرهم.



ارن كتاب نهايت الجاز ، محتله مكاناً فريداً وضعت فيه السيرة لهذه المكانة الى

يقصد من ورائه سوى مهاجمة البابا ورجال الكنيسة الكاثوليكية في ذلك الوقت ... فان ذلك لا يني تشويه فولتير لحقيقة الاسلام ونبه.

كذلك فقد قرأ الطهطاوي من بين ما قرأ من مؤلفات الفيلسوف الفرنسي (مونتسكيو) مؤلفه الضخم (روح الشرائع) ... ورغم اعجاب الطهطاوي بمونتسكيو لدرجة ان اطلق عليه (ابن خلدون الافرنج) الا انه رفض ما كتبه مونتسكيو في كتابه (روح الشرائع) - حيث ادعى ان الاستبداد صفة ملازمة للدين الاسلامي.

ولقد تصدى الطهطاوي للرد على مونتسكيو في عام ١٨٤٢ في احدى افتتاحياته لصحيفة الوقائع المصرية التي كان يتولى رئاسة تحريرها في ذلك الوقت حيث يذكر ان «الافرنج وبالذات فيلسوفهم مونتسكيو يعدون الحكومات الاسلامية من قبل المطلقات التصرف ... والحال انها مقيدة اكثر من قوانينهم فان الحاكم الاسلامي لا يخرج اصلا عن الأحكام الشرعية التي هي اساس للقوانين السياسية ولاتساع الشريعة المحمدية وتشعب ما يتفرع عن اصولها ظن من لا معرفة له ان ما يفعله حكام الاسلام لا وجه له في الشرع»^(١).

ومن يتصفح «نهاية الازياز» يجد بين دفتيه ردودا كثيرة - وان كانت غير مباشرة على العديد من المؤلفات الاوربية التي كانت قد ظهرت حتى ذلك الوقت وهو يرد عليها بالمنطق الذي يفهمه الاوربيون «أي الحججة في مواجهة الحججة» ... وهو في ذلك كله يحرص على ان يخاطب عقل القارئ مستهدفا الوصول به الى درجة الاقتناع العقلي الخالص بكل ما يطرحه من حقائق وارا.

•• وتصل بنا الحقيقة السابقة الى السبب الرابع والاخير لاهمية كتاب «نهاية الازياز» من بين كتب السيرة النبوية ...

(١) صحيفة الوقائع المصرية - العدد ٦٢٣ - مقال بعنوان (تعهد)
غرة ربيع آخر سنة ١٢٥٨ هـ (١٨٤٢ م)

الإيجاز في سيرة ما كنت بين الكتب بقي النسبة الشريفة ما تعود مجموعة من الأساليب.



الدين فقد استوفاه الله في كتابه .. واما الشريعة فقد استوفى اصولها ثم نزل للنظر الاجتهادي فصيلها ... وقد وضع الطهطاوي كتابا صغيرا سماه «بقاء حسن الذكر باستخدام الفكر» اكد فيه «ان بقاء الذكر بفضل العلم من اشرف الكالات والجامع لفصيلتي المعقول والمنقول افضل من المنفرد بواحدة منهما .. والمنفرد بواحدة منهما الكامل فيها خير من غير الكامل فيها .. قال العلماء الماضون لا اضل من نصف اصولي ولا الحق من نصف نحوي ولا اجهل من نصف فقيه ولا اقل من نصف طبيب ولا اهدى من نصف معقولي فالاول يفسد الادبان والثاني يفسد اللسان والثالث يفسد الاحكام القرعية والرابع يفسد الابدان والخامس يفسد الاصول الشرعية فان كثيرا ممن ينسب الى المعقولات عارض كثيرا من الكتاب والسنة وانكر ما وردت به الشرائع وذلك لكلال ذهنية ووقوف فهمه لما تمكن منه النظر في علم المعقولات التي ما اتقنها ولا حققها فاختلفت عليه الامور والتبست وعلى هذا الوصف كان فلاسفة الحكماء وغالب اهل المنطق وذلك لانهم لما لم يتقنوا المعقول كل الانتان خاصوا في الشرائع والادبان بالقول انها تخالف القواعد العقلية فلم يسمعهم الا ردها او تحريفها لتوافق المعقول بزعمهم ولو انتقوا المعقول لعلوا ان الشرع لم يرد بما يخالف العقل البتة. فكانوا يطبقون الاحاديث على المعقولات^(١).

والثاني: استخدام (المنهج الاجتاعي) في تحليل وقائع السيرة واحداثها فهو لم يكتف بسرد احداث السيرة سردا تاريخيا مجردا وانما مهد لذلك بدراسة الواقع الاجتاعي والاقتصادي الذي كان قائما في شبه الجزيرة العربية قبل ظهور الدعوة الاسلامية ثم بعد ظهورها بل لقد انفراد الطهطاوي دون غيره من كتاب السيرة بالتاريخ للحكومة الاسلامية على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حيث رأى في اعماله عليه الصلاة والسلام ما وضع نواة للنظام الاسلامي في الحكم والادارة والتشريع.

والثالث: والكتاب لا يخلو من اجزاء كثيرة يستخدم فيها الطهطاوي منهاجا آخر مختلفا عن المنهجين السابقين: العقلي والاجتاعي، وهذا المنهج الثالث يقوم على التسليح المطلق بكل ما يتعلق بالرسالة السماوية اي ذلك الجزء المتعلق بالعقيدة الاسلامية نفسها - وهنا يؤكد الطهطاوي ان الايمان اقتناع وجداني ليس شرطا ان يكون وليد النظر العقلي او

وهو نوعية المنهج الذي استخدمه الطهطاوي في طرح القضايا ومناقشتها وفي سرد الحقائق وتحليلها فقد طرق الطهطاوي في هذا الكتاب آفاقا جديدة لم يطررها من سبقه ممن تصدوا للكتابة في السيرة النبوية .. اذ لم ترد غالبية كتب السيرة التي ظهرت قبل كتاب «نهاية الايجاز» عن مجرد سرد تاريخي للوقائع والاحداث.

اما الطهطاوي فقد انفرد من بين كتاب السيرة باستحداث ثلاثة مناهج للبحث في كتابه الاول: انه استخدم المنهج العقلي في تحليل وقائع السيرة واحداثها بحيث قدم لنا السيرة النبوية من خلال المعرفة العقلية ... فهو لا يقصر المعرفة العقلية على الوقائع المادية وحدها وانما يمدّها ايضا الى مجالات العقيدة والايمان ... فهو يحلل الخوارق والمعجزات التي اتي بها الرسول صلى الله عليه وسلم ويخضعها للتحليل العقلي فيؤكدّها ويشبّثها ... فيفسر التسليح بها ليس بمجرد تسليح وجداني قائم على الايمان وحده ... وانما تسلم عقلي مبني على الاقتناع أيضا.

ان اهمية استخدام الطهطاوي لهذا المنهج في كتابه انه كان يحمي به التراث العقلي في الثقافة العربية الاسلامية بعد ان طمس هذا التراث لعدة قرون مسبقة ... وهي قرون الاضطهاد العربية في عصر ازدهار الحضارة العربية كان علماء الاسلام يقولون بسلطان العقل ... وكانوا اذا تحاكموا فالى سلطان العقل ... واذا حاجوا فيحكم العقل .. واذا تعارض دليل النقل ودليل العقل ... اوجبوا تاويل دليل النقل بما يوافق دليل العقل او عملوا بدليل العقل ... واذا تعارض حديث مع العقل اعتبروا الحديث مزورا غير صحيح.^(٢)

وقد كان الطهطاوي من الذين يعتقدون ان القرآن والاحاديث قد حثت المسلمين على الاجتهاد في المسائل الشرعية... فالاسلام في رأيه يجمع بين الدين والشرعية... اما

(١) رفاعة رافع الطهطاوي - بقاء حسن الذكر - باستخدام الفكر (صحيفة روضة المدارس المصرية العدد الثالث - السنة الاولى - ١٨٧٠

(٢) قدرى حافظ طرطان - مقام العقل عند العرب - دار القدس ببيروت ص ١٢



التأمل الفكري وأما هو إيمان بملأ القلب والوجدان ...
فالعقل البشري محدود القدرة لا يستطيع أن يحيط بكل أسرار
الوجود وحقائقه في حين أن القلب والوجدان يمكن أن يدرك
كثيراً من هذه الحقائق والأسرار .. فالإيمان يقع في هذه
المنطقة ... منطقة القلب والوجدان.

وعندئذ نكتشف أصالة الطهطاوي ومعاصرته في نفس
الوقت ... وذلك في مزجه الخلاق وملاءمته بين العقل
والقلب ... بين الإيمان والافتناع وهو بذلك كشف عن جوهر
الثقافة العربية. وعن عبقرية العقل العربي هذا العقل الذي
استطاع أن يجمع بين المعرفة الوجدانية وبين المعرفة العقلية أو
بين المادة والروح. فالطهطاوي في نهاية الانجاز يتناول السيرة
النبوية بعقله أحياناً ... وأحياناً أخرى يتناولها بقلبه.

ولقد بدأ نشر «نهاية الانجاز» في مجلة روضة المدارس
المصرية ... في فصول متتابعة كملاحق للمجلة ابتداء من
سنتها الثالثة ... ولكن رفاعه الطهطاوي توفي قبل أن يتم نشر
الكتاب كاملاً في روضة المدارس وترك مسوداته لابنه علي
فهيم كامل الذي قام على هذه المسودات بعبء قراءتها حتى
أنجز نشرها كاملة في روضة المدارس وكان ذلك في سنتها
الخامسة أي بعد وفاة الطهطاوي بعامين كاملين.

وقد قسم الطهطاوي الكتاب إلى عدة أبواب - وجعل
في كل باب عدة فصول - تماماً كذلك التقسيمات التي تراها
اليوم في الكتب والدراسات العلمية الجامعية ... فالأبواب
الأول خصصه (مولد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بعثته)
وضم هذا الباب عدة فصول .. تناول الفصل الأول، في
مولده الشريف ونسبه المنبئ ورضاعته وكفالاته «والفصل
الثاني» في ذكرى عمل مولده الشريف وأشهادة كل سنة وفيما
جرت في مولده وفيما بعده من وقائع «والفصل الثالث» في
زواجه بخديجة بنت خويلد رضى الله عنها وما رزقه الله من
الذرية منها». وخصص الباب الثاني في بعثته صلى الله عليه
وسلم ودعائه الناس إلى الدين الحق وهجرته»

.. وضم هذا الباب عدة فصول تناول الفصل الأول
(في رسالته صلى الله عليه وسلم على رأس الأربعين إلى كافة
الناس بشيراً ونذيراً) «والفصل الثاني» في «الهجرتين إلى الحبشة»
والفصل الثالث «في هجرته صلى الله عليه وسلم إلى الطائف»
قبل هجرته إلى المدينة المشرفة، «والفصل الرابع» في «الأسراء» به
صلى الله عليه وسلم ليلاً من المسجد الحرام وعروجه من
المسجد الأقصى إلى السموات العللى.

أما الباب الثالث فقد خصصه الطهطاوي للحديث (في

هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وما ترتب على ذلك من
المظاهر الإسلامية والمظاهر التعليمية وقسمه إلى عدة فصول
خصص الفصل الأول للحديث (في الأسباب الباعثة على
هذه الهجرة والتهجد لها) والفصل الثاني (في سيرة مهاجر إلى
المدينة مع صاحبه صديقه رضى الله تعالى عنه ... وهو ابتداء
التاريخ الإسلامي) والفصل الثالث (في ذكر المظاهر الحادثة
بعد الهجرة أجمالاً).

أما الباب الرابع فقد خصصه الطهطاوي للحديث في
نفاصيل المظاهر التي حدثت بعد هجرته عليه الصلاة والسلام
إلى وفاته صلى الله عليه وسلم ويتناول الفصل الأول (في ظواهر
السنة الأولى من الهجرة وما فيها من الغزوات) والفصل الثاني
(في ظواهر السنة الثانية من الهجرة وما فيها من الغزوات)
والفصل الثالث (في ظواهر السنة الثالثة من الهجرة وما فيها من
الغزوات). والفصل الرابع (في ظواهر السنة الرابعة من الهجرة
وما فيها من الغزوات). والفصل الخامس (في ظواهر السنة
الخامسة وما فيها من الغزوات). والفصل السادس (في ظواهر
السنة السادسة وما فيها من الغزوات). والفصل السابع (في
ظواهر السنة السابعة وما فيها من الغزوات). والفصل الثامن
(في ظواهر السنة الثامنة وما فيها من الغزوات). والفصل
التاسع منها (في ظواهر السنة التاسعة وما فيها من الغزوات).

وفي هذا الفصل (التاسع) قام على فهمي رفاعه بعمل
جدول لغزوات الرسول صلى الله عليه وسلم كان والده رفاعه
الطهطاوي ينوي اعداده ولكن المنية عاجلته قبل أن يشرع
فيه.

أما الفصل العاشر في هذا الباب فقد خصصه الطهطاوي
لحديث (فيما وقع من وفود العرب عليه صلى الله عليه وسلم
وفي حجة الوداع).

وفي الباب الخامس تناول الطهطاوي الحديث (في وفاته
صلى الله عليه وسلم وذكر بعض أخلاقه وصفاته ومعجزاته
وأزواجه وأعمامه وعماته وأحواله ومواليده وخدمته وحشمه صلى

الله عليه وسلم) وتناول الفصل الاول (في ذكر وفاته صلى الله عليه وسلم وما يتعلق بذلك) والفصل الثاني (في ذكر بعض اخلاقه وصفاته صلى الله عليه وسلم) والفصل الثالث (في ذكر معجزاته صلى الله عليه وسلم) وفي الفصل الرابع (في ذكر ازواجه صلى الله عليه وسلم وقرابته ومواليه).

اما الباب السادس فقد تناول فيه الطهطاوي الحديث في الوظائف والعمالات البلدية خصوصية وعمومية اهلية داخلية وجهادية التي هي عبارة عن نظام السلطنة الاسلامية وما يتعلق بها من الحرف (والصنائع والعمالات الشرعية على ما كان في رسول الله صلى الله عليه وسلم) وخصص الفصل الاول (في خدمة الخاصة به صلى الله عليه وسلم) والفصل الثاني (بما يضاف الى الامامة العظمى من الاعمال الاولى كالوزارة والحجابة وولاية البدن والسقاية والكتابة) والفصل الثالث (في العمالات الفقهية وما يضاف اليها) والفصل الرابع (في بحث الرسول يدعو الى الاسلام او للصلح او للامان او لمصلحة وغير ذلك من السفارات وما يتعلق بذلك من الترجمة وغيرها) والفصل الخامس في كتابة الجيش والعطاء والديوان والزمام وبيان ان الديوان له اصل في عهده صلى الله عليه وسلم) والفصل السادس (في العرفاء والمحاسبين) وخصص الطهطاوي الباب السابع في الحديث (في العمالات المتعلقة بالاحكام بالامارة العامة على النواحي والقضاء وما يتعلق به من اشهاد الشهود وكتابة الشروط والعقود والموارث والنفقات والقسام وناظر البناء للتحديد وذكر المحاسب والمناذي ومتولي حراسة المدينة والحاسوس لاهل المدينة والسجان ومقيمي الحدود). وتناول الفصل الاول (في الامارة والقضاء وما يتعلق به من اشهاد الشهود وكتابة الشروط والعقود). والفصل الثاني (في فاضلي الموارث وفاضلي النفقات والقسام وناظر البناء للتحديد) والفصل الثالث (في ذكر المحاسب والمناذي والبرج⁽¹⁾) وصاحب العسس⁽²⁾... ومتولي حراسة المدينة والحاسوس لاهل المدينة والسجان ومقيمي الحدود).

اما الباب الثامن فقد تناول فيه الطهطاوي (في العمالات الجهادية وما يتشعب منها او ما يتعلق بها) وتضمن الفصل الاول (في الامارة على الجهاد واستخلاف الامام على حضرته⁽³⁾) او على اهله اذا خرج عنها للغزو او غيره وذكر

⁽¹⁾ شديد الصوت

⁽²⁾ الباحث او اجهزة الامن بلغة عصرنا.

⁽³⁾ مدينته

المستغفر والفصل الثاني (في صاحب اللواء وذكر اول لواء عقد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم) والفصل الثالث (في اقسام الجيش الى خمسة اقسام) والفصل الرابع (في صاحب الخيل والمسابقة) والفصل الخامس (في سلاح النبي صلى الله عليه وسلم واعداه السلاح في سبيل الله وذكر من تولى النظر في ذلك في عهده صلى الله عليه وسلم وسمي صاحب السلاح وذكر من تولى حرسه) والفصل السادس (في ذكر ما يتعلق بالسفر للغزو وغيره من الدلالة وتسهيل الطريق والحراسة والتجسس ومنه تخذيل الاعداء والامانة على الحرم) والفصل السابع (في صاحب الثقل⁽¹⁾). والفصل العاشر (في البشير الذي بعث للبشارة بالفتح) والفصل الحادي عشر (في ذكر ما استعمل من السفن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم). وفي اخبار النبي صلى الله عليه وسلم ان ناسا من امته يركبون البحر غزاة في سبيل الله).

اما الباب التاسع فقد تناول فيه الطهطاوي الحديث في العمالات - الجبائية) وتناول الفصل الاول (في صاحب الجزية وصاحب الاعشار والرجمان ومستوفي خراج الارضين وصاحب المساحة والعامل على الزكاة والصدقات والخاص والفصل الثاني (في الاوقاف) والفصل الثالث (في صاحب الموارث والمستوفي والمشرّف).

اما الباب العاشر فقد خصصه الطهطاوي للحديث في العمالات الاختزائية) وتناول الفصل الاول (في صاحب بيت المال وهو خازن التقديرة وفي خازن الطعام وفي الوزان وفي الكيال) والفصل الثاني (في الاوزان والاكياس الشرعية المستعملة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفي ضرب السكة) والفصل الثالث (في اتخاذ الابل والفتح ورسم الدواب وفي جمع الامام مراعي للنعم الواردة من الزكاة).

اما الباب الحادي عشر فقد تناول فيه الطهطاوي الحديث (في عمالات مختلفة) وتناول الفصل الاول (في المنفق وفي الركيل وفي الامور المالية وفي انزال الوفد في دار الضيافة وفي انزال الوفد عند اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) والفصل الثاني (في المارستان والطب والرقية والفصد والكلي والمكان الذي اتخذ لايواء الفقراء الذين لا يأوون على اهل ولا مال).

⁽¹⁾ يفتح الداء والالف وهو مناع المسافر وحشمه.

اما الباب الثاني عشر - والاخير فقد خصصه رفاعة الطهطاوي للحديث (في حرف وصناعات كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم) وتضمن الفصل الاول (في التجارة وتوابعها) والفصل الثاني (في حرف مختلفة للرجال) دون الصنائع المذكورة لهم والفصل الثالث (في النساء المحترفات فيما يليق بهن).

ويختتم رفاعة الطهطاوي كتابه قائلا (ان هذا القدر من سيرته الشريفة صلى الله عليه وسلم كاف في التبرك بذكره الشريف وفي الدلالة على انه صلى الله عليه وسلم افضل الخلق وشريعتهم افضل الشرائع وامته اكرم الامم وعلماءها اكرم العلماء. واما حصر فضائله ومعجزاته وما خصه الله به الدنيا والآخرة واعده له فلا سبيل لاحد اليه ولا يحوم طائر فكره عليه ولا يعلمه الا الله تعالى اللهم ادخلنا في شفاعته وامتنا على ملته واحشرنا في زمرة امته).

وهناك خلاف حول التاريخ الذي انتهت عنده ابواب «نهاية الامجاز» في سيرة ساكن الحجاز ويبرز في هذا المجال وجهتي نظر:

فتميل الاولى الى القول بان الطهطاوي قد وقف في نهاية الامجاز عند وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وبدأ خلافة أبي بكر الصديق^(١).

اما وجهة النظر الاخرى فتميل الى القول بان الطهطاوي توسع في الكتاب حتى وصل الى خلافة (المطيع) .. وهو الخليفة الثالث والعشرين من خلفاء الدولة العباسية (٩٤٦-٩٧٤ هـ) ... وان ابنه علي فهمي رفاعة .. قد شمر عن ساعد الجد والاجتهاد في تكميله على حسب المراد بعد ان استأذن في ذلك وتصرح له بالتمام^(٢).

ولكن الكتاب كما نشر في روضة المدارس يفتك كما رأينا عند وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ... فهو لم يتعرض لخلافة ابي بكر الصديق ولا لمن بعده من الخلفاء الراشدين او الخلفاء الامويين او العباسيين .. ولكن اذا ما تفحصنا بعناية الخاتمة التي اضافها علي فهمي رفاعة لكتاب «نهاية الامجاز» سوف نكتشف العديد من الحقائق التي تزيح الستار

(١) جمال الدين الشيال - التاريخ - الموزعون - ص ٨٣

(٢) صالح مجدي - حلية الزمن في مناقب خدام الوطن - ص ٦٣-٦٤

عما خفي من اخبار هذا الكتاب ... في هذه الخاتمة المنشورة في مجلة روضة المدارس يذكر على فهمي رفاعة (ان هذا الكتاب - يقصد نهاية الامجاز - وكتاب المرشد الامين في تربية البنات والبنين كان الوالد قد أتم تسويدها رحمه الله. ولم يزل يصحح ما يلزم طبعه شيئا فشيئا الى ان استأنزه الله وبرحمته تولاه ... فكان احجام سابق براعته في مضار التصحيح عند الاقدام عند المزمرة الرابعة والستين من هذه السيرة يعني عند قوله الفصل التاسع في ظواهر السنة التاسعة وما فيها من غزواته - عليه الصلاة والسلام فلم تأخذني في تتبع أثره لومة لائم وتبتعت الباقي من مسوداته قراءة وتصحيحه حرفا ولبائنا قاصدا بذلك ير الوالد وثواب الحق الدائم)).

ولكتاب .. نهاية الامجاز في سيرة ساكن الحجاز ميزة اخرى بالاضافة الى كل ما سبق نجعله من أهم كتب الطهطاوي .. فقد كان آخر مؤلفاته .. وبالتالي فانه يصور لنا ما وصل اليه أسلوب الطهطاوي في فن الكتابة .. وخاصة اذا ما قارناه بأسلوبه في كتبه الاولى وبالأذات «تخليص الابريز في تلخيص باريز» فقد كان أسلوب الطهطاوي في كتبه الاولى ومقالاته أميل الى استخدام ما كان شائعا في عصره من غلبة السجع والتشبيه والاستعارة والامثال .. اذ كان كتاب عصره مولعين بالبدع على صورة منفرة من طريقة القاضي الفاضل ومن سبقه من ادباء العربية الحريري وبديع الزمان وغيرهما ... فاذا اصفنا الى ذلك ان كتاب هذا العصر لم تكن لهم مثل ثقافة ولا موهبة القاضي الفاضل او الحريري او بديع الزمان لذلك جاءت كتاباتهم اقرب الى التقليد منها الى الابتكار .. ذات نسج في ردئي قد يبر في كثير من الاحيان ضحك القارئ المعاصر وسخرته .. اما في نهاية الامجاز فقد قل استخدام الطهطاوي للمحسنات اللفظية كثيرا حتى كادت تختفي في بعض الفصول تماما.

وفي هذا الكتاب وضع الطهطاوي الاساس للاسلوب الحديث في الكتابة بالعربية وهو اساس قائم على تبخي البساطة والسهولة والابتعاد عن التعقيد والتعثر والتحرر الكامل من قواعد الزينة اللفظية.

وبعد هذا هو كتاب نهاية الامجاز في سيرة ساكن الحجاز ... الذي تقدمه الى القارئ .. والذي يمكن ان نقول عنه وبدون ان نهم بالتجاوز انه يفت في صف واحد مع أهم الكتب التي ابدعها العقل العربي تاريخه الحديث.

العالمية

في الأدب

وقبل التعرض لهذا السؤال أو ذاك يجدر بنا ان نتوقف بعض الشيء عند مظهرين ثانويين من مظاهر القضية:

اما **المظهر الاول** فهو انها قضية طارها الرحمة وباطنها العذاب. فالرحمة التي تبثها آثارها على هذا النحو تكن في ان ادبنا ادب طموح لانه ينتمي لامة طموح، والطموح رحمة، وتحريك كوامن الطموح رحمة ايضا، اما العذاب فيتدرج تحت هذا السطح مباشرة ويسفر عن وجهه في صور شتى ابرزها إيلام النفس وادانها بالتقصير. وكان عدم الحصول على جائزة نوبل هذه سقطة ما بعدها سقطة!

واما **المظهر الثاني** فيتعلق بجائزة نوبل نفسها من حيث هي اعتراف بالأهمية وترويج للنصح والتفوق. احب ان اوضح ان الفوز بأية جائزة ليس وحده شهادة بالنوع أو التفوق، والتعلق بالفوز بأية جائزة لا يدل على اصاله أو نبوغ، واضعف الاعيان ان اية جائزة لا يمكن ان تعادل النبوغ نفسه أو النصح نفسه.

نعود بعد ذلك الى القضية الاساسية بطرفها: **اخلية والعالمية**. لنسأل انفسنا: ما المقصود **بالخلية** وما المقصود **بالعالمية**؟ ولأن المقصود بالخلية يكاد ان يكون - ان لم يكن بالفعل - مفهوما ومعروفا، فاننا سنتوقف عند الطرف الآخر للقضية: **العالمية**. وبمفهوم المخالفة يمكن ان يتضح طرف القضية او حدا - كما يقول المناطقة - بإيضاح طرفها الآخر أو المقابل.

ما العالمية؟

- هل هي ذبوع النص الادبي وشهرته في اكثر من لغة؟
- هل هي قابلية النص الادبي للذبوع والتشعار في غير لغته الاصلية؟
- هل هي قدرة النص الادبي على التأثير في غيره من النصوص خارج لغته الاصلية؟

الاجابة هي: نعم في كل الحالات الثلاث مجتمعة، فكل حالة متصلة بالآخرين فلا يمكن تصور ذبوع النص بغير قابليته للذبوع وبغير قدرته على التأثير، ولا يمكن تصور قابلية النص للذبوع بغير ذبوع وبغير قدرة على التأثير، وحلم جرا، غير ان هذه الحالات الثلاث مجتمعة ما هي الا عرض لجوهر واحد، او هي مظاهر لجوهر واحد تتمثل في اجابة سؤال ثلاثي اهم:

- لماذا يذيع النص الادبي في اكثر من لغة؟
- لماذا يقبل النص الادبي للذبوع خارج لغته الاصلية؟
- لماذا يؤثر النص الادبي في غيره خارج لغته الاصلية؟

الاجابة هذه المرة لا يمكن ان تكون بكلمة واحدة، مع انها - كما سنرى - اجابة واحدة تسري على السؤال بقرعوه الثلاثة. ذلك ان النص الادبي لكي يصل الى الحكم عليه بالجوذة والامتياز لا بد ان يتضمن - في شكله ومضمونه على السواء - مجموعة من الخصائص القيمة (من القيمة) تعارف عليها خبراء الادب، ومتنوعة، وكذلك - الى حد ما - مستهلكوه اذا صح التعبير. وقد صارت هذه الخصائص - ان لم تكن - من البدهيات التي لا خوف من اجمالها او تعميم صيغتها دون تخصيص او تفصيل. ولا خوف علينا اذن من ان نجعلها في اربعة مقومات.

اولا- النص الادبي في اساسه تعبير عن تجربة او خبرة انسانية عاشها المبدع او عايشها وبدون هذه التجربة او الخبرة يفقد النص مقوما اساسيا من مقوماته. ويتدرج هذا التعبير - بالطبع - من الوصف الخارجي للتجربة او الخبرة الى التصوير الداخلي لحركتها وانعكاساتها.

ثانيا- النص الادبي تعبير عن تجربة او خبرة انسانية عاشها المبدع او عايشها من خلال احساسه الخاص بالفرد. وبدون هذا الاحساس يفقد النص مقوما اساسيا آخر من مقوماته، وبصير كالجلفة الهامدة، لا حياة فيها. ويتدرج هذا الاحساس من الذاتية المطلقة الى ما يمكن ان نسميه بالذاتية النسبية، اي الذاتية الواعية، بمعنى ان يتحكم المبدع اناء او بعد عملية الابداع في ضبط ذاتيته وتوجيهها الوجهة السليمة من حيث علاقتها بذلك القانون الذي اهلناه طويلا في نقدنا .. قانون الضرورة والاحتمال، اي ضرورة وقوع الواقعة او احتمال وقوعها.

ثالثا- النص الادبي تعبير عن تجربة او خبرة انسانية عاشها المبدع او عايشها من خلال احساسه الخاص بالفرد وصهرها داخل قدرته او موهبته التخيلية. ويفقد النص الادبي مقوما اساسيا ثالثا بالخيال، يفقد النص الادبي مقوما اساسيا ثالثا من مقوماته ويتدرج الخيال ايضا من الفقر الى الغنى، ويكون غناه باعنا على جودته.

رابعا- النص الادبي تعبير عن تجربة او خبرة انسانية عاشها المبدع او عايشها من خلال احساسه

الخاص الفرد وصهرها داخل قدرته او موهبته التخيلية، وقدمها في رؤية انسانية متكاملة وملموسة الاطراف. وبدون هذه الرؤية الانسانية يفتقد النص الادبي المقوم الاساسي الرابع. ولينست الرؤية الانسانية شكلا فحسب، ولكنها مضمون ايضا. كما انها ليست مضمونا فجا مباشرا، ولكنها مضمون يتوسل بلوغ هدفه بوسائل إيجائية وتصويرية غير مباشرة.

هذه هي المقومات الاساسية الاربعة التي نراها ضرورية في اي نص ادبي بآلة لغة من اللغات. ولو شئنا تطبيقها على النصوص الادبية لما تعذر ذلك على الاطلاق ابتداء من اقدم النصوص الادبية مثل «الأياذة» و«الادويسة» في الادب الاغريقي الى احداث نص اخرجه المطابع. وبمجل هذه المقومات الاربعة يشكل الاجابة عن سؤالنا الثلاثي السابق دون حاجة الى تفصيل لا يقتضيه المقام.

وعندئذ نصل الى سؤال ثلاثي آخر اهم:

- كيف يذيع النص الادبي في اكثر من لغة ؟
 - كيف يقبل النص الادبي الذبوع خارج لغته الاصلية ؟
 - كيف يؤثر النص الادبي في غيره خارج لغته الاصلية ؟
- الاجابة هذه المرة ايضا لا يمكن ان تكون بكلمة واحدة. ولا يمكن ايضا ان تكون واحدة تسري على السؤال بفروعه الثلاثة. ذلك لأنها تضعها مباشرة في دائرة ثلاثة علوم حديثة على جانب كبير من الاهمية هي: الادب المقارن //

الانصال LITERATURE COMPARATIVE

بالمجاهير MASS COMMUNICATION //

العلاقات العامة PUBLIC RELATIONS //

واقدمها - وهو الادب المقارن - لا يزيد عمره على قرن من الزمان.

□ الوجود العربي □

وقبل ان نتعرض لمواجهة هذه العلوم الثلاثة وصلبنا بالادب، او بالنص الادبي على وجه التحديد علينا ان نتوقف قليلا عند ظاهرة ذبوع بعض النصوص الادبية العربية بعد عصر النهضة في اوربا، وتأثيرها الواضح في النصوص الادبية الاوربية في كثير من لغاتها. فقد ذاع على سبيل المثال لا الحصر نص «رسالة الغفران» لابي العلاء المعري، ونص «حكايات ألف ليلة وليلة» ونص «كلىة ودمنة» لابن المقفع ونص «مقامات الحريري» ونص «حي ابن يقظان» لابن طفيل. وقد ذاعت هذه النصوص وغيرها في اوربا واثرت تأثيرا واضحا في

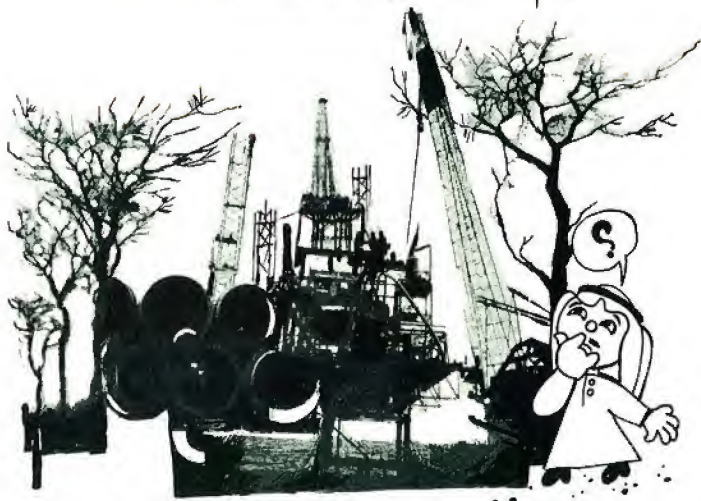
نصوصها الادبية في كثير من لغاتها، ناهيك عن ان اللغة العربية نفسها كانت قبل ذلك في العصور الوسطى وإبان عصر النهضة لغة ثقافة، وكان المثقفون الاوربيون يفخرون بمعرفتهم لها. ولو اننا حاولنا تطبيق مقومات النص الادبي الاساسية الاربعة - التي ذكرناها - على هذه النصوص العربية وغيرها مما ذاع وشاع واثر في اوربا، لما واجهتنا صعوبة ولا ثبنت هذه النصوص نفسها صدق ما ذكرناه من فروض هي اقرب اليوم إلى البديهيات في لغة الادب وتقديره. ومن شاء ان يجري هذا التطبيق فليقبل. اما ما يهينا الآن فهو بيان الكيفية التي ذاعت بها هذه النصوص وغيرها. وقد كان العالم طوال العصور الوسطى وإبان عصر النهضة مترابطا الى حد ما بوسائل اتصال بدائية الى حد ما ايضا، مثل الاتصال الشخصي عن طريق الحروب والاسفار والتجارة ومثل الترجمة التي كانت في حد ذاتها قناة هامة من قنوات الاتصال في ذلك الزمن، فضلا عن «الوجود العربي» الذي كان يمتد بعمق في شرايين اوربا عن طريق الاندلس والمنايا الايطالية وغيرها من البوابات. ولم يكن ذلك الانفتاح الاوربي على النصوص العربية راجعا الى قوة العرب او المسلمين وتأتى حضارتهم، فهذا كلام نطلقه على عواهنه، لان العرب لم يكونوا قد غزوا اوربا كلها من ناحية - ومن ناحية اخرى كان مذهبهم قد انحسر في عصر النهضة، ومع ذلك ازداد ذبوع تلك النصوص وغيرها، لا لان العرب كانوا يوما ما اقوياء، وانما لان هذه النصوص نفسها كانت - في اخل الاول - نصوصا مستوفية المقومات الاساسية. وهذه هي الترويح - على سبيل المثال - امة محدودة العدد والعدد، لم يسبق لها ان غزت غيرها او توسعت في شر مما حولها بل كانت مطمعا ومغلا للغزو من سواها، بل كانت لغتها - ايضا - ولا زالت محدودة الانتشار والمكانة، ومع ذلك كله استطاعت، النصوص الادبية الدرامية التي كتبها ادبها «هزليك اسن» في القرن الماضي ان تذيع وان تؤثر - الى هذه اللحظة - خارج لغتها الاصلية، لا لسبب الا انها مستوفية المقومات الاساسية. ولم تذهب بعيدا والى جوارنا اليوم مثل آخر صارخ ؟ فكثير من النصوص الادبية التي يكتبها كتاب القارة الافريقية جنوب الصحراء منذ فترة ما بين الحربين بلقى اليوم الذبوع والانتشار، كما يجذب اثره حتى في النصوص الادبية لكتاب الدول الاوربية التي استعمرت القارة منذ ثلاثة قرون.

□ علم .. الادب المقارن □

نعود مرة اخرى الى العلوم الثلاثة التي اشرنا اليها منذ قليل

حاجتنا إلى الثقافة البيئية

بقلم: د. عبد العزيز حامد أبو زنادة



الموضوع .. الا اننا او قل الاغلبية العظمى من سكان اي منطقة من مناطق العالم - ناهيك بمنطقتنا - يفتشون في تطبيق ما يقرأونه او يطلعون عليه في سلوكهم الفردي في البيئة التي يعيشون فيها. ولعله من غير الضروري الاشارة هنا الى ان الامر فيما يتعلق بهذا الموضوع نسبي ويختلف اختلافا بينا من منطقة الى اخرى في العالم تبعا لمقدار الثقافة البيئية المستوعبة ولمقدار ما يتعرض له الفرد العادي من تثقيف وتبصير في هذا المجال.

يلاحظ في العشر سنوات الاخيرة من هذا القرن اهتمام واضح بالبيئة والدراسات البيئية على مختلف مستويات التعلم والثقافة .. ولعل مرد هذا الاهتمام الواضح يكمن في تخوف البعض من العلماء وحذرهم من المخاطر التي قد يتعرض لها العالم بأجمعه من جراء التغيرات التي تطرأ باستمرار على البيئة في جميع بقاع العالم.

وعلى الرغم من كثرة ما كتب من مقالات وكتب وتقارير ووثائق وما عقد من ندوات مناقشة ومؤتمرات عابثت هذا



ومن أهم السياسات التربوية والثقافية التي تبنتها مختلف دول العالم وخصوصا الدول المتقدمة هي انشاء المعاهد العالية المتخصصة في شؤون البيئة بشكل شامل (بملاحظ ان الدراسات البيئية كانت وحتى وقت قريب تدرس كأحد الفروع الثانوية لبعض العلوم) كما أخذت في ادخال وربط المعرفة البيئية بشتى العلوم والفنون وذلك في محاولة لربط المتخصصين في هذه العلوم وتبصيرهم بالبيئة والتأثيرات التبادلية بين البيئة من ناحية وبينهم من ناحية اخرى.

العمليات التي تؤثر على البيئة

اما السؤال الملح هنا فهو اين نحن من مثل هذه المخاطر؟! وهل حقا نتعرض بيئتنا لمخاطر معينة بسبب ما نقوم به من مختلف العمليات وقبل ان نجيب على هذا التساؤل يجدر بنا ان نميز بين العمليات التي تؤثر على البيئة حيث يمكن ان نقسم تأثيراتها الى التالي:

- (١) تأثيرات تنتج من العمليات الصناعية.
- (٢) تأثيرات تنتج من العمليات المدنية.
- (٣) تأثيرات تنتج من العمليات الزراعية.
- (٤) تأثيرات ناتجة عن عمليات يقوم بها الافراد.

والعمليات الثلاث الاولى تتشارك تأثيراتها وتتعدد كثيرا وقد لا تكون حتى الآن قد لاحظنا آثارا واضحة لها في بيئتنا المحلية وذلك لطبيعتها الخاصة التي تتميز بتأثيرها البسيط في بداياتها الا ان هذه التأثيرات الضئيلة تتراكم عبر الزمن فينتج عنها ظواهر خطيرة هي التي تعاني منها حاليا الكثير من الدول المتقدمة صناعيا ... وقد يكون من غير المناسب هنا ان نذكر طرق الحماية منها او النصح باتخاذ خطوات محددة لعلاجها. فالأهم في هذا الصدد هو اجراء الدراسات المسحية المستفيضة للبيئة في الوقت الحاضر حيث ان نتائج هذه الدراسات ستكون بمثابة حجر الاساس عند التوصية بطرق

وهناك في الوقت الحاضر ما يشبه الاقتناع بان الحاجة تدعو الى ادخال برنامج شامل متطور للثقافة البيئية يدرس في مختلف مستويات التعلم ويؤكد على ان الفرد ما هو الا جزء من بيئته وانه لاشك يساهم بما يقوم به من اعمال وسلوك نحو العمليات المختلفة التي تحدث في منظومتنا البيئية. وبموجب هذا البرنامج فان كلامنا سيزود بمعلومات اساسية عامة عن اعتماد مختلف الكائنات - بغض النظر عن رقبها او عدمه - على بعضها البعض بما في ذلك بطبيعة الحال الانسان وعلاقاته بالبيئة وتأثير ثقافته على الاتزان الطبيعي للبيئة.

هذه في الحقيقة بعض اهداف الثقافة البيئية التي يمكن ان نعرفها بأنها عملية التعرف على القيم وتوضيح المفاهيم بحيث ينشئ لدى الفرد المهارات والسلوك والقدرات الضرورية لفهم ومعرفة العلاقات المتداخلة بين الانسان وثقافته وما حوله من محيطات بيولوجية وفيزيائية. والثقافة البيئية ايضا تستلزم التدريب على صنع القرارات وتكوين القدرة على رسم المواجه السلوكية حول القضايا المتعلقة بنوعية البيئة.

تكوين الوعي البيئي

كما قدما فان المتبع لهذا الموضوع يجد ان قضايا البيئة اخذت في الآونة الاخيرة تستحوذ على كثير من الاهتمام حيث عقدت لها العديد من المؤتمرات التي تمخضت عن تكوين سياسات واضحة تبين كيفية السلوك البناء للفرد في بيئته. ولئن اخذت الكثير من الدول المتقدمة بتبني سياسات ثقافية وتربوية محددة. الغرض منها تكوين وعي افضل عن البيئة. فان هذا يرجع كما هو متوقع لما يلمس من تغير واضح في تلك البيئات بحيث اصبح معها العيش اشبه بالمستحيل ولعلنا لتأكيد هذا لا نذهب بعيدا عبر الزمن لتذكر ما حدث لأحدى المدن الايطالية من تدمير للبيئة بفعل نشاطات الانسان الصناعية.



وجودها في بلد قد تكون اتساع رقعته احدى مشاكله الطبيعية.

ولقد تعدى الانسان بعملياته ذات الاثر التخريبي للبيئة الصحراوية فعبث بالبيئة البحرية ايضا وغير في صفاتها بما يلقيه فيها من مخلفات واستنار غير متعلل لثرواتها بل المؤلم ما نشاهده من انقراض لبعض البحيرات تحت وطأة تلك العمليات المدنية ولنضرب على ذلك مثلا واحدا والامثلة كثيرة. فمن منا لم يلاحظ ما تعانيه البحيرة المعروفة (بحر الطين - بحيرة) من انقراض في مساحتها يزداد يوما بعد يوم .. لقد كانت تلك البحيرة (وهناك امثلة اخرى في مختلف المناطق الساحلية) الى زمن قريب الرئة القريبة من تناول الجميع ..

يؤمها الكثير للفسحة والراحة هذا علاوة على ما تصبى لمسات جانبية لتلك المدينة.

ان عمليات الانسان ذات التأثيرات الخطيرة على كثيرة ومتعددة ولا تشكوها البيانات فقط او البحار فقط بل حتى الحيوانات البرية التي تقطن مناطق وغرة الصحراء تجد الكثير من اجناسها وقد اصبحت في ان بعضها مثل حيوان الوضحي « لم يبق منه سوى ضئيل معظمه في الحدائق العالمية بأمريكا وغيرها . المدهش ان نهم هذا الحيوان جمعيات علمية عالمية نحن هنا المنسبين في زواله وهناك اجناس حيوانية عديدة انقرضت او في طريقها للانقراض من بيت

ان سن القوانين ووضع السياسات اللازمة لحماية الياها ضرورية الا انها تعتبر العلاج الحاسم لهذه فاعلاج الخفي هو التبصير والفهم الكامل للبيئة وياتي الا بتكوين الوعي البيئي عن طريق التثقيف البيئي باستعمال وسائل الاعلام المختلفة وادخال الثقافة كإداة اساسية في مراحل التعليم المختلفة وان نحن احذ فاننا سوف لا نلجم جيلا الحاضر فقط بل الأجيال التي ستعيش في منظومتنا البيئية ... والله من وراء

محنة الخيل -

معبية لدرء اخطار تلك العمليات وعلى سبيل المثال يجدر اجراء دراسات عميقة لمعرفة مكونات الهواء من غازات وذرات دقيقة وازرة وكتانات دقيقة او حبيبات اللقاح وغيرها ... وكيفية تأثر هذه المكونات باختلاف فصول السنة وغيرها من المتغيرات كما يجدر اجراء مسح شامل للغطاء النباتي لمختلف المناطق بالملكة وطريقة توزيع هذا الغطاء ومكونات تلك المساحات من حيوانات وطيور وغيرها. كما يجب ان توجه عناية خاصة للمياه سواء كانت مياه عذبة او مياه بحار. واجراء دراسات شاملة عليها لمعرفة مختلف مكوناتها الحية وغير الحية ان هذه الدراسات الاساسية تعتبر الركيزة الهامة التي يجب ان نركب عليها ابق تصالير كارتعص متطالرا اساسا عند

سن القوانين ووضع السياسات المتعقبة بالمحافظة على البيئة.

وسعرض بالتفصيل في وقت لاحق عن هذه العمليات اما النوع الرابع من تلك العمليات فهو اكثرهم علاقة بموضوع هذه العجالة الذي يجب ان نعرض بتأثيراته ونجعلها راسخة في سلوك الافراد. فقد عانت بيتنا وتعاني كثيرا من العمليات التي يقوم بها الافراد والامثلة كثيرة على ذلك وسوف لا شير الا الى القليل منها ... مثل تجريد الصحراء من غطائها النباتي الطبيعي واستعماله كوقود في بلدهي الاولى فيه من حيث انتاج الوقود. ونحن اذ نشير الى هذه الناحية لا نشير اليها بدافع حسنا واعجابنا بجمال النبات فقط بل لما يترتب عن ازالته من تخريب كبير للبيئة متمثل في تغير في المناخ وتغير في صفات التربة وعدم ثباتها مما يجعلها حرة يعبث بها الهواء فينقلها الى المدن التي تعيش فيها. وما دمنا بصدد الاشارة هنا الى اثر الانسان على حياة النبات فلعله من المناسب ايضا ان نذكر ما يحدث لبعض المناطق الزراعية التقليدية في بعض المناطق بالملكة التي بدأت تتلاشى تحت تأثير الانسان وعملياته المعاصرة وكاننا بذلك نحاول ان نقلع الاشجار لتزوي في امكانها المعارات والمساكن. وان كان هذه العمليات بعض من تبرير ومسيبات في بلدان اخرى صاقت بساكنها فمن الغريب جدا ان نلاحظ

من
البيئة
فانما
داخل
ضرر بل
عدد
ومن
وتكون
الغري
نفة مع
مشكلة
لذا لا
الشمعي
البيئة
بها
مفادمة
نصده.



مدن في السعودية تشتغل بالطاقة الشمسية

بمقام : د. عبد المحسن صالح

«ارسلت السعودية عددا من المسؤولين الى الولايات المتحدة الامريكية لدراسة جهاز خاص للتبريد والتدفئة يعمل بالطاقة الشمسية، ولما سئل وزير التخطيط السعودي عن سر هذا الاهتمام، قال بان السعودية تشعر بان النفط سيصبح من الاهمية بحيث يستخدم في الصناعات الكيماوية التحليلية، ولانتاج المواد الصيدلانية وقد شجعت وزارة التخطيط السعودية، بالفعل، التجارب التي تجرى على انظمة الطاقة الشمسية».

جاء هذا الخبر المثير في مجلة «الفجر» القطرية (العدد ٨٤) نقلا عن «السياسة» الكويتية، وتساءلت السياسة اذا كانت الكويت تحاول اللحاق بمضامير التقدم والبناء، فعليا ان تسارع بتخصيص بعض العقول الكويتية لبحث ودراسة استغلال الطاقة الشمسية ومنافعتها الاقتصادية المتعددة، وفي نفس الوقت عليها ان تشجع اقامة صناعات تعتمد على البترول كمادة خام - كالصناعات الكيماوية والبتروكيماوية، والمواد اللازمة للعقاقير الطبية وغير ذلك من منتجات البترول.

والدعوة الى الاستفادة بالطاقة الشمسية في المملكة العربية السعودية، او

في الكويت دعوة يجب الا تقتصر عليها وحدها، بل على كل الدول العربية الاخرى - البترولية وغير البترولية - ان تفتح عقولها، وتشجذ افكارها، وتسخر امكاناتها، وتوجه علماءها لاصطياد هذا النبع المائل من الطاقة الذي يضيع وينشت دون ان يستفيد به احد .. الا النباتات الاخضر!

صحيح ان النبات ليس له في عقول عامة الناس صلة وثيقة بلعبة الطاقة الشمسية واصطيادها ولكنه - والحق يقال - كان صاحب الفضل الاول والاخير في كل هذه المخازن الماثلة من الثروات البترولية المدفونة تحت زمال معظم البلاد العربية او غيرها، فالبترول جزئيات عضوية مشحونة بطاقة كيميائية، لكن هذه الطاقة كانت في الاصل اشعة شمسية، ومن خلال عملية عظيمة نعرفها باسم التمثيل او البناء الضوئي تم اعتقال هذه الطاقة واصطيادها بواسطة بطاريات شمسية ظهرت على هذا الكوكب من قديم الزمن.

لكن هذه البطاريات لم تكن من صنع انس ولا جان، لانها ظهرت قبل ان يظهر الانسان بأكثر من الف مليون عام .. هي اذن من صنع الله الذي اتقن

كل شيء صنعا، ثم وضع ما صنع في نبات اخضر، وجئنا نحن لنرتب بديع صنعه بواسطة المجاهر لنرى اعظم واصغر وادق واكثفا بطارية حية، وهي تلف وتدور داخل الخلايا الحية، لتأخذ نصيبها من الطاقة الشمسية، وتحوّلها الى طاقة كيميائية، ليبنى بها النبات جزئياته وخللاياه وانسجته وجيوبه وتمازجه، ولتكون فيما بعد غذاء ميسورا للانسان والحیوان، فيحرقها، في جسمه حرقا بطيئا، ليحرر الطاقة المخزونة، فتطلق فيه «شعلة» الحياة الدافئة - تلك الشعلة التي كانت في الاصل ضوئا، فاختفى في النبات بوجه، ليظهر فيها ولنا بوجه آخر.

وما البترول او الغازات الطبيعية او اي نوع من انواع الوقود الاخرى الا بقايا حياة نباتية وحيوانية دفنت في باطن الارض منذ عشرات ومئات الملايين من السنين، وتحولت تحت ظروف خاصة الى جزئيات مشحونة بالطاقة الكيميائية - هي في الاصل ايضا طاقة شمسية.

لكن البترول حتما سينضب، طال الزمان او قصر، في حين ان الشمس لن ينضب معينها قبل مرور عدة الوف

الدعوة الى الاستفادة بالطاقة
الشمسية في المملكة العربية السعودية
أدرك في الكويت، دعوة يجب ألا تقتصر
عليها وحدهما، بل على كل الدول
العربية الأخرى البترولية وغير البترولية.



بأس به من نشاط هذا الكوكب - على الأقل ظاهرا لا باطنا، الا ان نصيبها من الطاقة الشمسية اصغر نصيب، فهو لا يتعدى ٤٠ الف مليون كيلو واط، او مجرد ٢٣ جزءا من مليون جزء من طاقة الشمس المسلطة على ارضنا. وهذه الكمية تدخل اصلا في عملية التمثيل الضوئي في النبات الاخضر - كما سبق ان ذكرنا، ومن النبات تتوزع على كل الكائنات في صورة طاقة كيميائية مخزنة، ثم تتحرر في هيئة طاقة حيوية تجعلنا نجري ونكد ونسعى ونفكر في المستقبل عامة، وفي الطاقة خاصة. علنا نحصل على مزيد من الطاقة، اذ بقدر الطاقة المستغلة - في اية صورة من صورها - يتحدد تقدم الدول ورفاهيتها. ويقدر نصيب الفرد من الطاقة، تكون مقاييس الحضارة.

من هنا، بدأت الدول التي تحترم ذاتها، تخطط لمستقبل ابنائها في استغلال منابع طاقتها استغلالا رشيدا وحكيما. أصبح ان البترول هو المصدر الميسر والمسهل والرخيص للحصول على الطاقة، لكن الحكمة قد استدعت السعودية لكي تنظر نظرة بعيدة المدى، وتلجأ الى الصعب - اي تسخير الطاقة الشمسية، وتحصر على السهل - اي مصادر البترول، لان هذا السهل سيصبح صعبا ونادرا بعد عشرات السنوات، فبدلا من هدمه وخرقه لتوليد الطاقة

من الجليد، ولهذا فقد جاء كل شيء بحساب وميزان، لتعمر الارض. وتزدهر الحياة، وتسير الامور كما قدر الله.

على ان لهذا الجزء الضئيل جدا من الطاقة الشمسية شأن آخر، لان الارض يوميا تستقبل في المتوسط حوالي ٧٠٠.٠٠٠ كيلو واط قوة حصان على الميل المربع الواحد، او ان مساحة من الارض لا تزيد عن ميل ونصف ميل مربع، تنقبل كل يوم طاقة تساوي طاقة القبيلة الذرية التي دمرت هيروشيما باليابان، وبهذا انتهت الحرب العالمية الثانية!

لكن هناك من يهوى هذه الطاقة بالكيلو واط ولطولا، يقول ان ارضنا تستقبل من الطاقة الشمسية ما يقدر بحوالي ١٧٣ مليون مليون كيلو واط، ومن هذه الكمية الهائلة تشتت وتضيع بالانعكاس الى الفضاء مرة اخرى ما قيمته ٥٢ مليون مليون كيلو واط (حوالي ٣٠٪ من ميزانية الطاقة الواصلة لأرضنا)، في حين ان ٤٧٪ من الطاقة (ما قيمته ٨١ مليون مليون كيلو واط) يمتصه الغلاف الهوائي، والماء واليابسة، ويتحول الى دفء وحرارة تتوزع في ارجاء ارضنا، والباقي وقدره ٢٣٪ يتوزع على هيئة طاقة في التيارات المائية والهوائية والرياح والأعاصير والبحر والسحاب والمياه الجارية والكائنات الحية بداية من ميكروباتها، حتى انسانها ونباتها وحيوانها.

ورغم ان الكائنات الحية التي تنتشر في الارض والماء والهواء تكون جزءا لا

الملايين من الاعوام، ومن هنا انجذبت اليها العقول والافكار، لا لعبادة او تقديس كما كان يفعل القدماء، بل من اجل السيطرة على جزء - ولو يسير - من اشعتها او طاقتها، للاستفادة به في اغراض شتى، وبهذا توفر جزءا من البترول لاستخدامه في صناعات اخرى تستطيع ان تدر دخلا هائلا تحتاج اليه الاجيال القادمة، ذلك ان الدول التي تخطط لمستقبلها، وتعمل من اجل يومها وغدها، وتحسب حساب القرون القادمة، انما هي - بلا شك - دول واعية، وشعوب تعرف كيف تستثمر ما يفيدها فيما يفيده.

والطاقة الشمسية هي امل المستقبل، ومن حسن حظ معظم الشعوب العربية انها تقع في منطقة من الارض تجود فيها السماء باشعتها وحرارتها، كما انها تتمتع بنحو صاف معظم شهور العام وتلك من اعظم الحسنات التي تجعل من استغلال طاقة الشمس امرا جوهريا تتوقف عليه رفاهية الدول ومستقبلها.

على انه يجدر بنا ان نقدم هنا ميزانية او موازنة علمية عن نصيب هذا الكوكب من الطاقة الشمسية، وما يضعف من هذه الطاقة وينتشت، وما يستغل منها ويبقى. فالارض كلها لا تستقبل الا جزءا واحدا من التي جزء من اشعة الشمس او طاقتها، وفي هذا الجزء الضئيل ما يكفيها وزيادة، اذ لا نطلب مزيدا حتى لا تتحول ارضنا الى فرن يكوئ الوجه، ولا ندعو بنقص حتى لا يصبح كوكبنا قطعة



بحساب وبغير حساب، بدلا من ذلك كان لابد من بنائه في صناعات بترولية كيميائية شتى .. وشتان ما بين هدم وبناء. او توليد طاقة، وصناعة عطر او كساء او خامات جديدة او دواء .. الى آخر القائمة الطويلة العريضة من المشتقات الكيميائية والدوائية والألياف الصناعية التي تدخل خامات البترول في صنعائها.

اي كائنا السعودية ترى بنظرها البعيدة والحكيمة ان البترول خامه يجب تصنيعها لحرقتها، وان الارصدات العائدة من البترول، يجب ان تستغل في تجهيز المملكة بمصادر للطاقات البديلة .. وليس هناك ما هو اعظم من الطاقة الشمسية التي تستلطف على صحاريها الخالية، اذ لو أمكن استغلالها بكفاءة، لكانت منبععا عظيما من طاقات لا تنضب، وبهذا توفر جزءا كبيرا من بترولها المستخدم في توليد الطاقة، لتقوم عليه صناعات بناءة. سوف تدر دخلا يقدر بعشرات المرات من دخل البترول الخام.

ان صحاري العالم غير المستغلة تبلغ مساحتها ما يربو على العشرين مليونا من الكيلومترات المربعة، ومع ذلك فكل متر مربع منها عند الظهيرة، وفي يوم خال من الغيوم يستقبل من الطاقة الشمسية ما قيمته كيلو واط طاقة كهربائية، او ان الكيلومتر المربع الواحد يساوي بمعايير هذه الطاقة مليون كيلو واط، او لو أمكن استغلال الطاقة الشمسية المطلقة على هذه المساحات الهائلة من الصحاري الخالية من الزرع والضرع، لامتد العالم

كله بفيض من الطاقة اكبر من كل ما يستغله الآن من مصادرها بما يزيد على اربعمائة مرة، ثم انه يجزء يسير من هذه الطاقة يستطيع الانسان ان يحول الصحاري الى جنات وزرع وتغليل واعشاب، لتشارك بدورها في اصطلياد المزيد من الطاقة، اذ اننا لم نعرف حتى الآن ما هو اكثر كفاءة لاستغلال الطاقة من النبات. ولا يمكن ان يجاريه في هذا الشأن ما صنع الانسان من بطاريات شمسية وغير شمسية .. اذ هناك فرق كبير بين ما صنع الله، وما صنع الانسان.

ان عملية التطبيق والتنفيذ مع كفاءة التشغيل مسألة هامة لتحقيق الهدف. اذ من المعروف ان البترول (والوقود الحفري عموما) من اخص مصادر الطاقة المستغلة الآن. صحيح ان اشعة الشمس ليست ملكا لأحد، وصحيح انها مباحة للجميع، الا ان هناك بعض عقبات لاستخدامها في توليد الطاقة على نطاق واسع، ويوم يستطيع الانسان التغلب على هذه العقبات التكنولوجية - وسوف يقولون - فستصبح الطاقة الشمسية مصدرا اساسيا للانسان، خاصة لمن يعيشون في المناطق الحارة والمعتدلة ذات الاجواء الصافية معظم العام.

لكن ذلك لا يعني ان الطاقة الشمسية غير مستغلة حتى الآن، ولا يعني ايضا ان الغلاء قد هجرها نظرا لان هناك من الطاقات ما هو اخص منها، لكن ما نعينه ان الطاقة الشمسية لم

تستغل الا على نطاق محدود في بعض دول قليلة، وان الاجهزة والتصميمات العديدة المستخدمة في تحويلها من صورة الى اخرى لم تستغل بالصورة التي يمكن ان تؤدي الى انتاج طاقة تجارية ميسرة لكل الناس.

والاستغلال المحدود للطاقة الشمسية يظهر اكثر ما يظهر على مستوى البيوت، بمعنى ان هناك كثيرين يستغلون هذه الطاقة في تكييف منازلهم صيفا وشتاء دون ان يطالبهم احد بفاتورة حساب، لان اشعة الشمس ليست - كما سبق ان اخنا - مما يباع ويشترى - الآن على الاقل!

ومن الدول التي اهتمت باستغلال جزء من الطاقة الشمسية في تدفئة البيوت شتاء، وتبريدها صيفا نذكر اليابان واسرائيل وولاية او لايتن في امريكا، كما نذكر بعض المراجع العلمية ان في اسرائيل ما يقرب من مائتي الف منزل وشقة تستغل الاشعة الشمسية في عملية التكييف عن طريق الواح خاصة تبلغ مساحة كل منها مترين مربعين، ومن الواح تتوجه الطاقة الشمسية المتجمعة على هيئة طاقة حرارية الى خزانات مائية سعة كل منها ما بين ١٨٠-٢٧٠ لترا (حوالي ٩-١٣ صفيحة ماء) وبطريقة خاصة لا داعي لذكر تفاصيلها هنا، يمكن التحكم في هذه الطاقة لتدفئ البيت اذا كان جوه باردا، او لتعشه بهواء عليل اذا ارتفعت الحرارة.

في إنجلترا مثلا يقولون ان مثل هذا



كبيرة في حجم الانسان» في تجاربه التي اجراها على الضوء عام ١٧٧٤، لكن الامر في الحقيقة اقدم من ذلك بكثير، فلقد كان لعلماء العرب المهتمين بالبصريات في ذلك المجال صولات وجولات، اذ استخدموا العدسات في تجميع الضوء وتركيزه ثم تسليطه على شيء قابل للاشتعال، فتضطرم فيه النار، ويقال ايضا - اذا صح هذا القول - ان ارشميدس الذي درس علومه في جامعة الاسكندرية القديمة قد استخدم مرايا عاكسة، وبها سلط ضوء الشمس المركز على الاسطول الروماني في عرض البحر، فاشعل فيه النيران عام ٢١٢ قبل الميلاد. وليس من نافلة القول اذا ذكرنا ان الفراعنة قد استخدموا الالواح العاكسة لتعكس اشعة الشمس وحرارتها داخل القبور العميقة المحفورة في قلب الجبال فكانت تنكسها الضوء والدفع في زمهرير الشتاء، لكن كل هذه الوسائل البدائية لا يمكن ان تكون سبيلنا في عصر يسعى سعيا جادا وراء استغلال حقيقي وفعال لمصدر من الطاقة يدوم ما دام الانسان والارض والشمس.

وموضوع استغلال الطاقة الشمسية بعد ذلك طويل ومتفرع ومثير، ونحن لا نستطيع ان نوفي حقه هنا لضيق المجال، لكن يكفي ان نذكر باختصار شديد ان الطاقة الشمسية الواقعة على لوح خاص مستدير ومقعر يشبه المظلة (انظر الصورة

المتحدة في خلال مدة تراوح ما بين ١٠-٥ سنوات».. ولقد شيدت المطية العلمية تقريرها على اساس ان هناك نحوًا كثيرة تشير الى امكان تسخير تلك الطاقة!

لكن استغلال الطاقة الشمسية للتدفئة والتبريد ليس هو كل ما في جعبة العلماء من افكار، ثم ان الفكرة لم تبدأ من فراغ، بل كان لها اصول وجذور قديمة، فيذكر لنا جبر الدفولي وشارلوت نسيم في كتابها «قضية الطاقة» المنشوري سلسلة بيليكان البريطانية في عام (١٩٧٦) ان اعظم دليل على امكان استغلال الطاقة الشمسية قد حدث في مصر عام ١٩١٣، حيث استطاع المولد الشمسي ان ينتج ما قيمته ٤٠ كيلو واط من الكهرباء، وان هذه الطاقة قد استغلت في رفع الماء من -بر النيل، ويذكر ان ايضا ان ج. أ. هارينجتون من نيوميكسيكو قد استخدم في اوائل هذا القرن آلة تدار بالطاقة الشمسية، وانها استطاعت ان تسحب الماء وتضخه الى خزان في اعلى بناية مرتفعة، ثم ينساب الماء من اعلى مندفعًا نحو «توربينة» ليديرها، فيتولد تيار كهربائي مناسب.

ومع ذلك، فان احدا لا يستطيع ان

يحدد بدقة متى بدأ الانسان في استغلال طاقة الشمس في صورة مركزة او غير مركزة، ويقال ان لا فوازيه العالم الفرنسي الشهير كان قد استخدم «عدسة

التصميم المنزلي المحدود لاستغلال طاقة الشمس له قدرة على التحويل تصل الى ما يقرب من ٦٠٠ كيلو واط/ساعة في العام الواحد، لكن التصميم لا يستطيع ان يفعل شيئًا من أكتوبر حتى مارس من كل عام، فسوء الاحوال الجوية هناك تمنع ذلك، لان الشمس تبقى محتجبة وراء السحب معظم اليوم او كله، ومع ذلك، فمن الممكن استغلال هذه الفكرة في البلاد التي تتميز بنور فائض صيفا، وشي من البرودة شتاء، ومعظم الدول العربية تشترك في مثل هذا المناخ. ويبدو ان من مشروعات المملكة العربية السعودية هي اقامة ٢٥ مدينة لاستغلال الطاقة الشمسية في تكييف منشأتها ذاتيا، دون استهلاك البترول في هذه العملية لان البترول سيقضي لما هو اهم. وفي محاولة طبية لاستغلال الطاقة الشمسية في بعض الاغراض المحدودة وغير المحدودة قامت المنظمة الامريكية للعلوم، وهيئة الملاحظة والفضاء القومية (ناسا) بالولايات المتحدة الامريكية بتكوين هيئة علمية لها وزنها، للنظر في طريقة اقتصادية وفعالة، «لاصطياد» هذه الطاقة المباحة، وفي عام ١٩٧٢ تقدمت مجموعة العلماء بتقرير عن «الطاقة الشمسية كمصدر للطاقة القومية» وفيه يعي «انه باجراء البحوث الموجهة والفنتنة، وبرصد الميزات الطبيعية للصرف منها على تلك البحوث، فان استخدام الطاقة الشمسية في عمليات التبريد والتسخين في المباني (التكييف)، سوف يصبح حقيقة واقعة في الولايات



المشورة هنا لاثنتين مع جمل)، ويبلغ قطره حوالي متر ورابع متر، يستطيع ان يركز الاشعة الواقعة عليه بحيث يسلطها على وعاء به لتر من الماء. فإذا به يغلي في غضون ربع ساعة، وكلما قل حجم الماء، انخفض الزمن اللازم للغليان. ومثل هذا الجهاز البسيط والعلمي يمكن استخدامه في رحلات الصحاري الطويلة في تجهيز الطعام او طهيها وعمل المشروبات الساخنة، وغير ذلك من امور. كما انه من الممكن استخدامه في المنازل لمن اراد ان يوفر شيئا من فاتورة حساب الطاقة! على ان هذا الفرن الشمسي البسيط يمكن ان يكون أكثر طاقة وفاعلية، لو زادت مساحة سطحه المستقبل والمستغلة للطاقة الشمسية. وفعلا يمكن تصميم وتشغيل فرن إيطالي على يدي البيروفيسور جيوفاني فرانشيا. وهو يتكون من ٢٧٠ لوحاً دائرياً. قطر كل منها ٨٥ سنتيمتراً، وتكون مساحته تصل الى ١٣٥ متراً مربعاً، ومن الممكن توجيه الطاقة المتجمعة لتوليد ما يقرب من مائة كيلو واط كهرباء!

وفي فرنسا اقيم فرن شمسي جبار يتكون من ٣٥٠٠ مرآة، وكل مرآة تقوم بتركيز اشعة الشمس وتجميعها في منطقة صغيرة محددة. فترتفع درجة حرارة هذه المنطقة الى حوالي ثلاثة آلاف درجة مئوية .. اي تساوي تقريباً نصف قيمة درجة الحرارة حول قرص الشمس ومثل هذه الحرارة العالية تستطيع ان تصهر الصلب في ثوان معدودة. ومن الممكن تطوير مثل هذه الافران في الدول ذات

الجو الصافي الشمس، فتكون طاقاتها اعظم. وكفاءتها اكبر. ومجالات استخدامها اكثر، اذ يمكن مثلا ان نحول ماء البحر الأجاج الى ماء زلال يروي الزرع والضرع.

وفي امريكا تظهر عدد من الافكار. ولنأخذ منها فكرة واحدة. هي فكرة دكتور آدن ماينل وزوجته دكتور مارجوري من جامعة اريزونا، فلقد اقترحا فكرة المزرعة الشمسية الكبيرة في عام ١٩٧١. وتتلخص هذه الفكرة في اصطاد اشعة الشمس وتجميعها على مساحات من السطوح العاكسة تغطي حوالي ١٥ الف ميل مربع في الصحراء القاحلة والمشمسة الواقعة في الجنوب الغربي للولايات المتحدة، ولو امكن تنفيذ هذا الاقتراح المائل، فان ذلك - على حسب مايقول ماينل - كفيل بسد كل احتياجات الولايات المتحدة من الكهرباء التي ستحتاجها عام ٢٠٠٠ م، صحيح ان هذا العمل الجبار تقابله عقبات مالية وتكنولوجية لكنه على اية حال بمثابة فكرة تراود عقل الانسان، او تعيش - على الاقل - في خياله وقد يتحول خيال اليوم - تحت وطأة الحاجة الى الطاقة - الى حقيقة، وما أكثر الاحلام والخيالات التي تحولت الى حقائق وانجازات.

هناك ايضا البطاريات الشمسية التي تحول اشعة الشمس الى تيار كهربائي، وهي تستخدم بالفعل في امداد سفن الفضاء بطاقاتها التي تدبر بها اجهزتها، لكن الخامة الداخلة في تصنيع هذه

البطاريات باهظة التكاليف، وقد اضطر علماء الفضاء اليها، لانه لا يوجد لها بديل. ويوم يتوصل الانسان الى بديل رخيص، فان ذلك سيكون كفيلا باستخدامها على الارض بدلا من الفضاء، لتده بطاقة كهربية توفر له جزءا هائلا من البترول الذي يخرقه ليدبر الآلات، فتولد الطاقات، ليبنى بها الحضارات.

والافكار والاختراعات بعد ذلك كثيرة .. لكن يكفي ما قدما فأوجزنا.

على انه قد بقيت لنا كلمة.

فالطاقة الشمسية التي يمكن استغلالها، والاستفادة بها دون عقبات كبيرة تقع بداية من خط عرض ٣٠ درجة جنوبا حتى خط الاستواء، ومن حسن حظ الدول العربية انها تقع في هذا الحزام. ولهذا كان توجيه اهتمامها لاستغلال هذه الطاقة المتاحة واجبا قوميا واقتصاديا وحضاريا، فاليوم قد نبي على البترول حضارتنا، وغدا سيزول البترول، لكن قبل ان يزول، كان لزاما علينا ان نبعث الحل البديل، والحل - جزئيا على الاقل - في الطاقة الشمسية، فهي الوحيدة التي لن ينضب معينها، مها توالى الحقب، وتعاقت الاجيال.

وليبق بعد هذا جزء من رصيد البترول المخزون في باطن الارض لصناعات يقوم عليها الاقتصاد القومي لبلاد البترول، لكن ما هي تلك الصناعات البترولية وما اهميتها، فلذلك مقال آخر.



زيد.. الخير

”نسبه.. وأسرته“

بقام : عبد العزيز الرفاعي

شهرة كرمه . وممن اشتهر من شعرائها في العصر العباسي الطائيان «ابو تمام» و «البحتري» ..

والبطن الذي ينسب اليه زيد الخيل هم بنو المختلس ، وهو من بني نهبان .. بطن من الغوث .. ولذلك يقال في نسبة زيد الخيل النبطي^(١) .

ووالدة زيد الخيل هي (قوشة بنت الأزعم الكلبية) من بني تيم اللات من وفيدة ، فهي ايضا من قحطان وقد ورد ذكرها خلال بعض شعر المهجاء ، حينما كان زيد الخيل يلتحم مع بعض شعراء عصره في مهاجمة من ذلك قول يجير بن أوس الطائي :

تمتبت ان نلقى (يجير) سفاهة

فلاقيته .. بعدو به الورد معلما

فالقبت مريوعا .. كما قلت مأزما

ووليت بازيد بن قوشة ، معدما^(٢)

ومنه ايضا شعر لبلبة بن الملم بن كلثوم المعروف بابن شفاء ،

^(٣) جاء في جهمرة الاساب لابن حزم ص ٤٠٣ (وله نهبان . سعد ونابل ذكرهما امرؤ القيس في شعره :

بنو لعل جيرانها وحماها ونبتع من زهاء سعد ونابل

فولد نابل : مالك وغوث بطنان . فمن بني غوث بن نابل بن نهبان زيد الخيل .

وقد حادني من لقي به من اهالي حائل ان لنهبان بقية في البادية حتى الآن ويقال ان نهبان اسم (سودان) .

^(٤) تاج العروس مادة قرش . اما ما ورد في بعض المصادر من تسميته قوشة بالنسبة فهو تصحيح على ما اعتقد وفي الاصابة قوشة بنت الازعم .

لا يستطيع الباحث ان يحدد متى ولد زيد الخيل .. ذلك لان العصر الجاهلي وعصر صدر الاسلام لم يكونا عصر تدوين .. فضلا عن ان الالهام بتدوين تاريخ المولد كان قبليل الحدوث حتى مع بداية عهد التدوين نفسه ...

والفترة ما بين المهديين الجاهلي ، وصدر الاسلام هي الفترة التي عاش فيها زيد الخيل . ومن المؤكد انه قضى معظم ايام عمره في العصر الجاهلي .. وفيه اشتهر بخيله .. وبحروبه وبشخصيته الفذة المتميزة .. وفروسته .. وكرمه ومروته .. ثم اضاف بل توج اجماده في الجاهلية بأن أدرك فضيلة الاسلام فاسلم ، وحسن اسلامه .. ومات مسلما صحابيا .. رضي الله عنه .. وزيد الخيل هو :

«زيد بن مهلهل بن يزيد بن منهب بن عبد رضا بن المختلس بن ثوب بن كنانة بن عدى بن مالك بن نابل بن نهبان بن عمرو بن الغوث ابن طي»^(٥) .

ويدلنا هذا النسب على ان زيد الخيل ، من قبيلة طي وهي قبيلة يمنية قحطانية .. ذات مكانة مرموقة في الجاهلية والاسلام ، وقد اشتهر منها فيها رجال كثير ، زيد الخيل احدهم ، ومنهم في الجاهلية حاتم الطائي ، الذي استفاضت

^(١) تختلف المصادر في بعض اسما حدوده زيادة ونقصانا وضبطا ولكن ابرزت ما اختاره اساذنا البجاة الجليل الشيخ حمد الجاسر في مجلة العرب ج ٧ و ٨ السنة التاسعة المزم وصفر ١٣٩٥ ص ٦٠٨ نقلا عن النسب الكبير وروائع الاصابة واسد الغابة والاعاني - ترجمته .

أضربت عن ذكره عافية من فحش^(١).

ولا تحدثنا المصادر بشيء من التفصيل عن زوجته .. وكل ما نجده عنها، إنما عندما بلغها خبر نعيه .. قافلا من وفادته على النبي صلى الله عليه وسلم في السنة التاسعة أو العاشرة من الهجرة .. ورات ناقته تحمل رحله خالية منه .. أخذتها سورة الفاجعة فيه .. فلجأت الى تصرف مثير، إذ عمدت الى الرحلة فأحرقتها بالنار^(٢) .. أو لعلها عمدت الى الرحل، فأحرقته .. وقالت:

ألا نهب زيدا لكل عظيمة اذا اقبلت أوب الجراد رعاها
لناهم لما طاشت بداه بضرهم ولا طعنهم حتى تولى سجالها^(٣)

ونجمن عن تصرفها الآخر ذلك، ان ذهب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم، لزيد الخير في اقطاعه فيد^(٤)، وأراضي اخرى معه .. وقد أثارت بعملها الهوج هذا استياء النبي عليه الصلاة والسلام.

اما ابناؤه فأنهى البنا ذكر أربعة: مكثف، وهو أكبر ابناؤه وبه كان يكنى، وعروة، وحريث، وحظلة^(٥).

وتترجم معاجم الصحابة لهم عدا حظلة ..

كما انتهى البنا انه كان لزيد الخيل اخ اسمه حصن .. هو حصن بن مهلهل .. وان من ولده جاء القشمر بن ثعلبة بن عبدالله بن حصن بن مهلهل .. وهو قاتل (داهر) ملك الهند أيام عبد الملك بن مروان^(٦).

وقد عرف زيد في الجاهلية بزيد الخيل .. والتعليل المتداول في سبب اطلاق اللقب عليه انه كان يمتلك مجموعة من الافراس .. وكانت هذه الظاهرة في العهد الجاهلي لمنفعة للنظر .. لان الكثير من فرسانهم لم يكونوا يملكوا الا فرسا أو فرسين .. بينما اشتهر زيد بخمسة أو ستة افراس ذات اسماء معروفة .. على انه يرد على هذا القول اعتراض، بان هناك من رجال الجاهلية، وفرسانهم المعروفين من كان يملك عددا كبيرا من

^(١) معجم البلدان مادة مرفق.

^(٢) سيرة ابن هشام.

^(٣) ديوان زيد الخيل ص ٧.

^(٤) موضع على بعد ١٤٠ كيلومتر جنوبي مدينة حائل. ولقصة وفادته ووفاته تراجع سيرة ابن هشام في ذكر وفد بني ..

^(٥) ذكرهم بن حزم في الجهمرة، وانفرد بذكر حظلة .. وبعض المصادر تقتصر على ذكر مكثف وعروة .. وقد نضيف بعضها حربنا.

^(٦) مهرة الانساب لابن حزم ص ٤٠٤.

الافراس .. كالزريقان بن بدر فيكون القليل حينئذ مجرد التماس سبب ما لاطلاق هذا اللقب .. ويصح في هذه الحالة التماس سبب آخر.

هو شغف زيد الخيل، وعنايته البالغة بها وتبديلها وانه لا يفتأ يذكرها، ويركز على عنايته بها في اشعاره كما يتضح في مثل قوله:

يا بني الصدياء ردوا فرسي انا يفعل هذا بالذليل
لا تذبلوه .. فاني لم اكن يا بني الصيدا المهري بالذليل

ومعنى اذال فرسه، انه لم يحسن القيام بها .. ونحن نجد ان العرب، كثيرا ما تلقب الشاعر بما قد بلغ به في شعره .. ولعلها لذلك اطلقت لقب زيد الخيل على زيد بن مهلهل، لكثرة ذكره الخيل في شعره لا لكثرة افراسه. على انه يرد بين الاحتمالات ايضا، ان زيد بن مهلهل كان كثير الطراد على ظهور الخيل .. اي انه كان حلسا وفي هذا ايضا ما يدعو الى اطلاق هذا اللقب عليه .. على ان الرسول عليه الصلاة والسلام، بعد وفادة زيد عليه، واعلانه اسلامه .. ولما رأى فيه من استكمال عناصر الشخصية القوية .. في مظهره الفارع، وقبلا اجتماع له من عناصر الخير - رأى فيه ما يؤمله، لان يجري على لقيه الذي فيه معنى القروسية، تعديلا طفيفا من حيث اللفظ .. يبدو وكأنه تصحييف يسير، ولكنه بالغ الدلالة في المعنى .. وتبدو القروسية فيه جزءا من كل .. لقد اطلق عليه زيد الخير .. والخير اسم جامع لكل الخصال الطيبة ..

ومساكن طي^(١) .. القبيلة التي ينسب اليها زيد الخير، هي منطقة جبلي اجا وسلمي .. ولا يزال هذان الجبلان يحملان اسميهما القديمين حتى الآن .. وهما في منطقة حبال .. شمالي المملكة العربية السعودية.

ويبدو من خبر اقطاع الرسول صلى الله عليه وسلم وله ارض فيد .. وارضى اخرى معه .. ان هذا الاقطاع انما كان لمنازل زيد نفسه .. لتلا يعرضه فيها معترض وجدير بالذكر، ان زيد الخيل كان حين وفادته سيد قومه .. وقد كان من عادة الرسول صلى الله عليه وسلم تكريم الرؤساء من امثاله واعطاءهم احيات واقطاعهم من الاراضي السوح ما يتألف به اسلاهم .. وفيد التي منحها الرسول صلى الله عليه وسلم لزيد الخير تقع في جنوبي مدينة حبال وتبعد عنها بمقدار ١٢٠ كم ولعل تجمعات نهان كانت في هذه المنطقة ..

إِنَّ أَهْلَ رَوْحٍ وَمَا خَسَّ الْأَقْوَالُ لِحُجَّتِهَا بِعُضْرِ الْحَزَائِنِ وَالْعَامِرِ وَخَرَجَ مِنْهَا إِلَى سَائِتِنِهَا بِرَيْحِ حَزَنٍ وَرَدَّ أَحْزَى فِرَاقِي



النزاع العربي الاسلامي
الهروي او الشافعي

ففى أوروبا



بقام : عمر عثمان خضر

بالدراسات التاريخية واللغوية والقانون
الشكيلية واساليب البناء والزخرفة
والتنقش ذات الطابع الاسلامي ..

توقفت أوروبا مبهورة وهي تشهد
وتسمع عن مهرجان الفنون الإسلامية في
لندن وبدأت لحظة اهتمام محسوبة

وتطرق الامر الى الوجود الاسلامي وتأثيراته في اوروبا من حدودها الشرقية في البلقان والجنوبية في اسبانيا وحتى اطرافها الشمالية .. وربما تطرقت البحوث الى اعادة النظر في كتابات المستشرقين الاوروبيين عن الاسلام والمسلمين والتي تضمنت الكثير من المغالطات والافتراءات .. وفي اعتقادي ان كل هذه القطاعات الحيوية للحضارة قد حظيت بكثير من الاهتمام والبحث والتقيب .. ودارت حولها التساؤلات وكثبت فيها عشرات المجلدات .. وعلى

في حال ما كنا نقتطع قطرة من التراث الاوروبي وعيوننا من جديد نبحث عن السبع الاسلامية المحصورة في شيء يدعى بالارتياح المتداول .. ولكن ذلك يؤكد اننا نضع اسمها غشا اسلامي ونعزي من جديد .. وبهذه في هذا الحقل نلقي الضوء على تأثيرات الاسلام والعربية على اوروبا في عهد حيوي الا وهما التأثيرات الشيعية

اوروبي وبسبب لاساءة على حداث حيوي من الثقافة العربية الاسلامية التي لا زال حيا في وجدان الشعوب الاوروبية وبفضل تلك تراث الحكاية الشعبية

ذلك ان حكاية شعنة شيعية تهاجر من شعب الى شعب .. وتتجوز مع حرك الانسان في اي حده .. وتنتقل عبر الاجيال .. وتتحد في وضوء جديدة شكلا جديدة كما في اغلب الاحوال تحمل معها دائما صفة القدسية .. وفي سطور القصة سندسح معنى تراث التراث الاسلامي بعني على التراث الاوروبي لتتوزع حيا ..

الحكاية الشعبية العربية والتراث الاوربي

يقول العلامة الامريكي ستيت نومسون في كتابه «الحكاية الشعبية» (ان الصحراء العربية قد خدمت براء كل افريقيا وكل ارض شهدت الاسلام .. وان تأثيرات التراث الاسلامي على التراث العالمي بلا حدود) ونشهد الآن بتحليل سريع للتراث الشفاهي الاوربي الذي جمع خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ان الحكايات الاسلامية والعربية قد أثرت في بيئة الحكايات

الشعبية الاوروبية التي لا زالت تروى لآن. ذلك ان عدد الكثير من مؤلفات التي تنشأ مع مثيلاتها في التراث الشفاهي لحكايات شعبية لاسلامية عربية لغني لشع الاطفال في الاقطار الاسلامية والعربية في شيعه وفراسته .. وبدراسة مقاربة تظهر بوضوح التأثيرات الاسلامية العربية في تراث اوروبا الشفاهي ولكني اوضح المقارئ البعيد عن حقل الفولكلور عن أهمية هذا التأثير بوضوح .. ولا معنى للتصريح بالفولكلوري مؤلف

فالمؤلف هو صغر جزء قصصه والقدره على الاستمرارية في التراث .. وكما نوضح الامر كذا نقول مثلا ان حصة لشعر العادية لا تكون .. بل شعنة ولكن حصلت شعر الدكية راجحة التي نقود ان صاحبها فهدت تعد مؤلفة شعنة .. كذلك اذا غرض الكتب ..

فهذا امر دة .. ولكن ان بعض الاساطير كذا .. فهذه هي الحقيقة .. وهكذا تتغير الحقيقة عن الامور العادية في حياة .. وحكاية الشعبية هي مجموعة من

المؤلفات يجمعها طراز TYPE وقد قسمت الحكايات الشعبية تبعا لتصنيف آنتي-نومسون الى «طراز» ..

ولو تتبعنا التجميعات الشهيرة للحكايات الشعبية الاوروبية لوجدنا بوضوح العديد من الطرز والمؤلفات التي لا تزال تروى في المجتمعات الاسلامية والعربية.

لقد بدأت اوروبا حقيقة بهم براء الحكايات الشعبية في وقت مبكر .. فقد ظهرت مجموعة (دي كامبون) ليوكاشيو في اوائل عصر النهضة .. ثم في عام

١٥٥٠ .. نشر الفيلسوف الفرنسي سيزور لا موندية اخرى من الحكايات الشعبية .. ذلك في القرن السابع عشر ظهر مجموعة (جيم .. نشتا .. زيلي)

ان الحماية الشعبية لشعرتها تهاجر من شعب الى شعب .. وتتجوز مع حرك الانسان في اي حده .. وتتجوز عبر الاجيال .. وتتحد في وضوء جديدة شكلا جديدة كما في اغلب الاحوال تحمل معها دائما صفة القدسية .. وفي سطور القصة سندسح معنى تراث التراث الاسلامي بعني على التراث الاوروبي لتتوزع حيا ..



وكلنا يعلم ان العرب قد استقروا في
الاندلس قرابة ثمانية قرون .. وان العرب
حكموا جنوب فرنسا لفترات طويلة ..
واستمر حكمهم لاقليم بروفانس اكثر من
قرنين من الزمان .. وان العرب والاسلام
قد وصلوا حتى سويسرا .. وان الحضارة
العربية الاسلامية قد سيطرت على صقلية
وجزيري كريت ومالطة وجنوب ايطاليا
.. وان اوربا قد اخذت الكثير من
العرب والمسلمين وما زالت اللغة الايطالية
تحمل مفردات كثيرة من اللغة العربية
وحينما تحرك العرب فقد حملوا معهم
تراثهم العقائدي .. وعادات هئاتهم
الجمعي ومأثوراتهم الشعبية .. ولقد
تعامل الاوروبيون مع التراث العربي لفترة
طويلة .. وعرفوا المأثورات الشعبية العربية
.. وتداولوها .. وكل ذلك قد ترسب في
اللاشعور الجمعي للشعوب .. وظلت
المأثورات تتواتر عبر الأجيال والمعروف ان
الانسانية جمعاء مغرمة بالحكايات
الشعبية .. وحينما ذهبت في ارجاء الكون
من احراش استراليا الى قلب افريقيا الى
الاطراف الشمالية للاقبانوسة الى
الامريكتين ستجد مجموعة من الرواة
تلتف حول احد الرواة .. تنصت بشغف
الى الحكايات الشعبية .. وقد سبق
ان ذكرنا بان الحكايات الشعبية تهاجر
من شعب الى شعب وعبر الاجيال بلا
فواصل اوحده .. وانها تزرع في بيئاتها
الجديدة لكن التمازج ترجع للأصل القديم
.. وتعليل الحكاية الشعبية الى موتيفات
ثم الى طراز هذا الاسلوب العلمي لمعرفها
.. والحكايات الاوروبية الشعبية الحالية
تعمل الكثير من سمات الحكايات العربية
والاسلامية .. وقبل ان نشير الى اوجه
الشبه بين الحكايات العربية والاوروبية
نود اولاً ان نتحدث عن «الف ليلة وليلة»
هذا المدون العربي الشهير الذي اوقع

المساة (بينتامارون) ثم تلا ذلك
مجموعة بيزرو. ثم ظهرت ترجمة انطوان
جالاند لمجموعة الف ليلة والعربية ..
وفي القرن التاسع عشر ازدهرت حركة
الاهتمام بالحكايات الشعبية ..
بمجهودات الاخوان جرم في تجميع
ودراسة تراث الحكاية الشعبية الشفهية
الألمانية وتوالت التجميعات .. وعلى
جهود الجامعين بدأت البحوث عن
الأوطان الأصلية للحكايات الشعبية
الشفهية ومحاولة وضع خريطة للحكايات
في العالم بأسره وظهرت نظريات
كثيرة منها نظريات هجرة الحكايات
الشعبية من قطر لآخر لعنصر الشفهية
.. وقد أرجع الاخوان جرم معظم
الحكايات الاوروبية الى الشعوب
الهندوآوروبية التي هاجرت من اوطانها
الأصلية في الهند واستوطنت اوربا ..
وقد شارك في هذا الرأي ثيودور بنى
واحيال من الباحثين الاوروبيين الذين
استنبهتهم فكرة ارجاع النصوص الشفهية
للتداول حديثاً الى اصول بعيدة جداً ..
وقد اغفل هؤلاء الباحثون التأثيرات
العربية والاسلامية في التراث الشفاهي
الاوروبي وربما كان ذلك اساساً لعدم
وجود تجميعات للتراث الشفاهي
الاسلامي العربي.

الاسلام والحضارة العربية في اوربا

يقول ول ديورانت في موسوعته
«قصة الحضارة» ان الانسانية شهدت
فجراً جديداً وتبدلاً حقيقياً بمولد
الحضارة الاسلامية .. ويقرر جوستاف
لويون ان فضل العرب والاسلام على
اوربا عظيم ذلك ان العرب المسلمين قد
اقاموا حضارة زاهرة في الاندلس ..

الباحثين الاوروبيين في اخطاء فادحة اذا
اعتبروه المرجع الاساسي في دراسة
التراث الشفاهي العربي للحكاية الشعبية.

الف ليلة وليلة والتراث الشفاهي الاوروبي

رغم ان «اليالي» تستظل على الدوام
تعمل طابعا شعبيا عربيا الا انها في واقع



اوروبا «الف ليلة وليلة» عن طريق المستشرق الفرنسي (انطوان جالان) الذي اخذ منذ عام ١٧٠٤م في ترجمتها الى اللغة الفرنسية مع محاولة تطويعها للاثام الذوق الفرنسي كما ترجمها ايضا المستشرق (اوتولتيان) وظلت هذه الترجمات تمثل في نظر الباحثين الاوروبيين التراث الشفاهي للحكاية الشعبية العربية .. وواقع الامر ان «الف ليلة وليلة» ترجع الى حوالي القرن العاشر الميلادي حين نشطت حركة الترجمة في الدولة الاسلامية .. وكان قد ترجم في حوالي القرن الثامن الميلادي كتاب بعنوان «الالف ليلة» وهي مجموعة من الحكايات الهندية والفارسية وانتقل الكتاب الى الشام ومصر وتعرض خلال ذلك الى تغييرات جذرية بالاضافة والحذف وتغيير بنية الحكايات .. وفي مصر تبلورت في شكلها النهائي لتضم حكايات عربية من الجزيرة العربية والعراق ومصر والشام .. وظلت المجموعة تتطور وتبدل الى ان اخذت شكلها النهائي في مصر في القرن الحادي عشر الميلادي .. وعلى ذلك فقد ساهم في مجموعة «الف ليلة وليلة» كل من الهند وفارس والجزيرة العربية والعراق وتركيا والشام ومصر .. ومع ذلك فالعجيب حقا ان تأخذ اوروبا «الليالي» على انها واجهة التراث الشفاهي للحكاية الشعبية في شرقنا العربي والاسلامي.

الف ليلة والتراث الشفاهي العربي

دخلت معظم حكايات «الليالي» التراث الشفاهي للأمة العربية .. وأصبحت تروى بطرق مختلفة لكنها في النهاية ترجع لتشابه مع حكايات

الامر لا تمثل الاجزاء ضئيلا جدا من التراث الشفاهي المروي حاليا للحكاية الشعبية العربية .. ومعظم حكايات «الليالي» قد دخلت التراث الشفاهي في الاقطار العربية والاسلامية .. والمعروف ان «الف ليلة وليلة» قد استمدت بعض حكاياتها من ثقافات غير عربية .. هذه حقيقة ولكنها اخذت الكثير من التراث الشفاهي وتبلورت في النهاية لتتحمل سياتها العربية المعروفة .. وقد عرفت

«الليالي» من حيث انها تتضمن الموثقات الموجودة بها .. وقد تعرضت مجموعة «الليالي» لكثير من الدراسات والبحوث اشهرها رسالة الدكتورة للاستاذة سهير القاوي وقد أثارت «الليالي» قضية الاصل في الحكايات العربية الاسلامية الشفهية .. فهل كانت من واقع التراث الشفاهي للحكاية العربية؟ .. ام ان التراث الشفاهي قد اخذها من المدون الشهير؟ .. تلك قضية تتضاءل لو عرفنا كنوز الحكايات الشعبية في الوطن العربي والاسلامي .. وسنحاول في عرض نماذجنا ان نبعث ما نستطيع عن حكايات «الليالي» ويتبقى لنا الجزء الهائل من الحكايات الشعبية التي لا تزال تروى في خيام الشعر وفي القرى والمدن العربية .. والتي لا تزال عميقة التأثير في وجدان الناس البسطاء في كل بقعة عربية.

المشرق العربي ورواية الحكايات الشعبية

مشرقنا العربي هو مهد الحضارات القديمة في وادي النيل والخلال الخصيب والجنوب العربي .. ورواية الحكايات الشعبية من أقدم فنون الاسان .. وقد اكتشفت حكايات شعبية كانت تروى في مصر والعراق منذ آلاف السنين .. ورواية الحكايات الشعبية اذن فن عريق في أرضنا العربية .. وقد سبق ان أوضحنا نظريات هجرة الحكايات الشعبية لخاصية الشفهية .. ومنطلقنا العربية كانت على الدوام قلب العالم القديم .. وقد احتكت اوروبا بمشرقنا العربي منذ أقدم العصور .. وتوالت منذ عصور سحيقة الهجرات من وإلى المنطقة العربية واوروبا .. لقد شهدت أرضنا غزو الأغريق ثم الرومان .. ثم الاحتكاك

الاسلامي الأوروبي عبر الحروب الصليبية .. وفي مراحل ازدهار المدن التجارية الإيطالية .. وقبل ذلك الوجود الاسلامي العتيق في الأندلس وجنوب فرنسا والبلقان لقرون عديدة .. كل هذا يدفعنا الى التساؤل عن مدى تأثير التراث الشفاهي للحكايات العربية في التراث الاوروي.

ان العالم كله يعرف حكاية «الاعوان» المصرية .. هذه الحكاية تسوقها للتدليل على مدى تأثير اوربا والامريكتين بالتراث العربي والاسلامي .. فقد اكتشفت الحكاية المصرية سنة ١٨٥٢م على ورقة بردى يرجع تاريخها الى عام ١٢٥٠ ق.م. في عهد الملك المصري سبتي الثاني .. والحكاية بكل موتينها تنتشر في كل مجموعات الحكايات الشعبية الشفهية التي جمعت في اوربا في العصر الحديث.

تقول الحكاية المصرية انه كان هناك شقيقان الاكبر أنوب .. متزوج .. والصغير باتو .. ويعيش مع شقيقه وزوجة الشقيق في نفس البيت .. وحدث ان اشتهت الزوجة الشقيق الاصغر وحاولت ان تغويه .. لكن الأخ الاصغر رفض ان يخون شقيقه الاكبر ونهر الزوجة للعب .. وخشيت الزوجة ان يكشفها باتو امام زوجها فادعت له ان باتو حاول الاعتداء عليها .. وصدقها انوب وحمل سكيناً وانخفي في حظيرة الماشية ليقفل شقيقه باتو .. ولكن البقرة حذرته فهرب .. وطارد انوب شقيقه باتو وكاد يلحق به .. فدعا الله كي ينقذه .. فاستجاب لدعوته فكان بينه وبين مطارده نهر به تماسيح هائلة .. وعند غروب الشمس حكى باتو لشقيقه عن الحقيقة وكشف له خيانة زوجته .. ورغم

نداءات انوب الا ان باتو صمم على الرحيل الى وادي السدر .. واختبر شقيقه بانه لن يعود .. ولكن لوجود شرابه فيفور في الوعاء فليعرف ان شقيقه في خطر .. وليحضر لانقاذه .. وذهب باتو الى وادي السدر حيث يخفي قلبه في زهرة .. وهناك تزوج من فتاة جميلة .. وحدث ان كانت زوجته تستحم في النهر وداعها النيل فخافت منه .. وحمل النيل خصلة من شعرها الذكي الرائحة الى قصر الملك .. فعجب الملك بالمرأة صاحبة خصلة الشعر الذكي الرائحة دون ان يراها فطلب من الوزير احضارها .. وتتوالى الاحداث .. وتقونه زوجته ونكشف سره فقطع الزهرة وموت باتو .. ويفور الشراب في وعاء شقيقه انوب فيأتي الى وادي السدر ويبحث عن قلبه ويسقيه له فيعود للحياة ويذهب باتو لينتقم من المرأة الخائنة.

هذه الحكاية العديدة الموتيقات انتشرت في أنحاء كثيرة من العالم .. وشاع ذكرها في التراث الاوروي .. والطراز قد يختلف من مكان لآخر ولكنه يحوي الموتيقات الاساسية للحكاية المصرية القديمة .. ويقرر فون سيدوف في تحليله للحكاية الاوروية الشبيهة بالحكاية المصرية انها من بقايا الاساطير الهندوأوروية .. ولم يشر بأية حال الى النص المدون وهي مغالطة علمية واضحة اساسها عدم وجود تجميعات للحكايات الشعبية الشفهية المصرية الى الآن ..

وبتحليل بسيط للحكاية المصرية والموتيقات التي تحويها والتي استخدمها الرواة بكثرة في تراث الحكايات الاوروية يوضح لنا تأثير طراز واحد من الحكايات التي عاشت في ارضنا العربية

منذ آلاف السنين فالزوجة الخائنة K.211C

نصيحة من بقرة تنكلم BZ.11

حاجز طبيعي يحمي الحارب من المطاردة (B.672) الحب عن طريق خصلة الشعر الذكي الرائحة لامرأة بمهولة (T.11.41) وكما هو مثير للباحثين ان يكشفوا انهم يعملون في نص كان يروى في منطقتنا العربية منذ اكثر من ثلاثة وثلاثين قرناً من الزمان .

وكما هو مثير ايضا ان ندرك ان تراث منطقتنا العربية الاسلامية القديم جدا قد تغلغل في تراث الشعوب الاخرى ويقرر ستيت تومبسون حقيقة حين يقول (ان الاسلام قد ربط كل المسلمين في آسيا وافريقيا .. ليس فقط بتعاليمه الدينية .. ولكن اللغة ايضا هي التي فرضت على الشعوب ان يتوحد تراثها الشفاهي فالى جانب القصص الديني ازدهرت كافة انواع الرواية الاخرى للحكايات وتراثنا الشفاهي الذي بدأنا نهم به اخيرا يحوي آلاف الحكايات التي نجد لها شبيها في تراث اوربا .. بل اننا نجد احيانا طرزا كاملا في الحكايات الاوروية ..



الهوامش والمصادر

STITH THOMPSON
ORAL FOLK TALE

- مجلة الفنون الشعبية - القاهرة - العدد السابع مقال الدكتور حسن الشامي بعنوان «طرز الحكايات الشعبية».

- نفس المرجع.

- د. نبيلة ابراهيم «اشكال التعبير في الأدب الشعبي» ص ٦٥

- علم الفولكلور تأليف كرامت وترجمة احمد رشدي صالح.

- ول ديورانت «قصة الحضارة» من مقال الدكتور عبد الحميد يونس

- جوستاف لوبون «حضارة العرب» ص ٣١٦

- ارشيف مركز الفنون الشعبية «تجميعات الكاتب الحكاية الشعبية» القاهرة.

- مقال الكاتب بجريدة المساء القاهرة ١٦ مايو ١٩٦٥

- ريتشارد دورسون «محاضرة عن الفولكلور» بالجامعة الأمريكية بالقاهرة نوفمبر ١٩٧٠

- مجلة فايولا FABULA العدد ١٨٣، ١٨٦، ٢١٠.

- اشكال التعبير في الادب الشعبي - د. نبيلة ابراهيم

- علم الفولكلور ترجمة احمد رشدي صالح

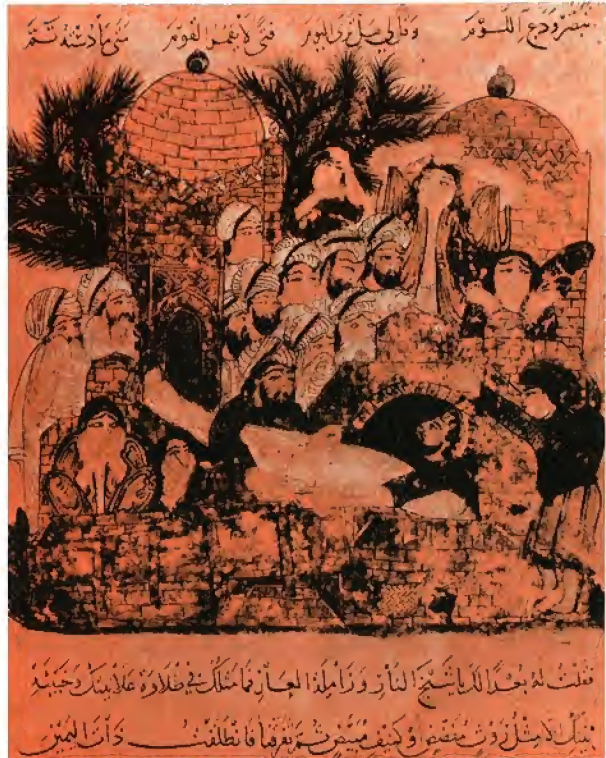
- مجلة الفنون الشعبية - القاهرة - الاعداد ٩ الى ١

- ما هو الفولكلور تأليف فوزي المعتيل.

وكذلك على المؤسسات الفولكلورية في الاقطار الاسلامية والعربية وهو تجنيد مجموعات من الجامعيين الفولكلوريين الملمين بتناهج علمية يسرعون في جمع التراث الاسلامي والعربي .. واخيرا فان وسائل الاعلام الحديثة .. وظروف الحياة العصرية المعقدة تحدث تغييرات جذرية في افق الرواية الشعبية وكلنا امل في استدراك ما فاتنا في هذا المضمار وان تسرع بانشاء ارشيفات محلية للحكاية الشعبية الشفهية في كل قطر تكون اداة للباحثين المهتمين بهذا الجانب البسيط من جوانب التراث الاسلامي العربي.

الحكايات الشعبية والتي تصدر في المانيا الغربية .. كذلك عرفت بعض نصوصنا الطريق الى الباحثين الاوروبيين عن طريق بعض الباحثين الغربيين المتحمسين من امثال الدكتور سامية الازهرية وهي دائمة شغفت بالحكايات الاسلامية الشعبية واعلنت اسلامها واصدرت كتابا قبا باللغة الالمانية عن الحكاية الشعبية في الشرق الاوسط.

ان اماننا واجبا يجب الاسراع في تنفيذه .. والامل معقود على جامعة الدول العربية ومؤسساتها الثقافية ..



عَبْقَرِيَّة الْحَضَارَةِ الْعَرَبِيَّةِ كَمَثَبَعٍ لِلنَّمُضَةِ

مؤلف: د. محمد باقر المكي
مترجم: د. محمد باقر المكي
مترجم: د. محمد باقر المكي
مترجم: د. محمد باقر المكي

الطبعة الأولى: ١٤٢٥ هـ

وعديد من فصوله كتبت
كتابة علمية دقيقة، نخص
بالذكر الفصول عن العلم
والأدب والفن».

(نيويورك تايمز - بوك
ريفيو)

* «نجاح كتاب عبقرية
الحضارة العربية في تعريف
القارئ العام بآراء
العرب، فهو مجموعة من
المقالات القيمة، تبحث
في نشأة العالم الإسلامي
بعد الفتوحات العربية في
القرن السابع الميلادي،

وتنم إسهام العرب في
الثقافة الإسلامية».

(الإكونوميست)

* «يتبع كتاب
الحضارة العربية
استمرار العلم
القديم من خلال
العربية الى أوروبا في
الوسط. وهو م
أخيرة تحوي عدد
البحوث القصيرة
عن شخصيات وأ
شهرة».

(التيمنز)

* عبقرية الحضارة العربية،
كتاب موجه الى كل من
يقض مخططاً ان العرب قوم
لا حضارة لهم ولا ثقافة.
ولذا فهو يركز على الماضي
لا على العرب المعاصرين.

الضخ الثقافي والضح الحضاري

وهذا جانب من جوانب احدى في هذا الكتاب. ان تقوم
شركة برؤية بالناجح. وكأننا نعبر من ارض العرب. ليست
ارض ليصح فقط. وانما كانت ولا تزال ارض للضح
الثقافة وضح الحضارة. بها الارض التي تحت عليها السماء
بأسمى الرسالات. معادلت لنجد على الإنسان بالفتح والحجر.
ولقد التفتت شركة موبيل قرار الناج هذا الكتاب منذ
سنوات. بعد ان درست المادة متوفرة باللغة الانجليزية. ولدت
الدراسة على ان المكتبة العامة حلو من الكتب التي تفيد القارئ
المتقرب غير المتخصص. عن سهام العرب في مبادئ الثقافة

عبرية
خط
اليوناني
الثقافة
العصر
وسوسة
من
الرائعة
التي فنية

(اللدن)

استندت
بينة كثيرة
كتبت
القرء
بوغه من
ليسية ثم
جامعة
جامعة
جامعة
المس
جامعة



لجنة الفنان الإيطالي روفاليل خلال دراسة العرب ويظهر في الوسط ابن رشد

منبع النهضة

وكما يتضح من الجزء الثاني من العنوان (منبع النهضة) يصف الكتاب الدور الجيد الذي قامت به الحضارة العربية كهمزة وصل بين حضارة اليونان القديمة وبين أوروبا في العصور الوسطى. في العصر الذهبي للإسلام، حافظ العرب على تراث العالم القديم وأثروا بما أضافوا إليه ثم نقلوه إلى الغرب، حيث بدأ تدوين الأدب العربي. ووضعت مجموعات النظم الإسلامية، وترجم الكثير من عيون الكتب القديمة في الفلسفة والطب، والرياضيات والفلك، والجغرافيا والتكليماء، وغيرها من العلوم التي أضاف إليها العرب ما بحث فيها الحياة.

لندن، و (رجاني ودروني الملاح) من جامعة كولورادو في علوم التجارة، هذا فضلا عن الأستاذ (جون س بارو) الأستاذ بجامعة كولومبيا الذي قدم الكتاب بفصل عن دور العرب في الثقافة الإسلامية، والكتور (ابراهيم مذكور) رئيس المجتمع العلمي بالقاهرة، الذي كتب الفصل الختامي، عن الصلة بين إسهام العرب في الماضي والعصر الحديث.

وبعد هذا كله نجني الفتنة الرائعة، التي تجلت في إهداء الكتاب إلى ذكرى الملك الراحل فيصل بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله، مما له من علامات بارزة على جبين الجزيرة العربية. نبع تلك النهضة، وبهذه تلك الحضارة.

ج. ك. ك.

ان تجود على الحضارة الإنسانية بكل هذا العطاء.

فأفرس على سبيل المثال لم يكونوا من السلالة العرس، ولكنهم لم ينحوا من الفلاسفة من انجوا، ولا من العلماء والشراء، قبل ان يستظلوا بمظلة الاسلام، وقبل ان تكتشفهم الدعوة الاسلامية التي انتشرت من قلب الجزيرة العربية، فالجو الثقافي الجديد الذي تبيأ هم بظهور الاسلام. والطقس الحضاري الذي احاط بهم بعد قيام الدولة الإسلامية. كل هذا وكثير غيره، كان له اكبر الأثر في تفتيح إمكانات الفرس، واطلاق قدراتهم في الابتكار والإبداع. والا اين كان الفرس قبل ظهور الاسلام؟

وما يقال عن الفرس، يقال مثله عن الكلدان والسريان الذين كانوا يحملون على اكتافهم ثقافة اليونان، ويعيشون بها في ظل الدولة الرومانية الشرقية، فلا أمتزجوا بهذه الثقافة، ولا أبدعوا شيئا يستحق الذكر. حتى اكتشفهم الحضارة الاسلامية فانفعلو بها وتفاعلو معها. وعاشوا روادا للرجمة، ومعالم للطريق في البحوث العلمية والطبية فكانت هم نبضة في الفكر. وفي العلم. وفي الطب، ما كان يمكن ان تنبسط لهم قبل فتوحات العرب. وانتشار الإسلام.

على ان هذين الجانبين من جوانب العبقريّة العربية، يمكن ان يضاف اليها جانب ثالث هو ما ابتكرته هذه العبقريّة نفسها في العلم والأدب والفن. وفي التدوين والترجمة والتعليم. وفي الصناعة والتجارة وآداب الحياة، فضلا عن فنون الحرب وفنون الحكم مما بعد إضافة حضارية أصيلة الى تراث الانسان.

وهذا ما عبر عنه الأستاذ جون بادو في تقديمه للكتاب بقوله عن «دور العرب في الثقافة الإسلامية» انه اذا كان اليونان هم عباقرة الغرب لما حققوه من اعظم المآثر في العصور القديمة، فإن المسلمين هم عباقرة الشرق لما حققوه من اعظم المآثر في القرون الوسطى. ومن الطبيعي الا ننسى ان عددا من العلماء قد اكبوا على دراسة الفكر العربي وبخاصة الفكر الاسلامي. لكن الواقع ان اكثر الباحثين والمؤرخين الذين تناولوا فكر العصور الوسطى، إنما كانوا يتناولون الفكر الغربي وبخاصة ما كتب منه باللاتينية

أجل، لقد تقدمت علوم الحياة على أيدي العلماء والأطباء العرب، تقدما كبيرا امكن على اساسه تقدم علم الطب الحديث، ونشقت التجارة والتبادل التجاري، حتى وصل التجار الى الصين شرقا والى ما وراء جبل طارق غربا، وعمل المهندسون في مجتمع الرخاء، فقدّموا مخترعات آلية جديدة عادت بالنفع والخير على الإنسان.

وعلى هذا يصح كما يقول عباس محمود العقاد. ان نعتبر ان سلالة العرب الناشئين في جزيرتهم الأولى، قد سكنت واسط العالم للمعمر منذ خمسة آلاف سنة على أقل تقدير، وان كل ما استفادته الاوربيون من هذه البقايا في هذه العصور، هو تراث عربي او تراث انتشر في العالم بعد امتزاج العرب ببناء تلك البلاد.

وما هو بالثراء القليل حقا كما يقول العقاد، لانه يشتمل على كل اصل عريق عند الأوربيين في شئون العقل والروح. واسباب العماره والحضارة، فهم قد مزجوا معيشتهم اليومية وحياتهم العاطفية بالعقائد الدينية التي تلقوها عن السلالة العربية، ولم تزل بقايا الهامة الى ما بعد الاسلام مشهورة بالمراعي الواسعة، والعيون الزائرة والامطار الغزيرة والمروج الخضراء التي تثلثت مما هو اخصب منها واعمر بالانسان والحيران في اقدم الانبساط.

جو ثقافي وطقس حضاري

والحقيقة العامة والهامة التي يؤكدّها هذا الكتاب، هي ان الحضارة العربية الإسلامية قد أفادت واستفادت في آن، فتمت سببية متبادلة بين هذه الحضارة وما قبلها وما بعدها من حضارات، على نحو ما يذكر الدكتور ابراهيم مذكور في تعليقه الختامي بعنوان (العرب .. ماضي وحاضر ومستقبل) فاذا كان العرب قد تلقوا الثقافة اليونانية وترجموا آثار الاغريق، فذلك وحده جانب من جوانب العبقريّة. لان العبقريّة كما تقاس بالقدرة على الابتكار والابداع، تقاس كذلك بالتقدم واستيعاب ما يبتكره الآخرون. ولا يمكن لأمة من

استطاعت ان تفهم وتدوّن مبتكرات الفكر والأدب والفن في أمة اخرى، وتكون عاطفه عن الموجهة، عاجزة عن الإبداع، فالنقل في ذاته قوة إيجاب. لا تقل في أهميتها عن قوة الابتكار والانجذاب. وقد استطاعت الأمة العربية بما نقلته من تراث اليونان. ان توجد لنفسها جو ثقافيا وطقسا حضاريا استطاع ان يفتح بوابات الثقافة والحضارة في ايام اخرى، ما كانت تستطيع



والصحيح، ان عددا من الاعمال الهامة قد كتب باللاتينية، ولكن اعمالا اخرى كثيرة وهامة كتبت باليونانية او السريانية او الفارسية او السنسكريتية، اما اعظم هذه الاعمال قيمة، وأكثر أصالة، وأغزرها مادة، فهي تلك التي كتبت باللغة العربية، فقد كانت اللغة العربية من منتصف القرن الثامن حتى نهاية القرن الحادي عشر، «لغة العلم الارتقائية للجنس البشري».

لغة العلم الارتقائية للجنس البشري

هكذا كانت هي اللغة الارتقائية في الأدب بوجه عام، فنحن نعلم ان العربي كان يقرض الشعر بسليقته، ويسيطر على خياله حس الجلال، وان اوربا كانت تتلقى آثار الأدب العربي .. شعرا ونثرا في العصور الوسطى، سواء عن طريق القوافل التي كانت تروح وتغدو بين آسيا واوربا الشرقية والشمالية عن طريق القسطنطينية، او عن طريق البلاد التي احتلها الصليبيون واقاموا فيها زمنا طويلا بين مصر وسوريا وسائر البلاد الإسلامية، او عن



طريق الأندلس وصقلية وسائر بلدان اسبانيا العربية حيث قامت دولة المسلمين. ومن خلال هذه الروافد جميعا افاد الكثيرون من كبار شعراء اوربا خلال القرن الرابع عشر وما بعده، من الشعر العربي فائدة لا تقبل الشك ولا تحتمل الانكار، منهم «يوكاشيو» و«داني» و«بترارك» من الايطاليين، و«شوسر» الانجليزي، و«سرفانتيس» الاسباني، وشعراء «الروبادور» بوجه عام.

فحكايات «الصباحات العشرة» التي كتبها يوكاشيو تأثر فيها بالليالي العربية او بحكايات الف ليلة وليلة، وقصص كاتنيري التي كتبها شوسر هذا فيها جذو يوكاشيو في قصص (الكامبرون). اما داني في كتابه الشهير (الكوميديا الالهية) فقد اقتفى اثر ابي العلاء المعري في رسالته الأكثر شهرة .. «رسالة الغفران» وأما سرفانتيس فقد ألف قصته الشهيرة «دون كيشوت» متأثرا تأثرا واضحا بما اطلع عليه من الامثال العربية التي كانت شائعة بين

العرب، والفكاهة الاندلسية التي استمدتها من تاريخ الاسبان. ونستطيع ان نذكر آخرين من امثال لافونتين الفرنسي في تأثره بكتاب «كليلة ودمنة» وسويت الانجليزي صاحب «رحلات جيلفر» التي تأثر فيها بحكايات الف ليلة وليلة، وزميله (دي في) الانجليزي صاحب رحلة «روبنسون كروزو» التي تأثر فيها برسالة «حيي بن يقظان» التي ألفها ابن طفيل، غير ان الذي يعترف به الجميع كما يقول الأستاذ منح خوري هو ان شعر الروبادور انما استمد مباشرة من النماذج العربية، وان ثمة ارتباطا وثيقا بين الشعر البروفانسي من ناحية، وبين الشعر العربي من ناحية اخرى. وإلحق ان العرب اقاموا في جنوبي فرنسا وبخاصة في مقاطعة بروفانس ابتداء من منتصف القرن الثامن، واستمرت إقامة عدد كبير منهم الى ما بعد ذلك، مما يرجح القول بان هذه الجماعة من العرب قد قامت بدور فعال في نشأة شعر الروبادور الذي نشأ في مقاطعة بروفانس بالذات.

ولعل هذا هو ما أكدته البروفسور جب في كتابه، قواث الاسلام، من ان اوربا بأسرها انما تدين لبلاد العرب بنزعتها المجازية الرومانسية، وانما كان يقصد هذا النوع من الشعر بالذات، الذي نبع نهجا جديدا، تميزه صفات نفسية واجتماعية جديدة وتصوير فني خيالي جديد، لم تكن له سابقة في الأدب الفرنسي من قبل، وكان كثير الشبه بنوع من الشعر المعاصر في اسبانيا العربية.

ويعرض باحثنا في هذا الكتاب لسر نجاح الف ليلة وليلة كل هذا النجاح، وكيف ان الأدب الانجليزي والأدب الفرنسي كليهما كانا يمان بأزمة في التعبير الجديد الذي يلائم الذوق الأكثر شعبية بعيدا عن الروايات الطويلة .. المملة والفظة .. التي ظهرت في القرن السابع عشر، والتي لم توافق مزاج الجماهير الباحثة عن روح المغامرة في الأدب الشعبي، وربما لم تكن حكايات الف ليلة وليلة هي الرفيعة المستوى من الناحية الأدبية، ولكنها كانت نموذجاً فريدا لما يبحث عنه الأدباء مما يلائم أذواق القراء.

أصالة الفكر العربي الإسلامي

وبمقدار ما كانت العربية هي اللغة الارتقائية للجنس البشري في الادب بوجه عام كانت كذلك في الفكر بوجه خاص، هكذا كان يعقوب الكندي فيلسوفا عربيا اصيلا، وكذلك فلاسفة الأندلس كانوا من العرب ولم يكونوا من الفرس ولا من غير الفرس. ولاشك في ان فلاسفة الأندلس

كان لهم أكبر الفضل في توجيه الأوربيين إلى البحوث الفلسفية والدراسات المنطقية، بل وفي تعريف العقل الأوربي بفلسفة الفارابي .. المعلم الثاني، وفلسفة ابن سينا .. الشيخ الرئيس. ومهما اختلفت الآراء حول الفيلسوف الأندلسي الكبير ابن رشد، الملقب بالشارح الأكبر لمعكوفه على شرح مؤلفات المعلم الأول .. أرسطو، حتى لقد وضعه الفنان الشهير رافائيل في مصاف فلاسفة الإغريق العظام، في لوحته عن «مدرسة أثينا» أو مدرسة الحكمة، تقديرًا لفضله في شرح تعاليم أرسطو من ناحية، ونقلها إلى العالم الأوربي من ناحية أخرى، مهما اختلفت الآراء حول هذا العقل الكبير .. ابن رشد، فقد اتفقت جميعا حول قبول الفلسفة الإشراقية التي صاغها ابن باجة وابن طفيل لأنها تؤمن بالإشراق، وبالمعرفة التي تستلهم عن طريق الحواس، ولا عن طريق العقل، ولكن عن طريق الحدس، ومن هنا كان تأثيرهما القوي في آراء كل من (توما الأكويني) و(البرت الأكبر) جناحي الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى.

على ابن رشد كان الحجة العظمى في الفلسفة في جامعات أوروبا منذ أوائل القرن الثالث عشر، ولما أخذ لويس الحادي عشر على عاتقه مسئولية تنظيم التعليم، أمر بتدريس مذهب فيلسوفنا العربي، جنبًا إلى جنب مع أرسطو فيلسوف الإغريق. وكان الرهبان الفرنسيسكان القرنيسون شديدي التأثير بالتعاليم الرشدية، حتى ظهر الفرنسيسكاني الشهير (دنس سكوت) فعارض ابن رشد والرشدية واختط لفلسفته طريقًا مغايرًا في المنهج وفي الإنجاز، ومهما يكن من اختلاف القديس توما الأكويني مع آراء ابن رشد فيما بعد الطبيعية وخلود النفس، فقد كان ينظر إليه على أنه الشارح الأكبر للمنتقل الأرسطي، ولؤلؤات أرسطو بوجه عام، على أن القلعة الحقيقية للفلسفة الرشدية كانت هي شال شرق إيطاليا، حيث تربع ابن رشد على كرسي الفلسفة في جامعتي بولونيا وبادوا، ومنها انطلق الإشعاع الرشدي حتى نهاية القرن السابع عشر، ومن هنا كان اهتمام الأستاذ مجيد فخري في بحثه عن الفكر الفلسفي لدى العرب، بابن رشد والرشدية معًا.

وإذا كان الشاعر الإيطالي الشهير دانتي الجيبري قد وصف القديس توما الأكويني بصفة تمنحه الرفعة والسمو، فقد سمى المسلمون الغزالي «حجة الإسلام»، وإذا كانا قد قاما بنفس الدور الفلسفي من حيث مناقشة تعاليم كل من أرسطو وأفلاطون، وتغليب العقيدة الدينية على منتقل أرسطو القياسي، ونظرية أفلاطون في المثل، فقد كان الغزالي أسبق في الزمن والتاريخ،

واقوى في الحجة والبرهان. بل أننا لا نغالي في القول، ولا نتجاوز الحقيقة إذا رددنا مع صاحب هذا البحث قوله بأن أغلب ما كتبه توما الأكويني عن خلود الله، وبقاء الروح، وخلق الإنسان، كان قد تناوله من قبل ابن سينا بوجه عام والغزالي بوجه خاص وابن رشد بوجه أخص.

بل إن تأثير هؤلاء الفلاسفة الثلاثة بالذات، لا يقف عند توما الأكويني والبرت الكبير وغيرهما من فلاسفة الأوربيين في العصر الوسيط، وإنما هو يتجاوز ذلك إلى التأثير في فلاسفة الغرب في العصر الحديث، وليس أدل على ذلك من تأثير (ديكارت) الفرنسي بالإمام الغزالي في اصطناعه الشكل منهجا للمعرفة والوصول إلى اليقين، وتأثير (ديفيد هيوم) الإنجليزي بابن رشد في نظريته عن العلية والسببية أو الأسباب والمسببات، كما تأثر سبينوزا الألماني بفلسفة ابن سينا في إيضاح العلاقة بين المادة والروح، وكيف يؤثر العقل في الجسد، وتأثير الروح في المادة، انطلاقًا من القول بوحدة العلة والمعلول.

فإذا تركنا هؤلاء الفرسان الثلاثة من فرسان الفكر العربي الإسلامي، والتفتنا بفارس رابع لا يقل تأثيرًا وأثرًا، وكان ذلك الفارس هو العلامة ابن خلدون، لوجدنا أن ريادته لعلمي التاريخ والاجتماع تفوق كل ريادة، وأن أمثال فيكو الإيطالي ومونتسكيو الفرنسي، فضلًا عن الفيلسوف الوضعي أوجست كومت لم يفعلوا أكثر من اقتفاء أثر ذلك الرائد الكبير.

الريادة العربية لعلم الحياة

على أنه إذا كانت العربية هي اللغة الارتقائية للجنس البشري كما أوضحنا في الأدب بوجه عام وفي الفكر بوجه خاص، فإنها كذلك ابضا في العلم بوجه أخص، وهذا ما يوضحه كل من الاستاذين عبد الحميد صيرة في بحثه عن العلوم الوضعية والرياضية عند العرب، كما يوضحه الأستاذ سامي حجازة في بحثه عن الريادة العربية لعلم الحياة.

ونظرة ولو عابرة إلى بحوث القرن السابع عشر في طبيعة الضوء، وبخاصة بحوث الفيلسوف الفرنسي ديكارت، وقانون الأجسام الساقطة وبخاصة عند العالم الإيطالي جاليليو، ثم نظرة مقارنة بين هذا كله وبين رسالة الحسن بن الهيثم في الضوء، نخرج منها بمحققة على جانب كبير من الخطورة والخطر، هي أن ابن الهيثم كان بحق فاتحة الطريق إلى البحث العلمي في البصريات.

فقد ظهرت في القرن السابع عشر نظريتان في الضوء، أو

بالأخرى في طبيعة الضوء، إحداهما نظرية «دينا ميكية» والأخرى نظرية «هندسية» أما النظرية الديناميكية فهي تلك التي تنسب إلى العالم الإنجليزي الشهير نيوتن. ولكن هذه النظرية يمكن النظر إليها على أنها تأويل فيزيقي للبرهان الرياضي الذي جاء به ديكرات على «قانون الانكسار» وهو من ناحية البرهان الذي نشره ديكرات في كتابه عن «انكسار الضوء» عام ١٦٣٧، وهو من ناحية أخرى البرهان الذي جعل مؤرخ العلوم الشهير بول فانوي، ينظر إلى ديكرات على أنه أول من أعطى مثلاً صارخاً لما ينبغي أن يكون عليه علم الطبيعة النظري، إذ بين في كتابه هذا عن انكسار الضوء، كيف يمكن أن تستخدم الرياضيات في علم الطبيعة، في الوقت الذي اقتضت فيه نماذج القدماء في بحوثهم بوجه عام، على الاستاتيكا ونظرية مركز الثقل ومبدأ أرخميدس.

ويذهب الدكتور عبد الحميد صبرة في بحثه هذا، إلى أننا إذا نظرنا إلى هذا البرهان لوجدناه بدوره ينطوي على طريقة في الاستدلال الرياضي، كان ابن الهيثم أول من طبقها على الظواهر الضوئية، ذلك في كتابه القيم «المناظر»، وهو الكتاب الأسبق تاريخياً من كتاب ديكرات، فضلاً عن أنه الكتاب الذي لا يمكن من الناحية التاريخية، فهم كتاب ديكرات إلا في ضوءه ومن خلاله، وبذلك يكون ابن الهيثم هو الذي مهد الطريق لبحوث ديكرات، وهو الذي رصف الطريق طويلاً وعريضاً أمام استخدام الرياضيات في علم الطبيعة.

ولا غربة في تأثر ديكرات بابن الهيثم، بطريق مباشر أو غير مباشر، فقد ترجم كتاب «المناظر» لابن الهيثم إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر الميلادي، وسرعان ما شاع وانتشر بين علماء أوروبا، وليس أدل على ذلك من علماء جامعة أوكسفورد الذين كانوا يرون في ذلك الكتاب مثلاً أعلى لطريقة البحث في علم الطبيعة، وهي الطريقة التي عارضوا بها طريقة أرسطو الكلاسيكية والذي اجتدهم في طريقة ابن الهيثم هو بالذات أسلوبه في تطبيق الرياضيات على المسائل الطبيعية.

وثمة تشابها آخر أن يستوقفنا طويلاً وعميقاً، وهو ذلك التشابه الصارخ بين كل من ابن الهيثم واسحق نيوتن في موقفها من طبيعة الضوء، فإننا نلاحظ أن العالم العربي الإسلامي، لا يجيبنا اجابة صريحة على السؤال عن طبيعة الضوء، وإنما هو يكتفي بعرض آراء السابقين عليه والمعاصرين له من أصحاب التعاليم والفلاسفة الطبيعيين، دون أن يهتم بترجيح رأيي على رأي، ودون أن يزيد على القول بأنه إذا كان الضوء له وجود بذاته، فما علينا إلا أن نكشف عن خصائصه كما تشهد بها

التجارب، فليس المهم هو طبيعة الضوء، وإنما الأهم هو ما خصائص هذا الضوء؟

وعند الدكتور عبد الحميد صبرة، أن هذا الموقف شديد الشبه بموقف العالم البريطاني الشهير من المعارضين لنظرية في الضوء، فقد امتنع نيوتن عن إعلان اعتناقه لرأيي بعينه في طبيعة الضوء قائلاً إن بحثه قاصر على بيان «الخصائص التجريبية» و«المبادئ الرياضية» دون النظر في «العلل الطبيعية».

وقف نيوتن هذا الموقف حتى بنأى بنفسه عن الخلافات القائمة في عصره بين الفلاسفة الطبيعيين، وحتى يضمن لنظرياته قبولاً لديهم بصرف النظر عما يكون لهم من ميول نظرية أو فلسفية، وكان ابن الهيثم هو الآخر، وبالأسح صحو الأول، قد أراد بموقفه أن يمتنع عن النزاع القائم بين المتكلمين والفلاسفة المشائين، حتى يخطو خطوة جديدة، يمر بها علم الضوء من المنازعات الفلسفية والكلامية، ويقيم على أساس تجريبي خالص، ومن ثم كان ينق الرائد الأول للعلم التجريبي الحديث.

بصمات على جبين الفكر

فإذا انتقلنا من علوم المادة إلى علوم الحياة، كالطب والكيمياء، بل وكل ما له علاقة بالصحة العامة، لشاهدنا بصمات واضعة والمسلمين أوضع على جسد الحياة، كما شاهدناها واضحة على جبين الفكر، ولا نكاد نكتفي بالملاحظة وحدها، ولكن بالشهادة أيضاً بأنهم الطي ومآثرهم الكباوية في أوروبا ابتداء من القرن الحادي عشر وحتى القرن التاسع عشر، فطوال هذه المساحة الزمنية الفسيحة، تربعت كتبهم على عرش الطب في أوروبا، واعتمدت مناهج الدراسة الأكاديمية على مصنفاتهم الكباوية، فكان الرازي وابن سينا هما فرسا الرهان في جامعة لوفان، في الوقت الذي توارت فيه مؤلفات الأفرقي الطبية خجلاً أمام مؤلفاتها، فلم يبق من أنقراط سوى حكمه الماثورة ولا من جالينوس سوى أقواله في أوليات الطب.

وها هي كلية الطب في جامعة باريس تعلق على جدرانها صورة أبي بكر محمد الرازي، الذي كان كما يقول ول ديورانت في كتابه عن «قصة الحضارة» أعظم طبيب في العالم العربي الإسلامي، وواحداً من أعظم الأطباء على مر العصور. وربما كان كتابه الكبير والشهير المسمى «الحاوي» والذي صنفه في عشرين جزءاً، هو أضخم مؤلف ألفه طبيب في تاريخ الطب العالمي، وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية في القرن الثالث

وإلى جوار صورة الرازي المعلقة على جدران كلية الطب



ولا يقف الإبداع العربي الإسلامي عند فنون العارة وحدها، وإنما يتجاوزها الى فنون الزخرفة أو ما نسميه اليوم بالفنون الجميلة، كما يقول أوليج جرابير، الفيلسوف، والمنسبات، والخزف والطنافس والأواني والصابوني، فضلاً عن الحلى والمنسوجات، كل هذا وكثير غيره، تناولته أيدي الفنانين العرب فأحالتهم تحفاً من الفن الخزفي الرفيع، كانت تستهدف في تصميمها وحدة تنظيمية بينها، تتبدى من المركز متجهة الى الأطراف، او من البداية حتى النهاية، فتلوح وكأنها هي نغم موسيقي، أو قصيدة من الشعر.

ولم تكن لتستعصى على الفنان العربي الإسلامي اية مادة، حتى «تتخوف» وتستحيل في يديه تحفة فنية تجمع بين الروعة والبراعة جميعاً، فأصبح الخشب والمعدن، والآجر والحجر، والزجاج والفخار، والقرميد والقاشاني، أصبحت هذه المواد جميعاً أدوات لصياغة نماذج فنية كأنما هي فواصل من الشعر.

ولا نكاد نذكر هذا كله دون ان نذكر الكتب بوجه عام، وعلى رأسها المصحف الشريف، الذي تفتن الفنان العربي الإسلامي في تجليده مستخدماً الزخرفة التي تجمع بين الخلال والجمال، والكتابة المذهبة التي تشي بخشوع الفنان المؤمن أمام كتاب الله الكريم. لقد بلغ الفنان المسلمون في هذا الفن أوج الكمال، مما جعل أوربا تنظر الى الفن العربي الإسلامي أكثر من ألف عام، وكأنه أعجوبة من أعاجيب الزمان.

وما هي بأعجوبة من الأعاجيب، ولكنها كما يقول عنوان هذا الكتاب «عبقريّة الحضارة العربية كمنبع للنهضة، أو هي بعبارة أخرى شمس العرب وقد سطعت على الغرب، وإذا كان قد انتابها نوع من الكسوف، فما هو إلا كسوف جزئي، عادت الشمس بعده لتشرق من جديد.

جامعة باريس، نستطيع كذلك ان نشاهد صورة أبو علي الحسين بن سينا، الذي كان يرى أن الطب هو الفن الذي يعمل على إزالة كل ما يعوق الطبيعة البشرية عن القيام بوظائفها، وعلى هذا الأساس وضع كتابه الضخم المسمى «القانون في الطب» الذي تناول فيه بالبحث علم الصحة والصيدلة، وعلم الطب ووظائف الأعضاء، وكان لهذا الكتاب ما كان من أثر بالغ وتأثير بالغ في الحياة الطبية في العالم. فقد طبع في الثلاثين سنة الأخيرة من القرن الخامس عشر ستة عشر طبعة، وطبع خلال القرن السادس عشر أكثر من عشرين طبعة، وكان قد ترجمه جيرار أوف كروميوني في القرن الثاني عشر الى اللاتينية، وألف في شرحه الكثير في اللغات اللاتينية، والعبرية، واستمر في طبعه وتدرسه حتى نهاية القرن السابع عشر وربما لم يدرس كتاب في الطب على مر العصور كما درس هذا الكتاب مما حدا بالمستشرق المعروف مايهوف الى ان يقول في كتابه عن «فراث الإسلام» ما نصه (ولقد بلغ الطب الإسلامي عن طريق ابن سينا عميد الأطباء وأميرهم أوج عظمتهم وازدهارهم).

فنون العارة والجمال

وننتقل من علوم المادة والحياة، الى فنون العارة والجمال، لتطلعنا الحضارة العربية الإسلامية، بصورة من الروعة والبراعة معا، وعلاوات من الدقة والرفعة في آن، إنها لا تدل فحسب على جمالي هذه الحضارة، ولكنها تدل كذلك على مدى أصالة الوجدان البشري، وقدرته على الابتكار والإبداع، فن قصر الحمراء في اسبانيا الى تاج محل في الهند، مروراً بمجامع السلطان حسن بالقاهرة، والجامع الأموي بدمشق، وجامع الكتبية بمراكش، فضلاً عن جامع قرطبة، وجامع القيروان، والجامع والحق أن الأمة العربية، عندما نهأت لها أسباب النهضة، باندماج تلك الشعوب جميعاً تحت راية واحدة هي راية الاسلام، استطاعت بحق وعلى حد تعبير أوليج جرابير، أن تثير العالم الغربي الأوروبي، وأن تشيد لنفسها تلك المدرسة العربية الإسلامية في الفن، التي تخرج فيها الفنانون الأوروبيون جيلاً وراء جيل، أو عصرأ بعد عصر.

ويكفي ان يحكي الاعتراف بتأثير فن العارة العربي على فنون العارة الغربية من المستشرقين أنفسهم، فهي هو جوستاف لويون في كتابه «حضارة العرب» يشيد بهذا التأثير، حتى ذهب الى ان الأوروبيين في العصور الوسطى كانوا يستمدون فنانين ومهندسين من العرب، كما فعل شارلمان على سبيل المثال، وكما حدث في بناء الكثير من الأبراج والقصور.

الصحراء

رحلة تاريخ طويل في حياة الإنسان

الصحراء ..

تراثا عريقا للإنسان العربي بكل صوره .. ومحاوفا شوقه
وأحلامه التي لا تنضب !!

الصحراء .. ملحمة حرب .. وحب !!
الصحراء .. شوق يتنوّش مع كل «شيلة هجني» و «صوت سامري» ..
و «دقة دوسري» !!
«تتشجر» بالشبح والخزامى .. والععر .. والعرار والوزاب ..
الصحراء .. حذاء منقل بأحاسيس الندى .. وندى الذكرى !!
وتصقّر بالقنص .. وأيام «المقناص» ..
صحراء عربي الأمس .. عربي الخيل .. والجمال .. والخيمة ..
أما صحراء عربي اليوم .. فهي آبار البترول
.. وآليات المدينة الحديثة .. والشموخ الدولي !! والحديث
عن الصحراء تمتد بلا حدود .. وشيق بلا ملل .. وحافل بالحياة
.. والحركة عنفا كرياح «الغاسين» .. و «الريح الشمالية» وهادئا
ناعما كنسم الأمامي «النجدية» والحديث الصحراء رائحة خاصة
ذكية كرائحتها بعد نزول المطر .. وانسياب الماء الى اعماقها مطفئا
ظما القيط .. وهب الشمس ..

انظر الى راحة من الصحراء



وهي عند العلماء .. وفي القواميس .. واللغة شيء غير
هذا!!!

• ورد في القاموس المحيط ان الصحراء هي «الارض
المستوية في لين وغلظ دون القفّ او الفضاء الواسع لا نبات به.
وانما لم يصرف للزوم حرف التأنيث .. وجمعه صحارى
وصحاري وصحراوات»

ما هي الصحراء؟

الصحراء .. عند الانسان الفنان لوحة متكاملة بألوانها الصارخة
.. والمأدبة .. وظلالها العبقريّة .. وملحمة شعر في حالات السلم
.. وفترات الحرب .. وقلبة عشق رائدة تختصر كل قصص
الحب والفروسية.

الخالية التي لا يحتمل الانسان الحياة فيها»

• أما في الموسوعة المسيرة فهي «منطقة جرداء تغطي الرمال الجانب الأكبر منها .. وتقوم بها حياة نباتية .. وحيوانية جد قليلة .. ومكثفة».

• الصحراء في اللغة «الأرض الميتة .. الفلاة .. البادية ... الخ»

ومن خصائص الصحراء أنها:

•• نادرة السكان

•• قليلة المحاصيل المزروعة.

•• لقرتها .. ونباتاتها النامية بها خصائص معينة .. بيد ان المحيط الذي يربط جميع انواع الصحاري هو «الخفاف».

الصحراء في سطور

• تقع أكثر المناطق الصحراوية اتساعا في آسيا .. وأفريقيا .. وإستراليا .. وأمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية .. وهذا يعني ان أكثر بلدان العالم فيها مناطق صحراوية باستثناء أوروبا التي تعتبر القارة الوحيدة الخالية من الصحاري الا بعض الأقاليم شبه الصحراوية حول البحر الأسود وبحر قزوين وفي أوكرانيا وشمال القوقاز.

• بعض العلماء يعتبر بعض الكواكب المجاورة للأرض كالقمر والمريخ نوعا آخر من الصحراء .. ويطلقون عليها «صحراء الكرة الأرضية» اذا صح التعبير.

• من ثروات الصحراء المعدنية البترول .. والغاز الطبيعي .. والذهب والماس .. والفوسفات والفترات .. والحديد الخام.

• انتشرت الحضارات القديمة على جانبي الأنهار التي تمر في مناطق صحراوية مثل نهر النيل .. والفرات .. ونهر الهندوس .. وعرفت صحراء المغرب العربي كما ذكر الدكتور عباس الحارثي في العدد السادس من مجلة «المناهل» المغربية رجب ١٣٩٦هـ/يوليو ١٩٧٦م - السنة الثالثة في المراحل الأولى للتاريخ .. وما قبل التاريخ في الفترة البدائية حضارات حجرية .. وبرونزية .. وحديدية.

• تبلغ المساحة الكلية للصحراء في شبه الجزيرة العربية أكثر من مليون كيلومتر مربع .. مقسمة الى ثلاث صحراء تقع اثنتان منها بالمملكة العربية السعودية .. وهما «النفوذ .. والربع الخالي» .. أما الثالثة فهي الصحراء السورية.



• وفي دائرة المعارف البريطانية هي «مناطق قاحلة تخفي فيها الخضرة .. وتنخفض بها كثافة السكان الى حد كبير».

• وفي دائرة معارف العلوم «لفظ الصحراء - أساسا - اصطلاح مناخي يفسر ظروفا مناخية معينة تسود منطقة معينة .. أما لفظ المناطق القاحلة .. أو الخفاف .. فهما الاصطلاح الفني عن الصحراء .. ومن ثم تطلق كلمة «صحراء» على الأراضي

بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك
مؤسسة الحزبي التجارية
يسرها أن تقدم لكم تلفزيون إمرسون الملون

السلامة
والنوعية
والجودة

كفالة لمدة
ثلاث سنوات

قطع الغيار
والصيانة
متوفرة

مقاسات مختلفة
٢٦/٢٢/١٨ بوصة



يعمل على
الشاشة
أنظمة:
• سيال
• سيكام
• ١١
• إن في إم إس
• الفريزون

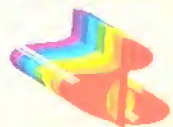
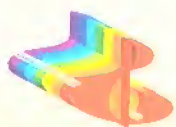
امرسون الملون
EMERSON Colour

مزود بـ "ريموت كونترول" لضبط الصورة والصوت مع الألوان.. من بُعد..

الوكيل العام

مؤسسة الحزبي التجارية

الرياض - ت ٣٤٢٥٨ - ص.ب ١٩٣٩



◦ يرتبط حجم حيوانات الصحراء ضخامة أو ضآلة بوفرة الماء .. أو ندرته .. وأشهر حيوانات الصحراء الغزلان، السحاليات، العقارب وغيرها من القوارض .. والثعالب .. والجرذان .. والعناكب .. والأرانب .. واليرابيع .. والجمل .. والفتافذ .. وقطط الرمل .. والخفافيش .. والسلاحف .. والخنفساء .. والحية ذات الاجراس.

◦ تتراوح درجة الحرارة بالصحاري الاستوائية بين ٨٥° ف - ٩٠° ف .. وتبلغ ١٠٠° ف نهارا في الصيف، بينما تنخفض الى ٥٠-٦٠° ف في نهار الشتاء .. وتبلا تنخفض الى ٤٠° ف .. كما يسقط الصقيع في بعض الاماكن.

◦ أكدت الابحاث خصوصية تربة الصحراء الى حد كبير .. فهي لا تحتاج لغير الماء كي تزهر الورود

◦ تغطي الصحاري اُخمس مساحة اليابسة .. وتقع اكبر الاقاليم الصحراوية بين خطي عرض ٢٠، ٣٠ شمال وجنوب خط الاستواء حيث تصد الجبال الرياح التجارية المطيرة أو بسبب الضغط الجوي المرتفع تيارات هوائية هابطة .. ومن عوامل تكوين الصحاري حرارة الشمس المرتفعة .. ونسبة البخر العالية .. ونسبة المطر السنوي الضئيلة.

◦ تعتبر الصحراء الكبرى في افريقيا اكبر صحاري العالم .. وتأتي من بعدها الاقاليم الصحراوية بوسط استراليا وجنوبها.

◦ ومن اشهر نباتات الصحراء واشجارها «البوط» (شجيرة اللبلق) .. والفوكير .. والعصا الخضراء .. والصبار .. والتمين الشوكي .. والنخيل .. كما يوجد المشمش .. والخوخ .. والرمان .. والبرتقال .. الى جانب بعض المحاصيل البقولية كالقمح والذرة والشعير .. والبرسيم.



صحاري افريقيا

في قارة افريقيا صحاروا:

«* الاولى في الشمال .. وهي (الصحراء الكبرى) وتعتبر اكبر صحراء في العالم .. وهي تصل غربا الى المحيط الاطلسي .. وشرقا الى وادي النيل .. وتبلغ مساحتها عشرة ملايين كيلومتر مربع .. أي انها أكثر من ربع مساحة قارة افريقيا كلها .. ويبلغ طولها حوالي (٥٠٠٠) خمسة آلاف كيلومتر.

ويعتقد بعض العلماء ان الحشائش الخضراء والغابات كانت تغطي التلال التي تفصل بين الصحراء والبحر المتوسط في الماضي .. وقد وجدوا الوفا من الرسوم القديمة على الصخور مما يؤكد وجود اناس عاشوا في هذه البقعة .. أما اليوم فهذه الصحراء خاوية، واهلها يسكنون قرب حوافها .. وفي واحاتها .. وفي المناطق الجبلية وعددهم يقدر بمليون نسمة تقريبا.

وتوجد في هذه الصحراء جبال .. واشهرها وغورة الجبال المسماة (تسيليناجي) ويبلغ ارتفاع قممها الى ٦٠٠ م .. وبها عدد من البحيرات الصغيرة هذه البحيرات المكتظة بالبط البري والخراف ومياهها يقال انها غنية بالاسماك.

واكبر جبال هذه الصحراء تقع في المنطقة التي يطلق عليها (المهجار) .. ولقمةا بركانية يبلغ ارتفاعها ما يقرب من عشرة آلاف قدم .. وهذه المنطقة لم تكتشف بعد باستثناء بعض الرواد الذين حلقوا فوقها بالطائرات .. ويسكن فيها قبائل (الطوارق) الذي اشتهر رجالهم بالثام .. في الوقت الذي لا تستعمله النساء .. كما يسكنها قبائل (المور الزرق).

«* الثانية .. في الجنوب الغربي .. وهي صحراء كلهاري .. ومساحتها على اختلاف قديم من يقول انها أكثر قليلا من نصف مليون كيلومتر مربع .. ومنهم من يقول انها ضعفت هذا الرقم.

(وتقع هذه الصحراء على هضبة مرتفعة تحرقها مجاري نهر جاف .. وتتركزها تلال منخفضة وفيها عدد من المنخفضات الضحلة يطلق عليها (القدون) .. ومنها اشتق اسم كلهاري .. أي قدور الملح باللغة المحلية ذلك لان قليلا من الماء يتجمع في هذه القدور عندما تنزل أمطار الصحراء الشحيحة في فصل الصيف.

وفي هذه الصحراء يعيش حوالي ثلاثة ملايين نسمة منهم الزراع .. ومنهم الرحل ومنهم الذين يعيشون على الصيد وجمعاعة

وفي أطرافها الغربية المسماة صحراء «تكلمكن» مياه تكتفي لسد حاجة حياة النباتات والجزء الشرقي منها يجديا اللهم بعض الآبار والاماكن المشهورة بالمستنقعات .. وجزء من الحدود الجنوبية لهذه الصحراء هو سور الصين الذي انشأه الصينيون قبل عشرين قرنا.

الصحراء العربية

تشمل هذه الصحراء معظم شبه الجزيرة العربية .. وتمتد الى الأردن .. والعراق .. وسوريا وقد قدرت المساحة الكلية لهذه الصحراء بأكثر من مليون كيلومتر مربع وتنقسم الى ثلاث صحاري هي: الربع الخالي .. الصحراء السورية .. صحراء النفوذ.

وأكثر هذه الاقسام هي صحراء الربع الخالي .. أو صحراء الدهناء .. أو الصحراء الرملية العظيمة .. وتقع في الطرف الجنوبي من شبه الجزيرة العربية بالمملكة العربية السعودية .. وتبلغ مساحتها أكثر من ربع مليون ميل مربع (الطول ٧٥٠ ميل .. والعرض ٤٠٠ ميل) .. وهي تنقسم الى اربعة أقسام:

«* (الأحفاف) .. ويقع شمالي شرقي حضرموت.
«* (صيهده) .. ويقع في الجزء الواقع بين شمالي مأرب والجوف باليمن .. وبين شمالي حضرموت.
«* (وبار) .. أو الدهناء ويقع في الشمال وقد سمي بالدهناء لحمرة رماله.

«* (أم العمم) .. أو (البحر الساق) كما يسميه بعض البدو .. ويقع في الجنوب والغرب وهذا القسم صعب الاجتياز لوجود الكثبان والغرد الرملية التي بغوص فيها الانسان اذا سار عليها.

ويعتبر الربع الخالي أوسع منطقة رملية متصلة في العالم .. وهي منطقة ليس بها عيون ماء .. أو وديان أو انهار جارية .. وانما تعشب بعض مناطقها في موسم سقوط الامطار حيث يذهب بعض البدو مع ابلهم ومواشيهم يرعونها لمدة ثلاثة اشهر. وظل القسم الرابع دون استكشاف حتى عهد قريب .. وكان أول من ارتاده (برترام توماس) ١٩٣١ م .. و (عبدالله فلي) ١٩٣٢ م.

منهم تسمى «البشمن».

وفي موسم الامطار (من ابريل الى اكتوبر) تنفيض الأنهار الى بعض هذه الصحاري حيث تكون تيارات ضحلة مألحة لا تعدو عن كونها مستنقعات .. وتكثر فيها الثعابين .. والجواذين .. والقنغر .. اشجار الصمغ وتكثر فيها الثعابين .. والصحاري المركزية في استراليا عبارة عن مناطق خاوية وحولها تنتشر طرق السكك الحديدية .. والطرق الزراعية .. وطرق الطيران .. ولا يسكن فيها سوى أهل استراليا الأصليين ذوي البشرة الداكنة.

وتجري التنقيبات حاليا في الصحاري الاسترالية على أمل وجود ثروات منها تحت ارض الصحراء المركزية كالنفط .. والذهب .. والفضة .. والنحاس .. والقصدير .. والرماس .. والحديد .. والتنجستن .. واليورانيوم .. وهذا ما ظهرت بوادره

وجوه من الصحراء

صحاري استراليا

أغلب قلب القارة الاسترالية صحراوي جاف وحار تحيط به الجبال الخضراء .. جزء من هذه الصحراء رملي والآخر صخري .. وتنقسم هذه الصحاري الى عدة اقسام:

- الصحراء الفكتورية .. في الجنوب الغربي
- الصحراء الرملية الكبرى .. في الشمال الغربي
- صحراء (جيسن)
- صحراء (أرنتا)
- صحراء (تيسن)



صحاري اميركا الشمالية

تقع هذه الصحاري في الولايات المتحدة الامريكية ..
والمكسيك .. ومن اشهرها:

- صحراء (كولورادو) في كاليفورنيا .. واريزونا
- صحراء (تشيبواها) في المكسيك .. وتكساس ..
- والمكسيك الجديدة في الشمال.
- صحراء (موجاني) في كاليفورنيا .. ونيفادا ..
- واريزونا
- صحراء (سونورا) في اريزونا .. والمكسيك
- صحراء الحوض الكبير (جريت بيسن) في يوتا ..
- ونيفادا

وهناك صحراوات صغيرة مثل (فركابو) بكاليفورنيا السفلى ..
والصحراء العليا باورجن وصحراء (بينند دزوت) باريزونا.

صحاري اميركا الجنوبية

(اتاكاما) هي الصحراء الوحيدة في اميركا الجنوبية على طول
الشاطئ بجمهورية شيلي.

وتشتهر هذه الصحراء بانها اكثر صحاري العالم ان لم تكن
اماكن العالم كله جفافا .. والطريف ان رجلا عاش ١٤ عاما
في مدينة (ايكيكا) على حافة هذه المنطقة لم ينزل خلافا المطر
على الاطلاق وقد كتب لاحد اصدقائه (اذا عزمتم على زيارتي
فلا تبالي الا تحضر مظالتك .. فلقد عشت هنا اربع عشرة سنة
.. وفي تلك المدة لم تنطر مرة واحدة على الاطلاق)!!

عرض هذه الصحراء أقل من ١٦٠ كلم .. وطولها يزيد عن
١١٢٠ كلم وهي تبدأ عند الطرف الشمالي من شيلي وتستمر
جنوبا الى مدينة «كوبيكاكو» وتوجد منطقة شبه صحراوية تسمى
«بوناي اتاكاما» أي ارض اتاكاما الباردة تقع شرقي الصحراء.
وبين القسم البركاني لبحال الانديز.

وقد عثر على الحديد .. والفضة .. والنحاس في هذه
الصحراء .. وأهم منتجها التزات (الازوتات) .. وأهم مدينة
فيها هي (اتوقاغستا) على الشاطئ وعدد سكانها حوالي خمسين
الف نسمة.



تأذج من فن
التحت بفعل
عوامل التعرية



حضارات .. سادت في الصحراء

ان الباحث في تاريخ الصحراء يصادف آثاراً تدل على ان
الانسان الاول كان يقتصر الحيوانات من المناطق التي كانت
تنمو بها غابات البلوط والأرز، كمناطق تبسني بالصحاري
المركزية - وهي مناطق مأهولة بالسكان هذه الايام - وكذلك
صحراء كالاهاري والصحراء الايرانية، وغرب الولايات
المتحدة الامريكية، حيث توجد اشارة الى اثر مائي يتراوح
عمقه بين ١٨٠-٢١٠ أمتار بوادي الموت.

كذلك تدل الآثار النباتية والآثار الحيوانية (خصوصا
الاسماك وبعض التماسيح بالواحات) على وجود آثار سابقة
لظروف مائنة من مختلف صحاري العالم في الماضي القريب
نسبيا. وتطبق نفس القاعدة على آثار وجود الرومان بشمال
افريقيا الذي يوضح مسرح (لينيس هاجنا) في ليبيا، الذي
صمم ليعب آلاف النظاراة. والذي اصبح موقعه الآن ظلا باقيا
لمدينة طواها السيان.

ومع بداية التاريخ الانساني المسجل نشاهد آثار حياة
ماضية ببعض المناطق القاحلة حاليا منها:

- آثار زراعة البقول، ونظم متعددة الري، بالمناطق المتاخمة لفلسطين وجبل الشيخ بسوريا، يرجع تاريخها الى ست آلاف سنة قبل الميلاد.

- آثار ازدهار بعض الحضارات باهلال الخصب الذي يكثره نهر دجلة والفرات يرجع تاريخها الى خمسة آلاف سنة او يزيد.

- آثار استيطان بعض الصحاري الاسيوية وفي ايران.

ولئن كانت المناطق الصحراوية الحالية قد شهدت مثل هذه الحضارات في ماضيها التليد فان الثابت ان موارد المياه التي قامت عليها الحياة بها هي الآبار والمياه الجوفية.

والجدير بالذكر ان التحليلات المعاصرة قد اثبتت ان المياه الجوفية (ومنها مياه الآبار والينابيع والعيون المائية) تنحصر بعدة ميزات تفضلها عن المياه السطحية (مياه الانهار) منها

• خلوها من الميكروبات، وعدم الحاجة الى تنقيتها من اجل الاستعمال المنزلي او الصناعي.

• ثبات درجة حرارتها

• خلوها من التعكر (الشوائب)، وهدم تلوثها

• تركيبها الكيماوي الثابت

• لا تتأثر بمياه الصرف

• ليست عرضة للتلوث الكيماوي والبيولوجي

• انها متوفرة في معظم المناطق التي تندرجها المياه السطحية (أو تلك حكمة الله في أرضه)

وقد يثار سؤال: اذا كان للمياه الجوفية هذه الميزات على مياه الانهار والبحار، فلماذا لم تنتشر مشاريع التنقيب عنها بشكل ظاهر في المناطق الصحراوية من العالم؟

والسبب في ذلك يعود الى الطبيعة الصخرية للارض .. مما لا يسمح بتدفق مياه كافية الى جانب ان تكاليف التنقيب عنها باهظة عن شق الترع والقنوات.

انسان الصحراء

مشكلة انسان الصحراء الاساسية هي الماء .. وامام هذه المشكلة استطاع ان يكيف نفسه .. وينكر ضروبا من الحيل للاستفادة من القليل النادر من الماء فترة طويلة. وقد عرف سكان الصحراء جيدا كيف يقتصدون في استعمال المياه فهم لا يسرفون في استعماله في حياتهم اليومية كما يفعل الناس في انحاء اخرى من العالم. فمثلا كثيرا ما ينظف سكان الصحاري «اطباقيهم» بالرمل بدلا من الماء، وأحيانا يستعملون الرمل في ذلك اجسامهم بدل اغتسلهم بالماء.

وعرفوا ايضا كل ضروب الحيل للمحافظة على رطوبة الجسم، اي المحافظة على الماء الذي هو جزء مهم من كل خلية من جسم الانسان. وفي مركز تجارب (يوما). التابع لجيش الولايات المتحدة الامريكية، والموجود في الصحراء الامريكية، وجد اطباء ان الانسان يعرق حوالي ٣.٣ لترات (أو ٣ كوارتات) من الماء اذا سار لمدة ساعتين في حر الصحراء. ويحاول معظم الذين يعيشون في الصحراء ان يسترخوا في الظل في اثناء الجزء الاكبر من كل يوم، لعلمهم يتجنبون فقدان الماء بسرعة.

«يحمي معظم سكان الصحاري اجسامهم ناشفة من اشعة الشمس المباشرة، فتجد الرجال الذين يسوقون الجمال في الصحراء الكبرى. مثلا قد داوموا على تغطية انفسهم بشمالات طويلة وكوفيات. ويطلق افراد قبيلة البوشمن في صحاري

نباتات صحراوية





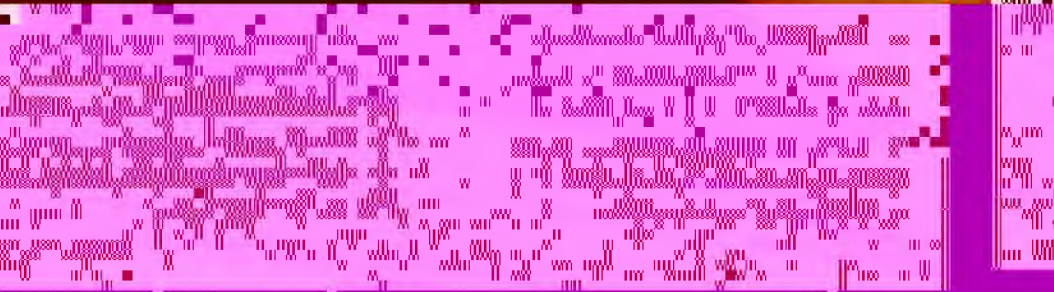
انواع من رزاعيد الصحراء

كالا هاري أنفسهم بالزيت ويدعوونه يمتزج بالتراب فينتج عن ذلك غطاء بحبيبه

ولئن كان هذا السلوك من انسان الصحراء في المحافظة على الماء والاقتصاد في استعماله يعتبر من قبيل (الحكمة) الفطرية اذا جاز التعبير. فانه يمارس انماط اخرى من الحياة يعتبر كرد فعل انساني لتسوية الصحاري وجفافها. وفي نفس الوقت فقد

وهيم الله تعالى جوانب تعويضية اخرى جعلت الحياة محتملة وقابلة للاستمرار .. من ذلك:

• اقامة بدو الصحراء في خيام من جلد الحيوان .. يسهل حملها عند ارتحالهم وراء منابع الماء الكلاء. ثم هي تعتبر عازلة عن حرارة الشمس وبرد الشتاء.



(أ) المشجاعة والاقدام والكرم والاعتداد بالنفس ووفاء العهد .. الخ تلك الصفات الاخلاقية والحيسانية التي كان يتمتع بها سكان البادية في الجزيرة العربية وما تشهد عليه كتب التاريخ ومراجع الادب والشعر.

(ب) مرجع ذلك الى ما سبق ان اشرنا اليه، من ان حضارة مهد الانسان في الجزيرة العربية والشام ومصر وشمال افريقيا وغيرها من البقاع كانت موجودة في المناطق التي اصبحت الآن صحراوية قاحلة. وذلك يفسر ان انسان الصحاري المعاصرة انما هو وريث حقيقي لأغلب حضارات الانسان القديمة.

صحراء الدهناء



مشغولا بما ينقل كاهل أي رب اسرة يدعها في صحراء لا ماء فيها ولا نبات .. فيجعل من دعائه اقراں النعمة وسهولة العيش بحمد الله وعبادته.

ولعل أكثر أدلة التاريخ تأييدا لهذا الرأي .. ان اورويا .. وهي القارة الوحيدة التي تكاد تخلو من الصحاري - لم تشهد قيام أية حضارات تذكر، باستثناء الحضارة الاغريقية (مصدر



ومن نعم الله على الصحاري ايضا ان اثبت التحاليل الحديثة ان تربتها خصبة جداً وأنه يتوفر المياه والسياد اللازم يمكن تحويل المناطق القاحلة الى اراض خصبة.

صحراء الغد

شهدت البشرية، في الثلاثين سنة الماضية، وبالتحديد منذ وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها اهتماما علميا يضع نصب عينيه مشاكل الانسان ويجاد الطرق الكفيلة بحلها. وتتصدر قائمة هذه المشاكل (مشكلة الغذاء) وما يتفرع عنها من اهتمام بالارض والزراعة والري والصرف والميكنة والتدريب .. الخ. وفي هذا المجال، تتردد كثير من الاصطلاحات: منها الاصلاح الزراعي، واستصلاح الاراضي وتعمير الصحاري. ذلك ان العلم لا يستطيع - في مواجهة الزيادة الفلكية في سكان العالم - الا ان يمد بصره صوب الصحاري .. تلك المساحات الشاسعة .. يغترف حفنات من رمالها، فيدخلها مختراته، ويجري عليها تجلياته، هادفاً الى ايجاد انسب السبل وراء اللون الاصفر عنها وكسوتها باللون الاخضر، ومن ثم تكون

«ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم. ربنا ليقيموا الصلاة، فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون».

كذلك، فان كانت الحضرة ببساتينها وزراعتها وأوديتها الجارية ومناخها المعتدل وحياتها الرغدة الناعمة، تبدو وكأنها مناطق جذب لسكان الصحاري بما يمارسون من قسوة الحياة وخشونتها .. فان النعم التي حيا بها الله الصحاري قد قلبت الآية كما يقولون وجعلتها في العصر الحاضر هي مناطق الجذب الفعلية لبني الحضرة .. بل ولذوي العقول والافكار والبحث والعلم منهم. اذ أصبحت الصحاري بعد الاكتشافات العلمية الحديثة - هي كثر البشرية الذي لا ينتضب من الثروات المعدنية الهائلة.

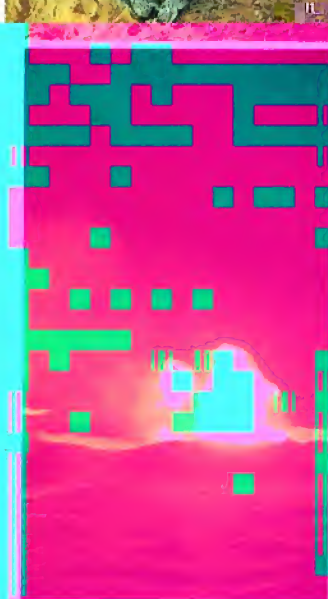
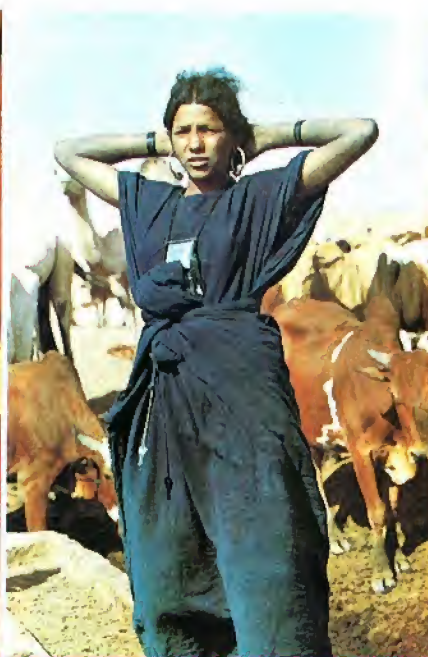
ذلك ان نسبة كبيرة من احتياجات العالم من النفط والغاز الطبيعي تكن في المملكة العربية السعودية والجزائر وليبيا والكويت والخليج ومصر والعراق وايران.

اما الذهب والماس في جنوب افريقيا، والفوسفات في الصحاري الاسبانية، والثرات في شيلي والحديد الخام باستراليا .. الخ وكلها كامنة في مناطق صحراوية!



مظاهر الحياة ... والطبيعة
الصحراوية. والشجرية في
الصحراء غنية بالتنوع ..
والحيوية .. وهي من الامور
التي تجعل انسان الصحراء
سعيدا في حياته.







(أ) التوسع الرأسى: ويشمل زيادة غلة الأرض الزراعية عن طريق، استنباط تقاوى عالية الانتاج ومكافحة الآفات، وتطبيق الدورة الزراعية.

(ب) التوسع الأفقى: ويشمل مشاريع الري وللصريف، وتوفير المياه العذبة، وزيادة الرقعة الزراعية بإصلاح الاراضي وتعمير الصحاري.

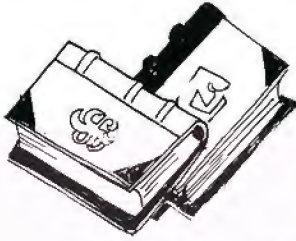
من خلال هذا يتطلع الجنس البشري بعلومه .. وبحوثه الجادة الى حل اكبر مشكلة يعانيها .. وهي (مشكلة الغذاء) امام التزايد المخيف في عدد سكان الأرض .. وهو في تطلعه يرى في الصحراء ابرز الحلول العلمية للمشكلة .. ومن خلال هذا الحل يرى صحراء الغد شبتا غير ما هي عليه اليوم.

مناطق جذب لاقامة الانسان وتعمير الأرض .. ناهيك عما تدره من محاصيل زراعية هائلة تسهم - الى جانب الابحاث الجارية في اعماق المحيطات والبحار في مجال الثروة السمكية - في حل مشكلة غذاء الانسان.

وهكذا انشئت بيئة الامم المتحدة، منظمة الاغذية والزراعة، وانشأت معظم الدول وزارات للزراعة واخرى للإصلاح الزراعي وتعمير الصحاري .. ودخلت هذه المنظمات والوزارات والهيئات هناك جهات معنية بالصحاري .. قائمة عليها .. دراسة وتحليلا وتجربة وهدفا.

ومن ثم كانت رؤية عماء الزراعة والجيولوجيا متحدة لمشكلة غذاء الانسان في إطارين:

تجاربهم



الجاحظ .. يكتب على سرير المرض

قلّة هم الذين يعرفون أن الجاحظ ألف كتابيه «البيان والتبيين» و «الحيوان» بعد أن تقدمت به السن .. وبلغ طور الشيخوخة .. وندرة الذين يعرفون أنه ألف هذين الكتابين وهو طريح الفراش .. وقد وصف حالته قائلا: «أنا من جانبي الأيسر



أنا من جانبي الأيسر



السباحة .. في حياة الكتاب

يبدو ان الانتعاش نتيجة السباحة أو الإستحمام من العوامل المهمة للإنتاج الفني والأدبي. يقول (تور جنيف) في مذكراته «كنت استحم في البحر وأنا في جزيرة (وايت) عام ١٨٦٠م عندما خطرت لي فكرة رواية (الآباء والبنون)» وجادت قريحة (ألفريد تنيسون) بأجمل قصائده الشعرية وهو يسبح في أحد الأنهار. وكتبت (فرجينيا ولف) في صيغة من مذكراتها تقول: «في هذه اللحظة وأنا استحم عطرت في فكرة كتاب جديد وكانت ثمرة هذه الفكرة رواية العرق الخاصة».



الأديب .. والمبتكرات الحديثة

جول فرن الكاتب الفرنسي الذي أطلقت الحكمة الأمريكية اسم (توبيلوس) على أول غواصة ذرية صنعها، وهذا الاسم نفسه من الذي أطلقه جول فرن على غواصة تخليها ووضع عليها كتاباً شعلة وحيداً ليقا لها في وقت لم تكن فيه الغواصة العادية قد خرجت الى الوجود.

ظل جول فرن ٤٢ سنة يواصل التأليف، وقد أنتج خلال هذه المدة ٩٠٤ من المؤلفات وكانت طريقته في الكتابة مستكرة مثل تفكيره، فهو يتم تأليف الكتاب بالقلم الرصاص ثم يعيد النظر فيه مراجعاً مصححاً بالجرم ما أرواه فوق الكتابة بالرصاص، وكان يكتب وأمانه خريطة كبيرة الحجم تحمل السلم كله، وكان يضع فوقها علامات تشير الى الأماكن التي سافر اليها ووصفها بالخيال (طبعاً).

وقد قال جول فرن: «إننا لا اعتقد ان في العالم كله بقعة من الأرض لا يمكن للإنسان ان يكتشفها ويستغلها» وجول فرن هذا .. كان قد تحيل في كتاباته جميع المخترعات المعروفة اليوم وفي مقدمتها الطائرة والغواصة والمدفع الذري - والسبنا الصاعدة - والناطقة والتلفزيون .. والاندالغ التي توجه من بعيد !!!

تجارب



صانده .. وبلازك

المعروف عن الكاتبة الفرنسية (جورج صانده) شكواها الدائمة من الإفلاس .. وخاصة الى ناشر كتبها (بولون) .. وكانت تكتب الى هذا الناشر عبارات رقيقة.

مرة كتبت اليه «ها أنذا مرة أخرى .. ومنقاري مغمور في الماء ولكنه جاف». والمعروف عن هذه الكاتبة انها كانت غزيرة الإنتاج .. وكان (بلازك) وهو أحد الذين عرفوا بغزارة

التأليف يجيب نشاطاً صانده الذي كان يرى أنه متعباً لتأليفه مع قارئ واحد .. وهو أنه .. أي بلازك كان يستقطف في منتصف الليل .. ويأتي الى مرآته في الساعة من مساء اليوم التالي .. يبتأ كأنه صانده تنام في الساعة صباحاً .. وتستقطف عند الظهر.

يقبل نفسه من أجل السمك

كان (فانتيل) طاهي الأمير كوندري القائد الفرنسي المعروف بل واشهر طهاة عصره عام ١٦٧١م قد انهمك في اعداد وليمة رائعة طلبها سيده من اجل دعوة وجهها الى الملك لويس السابع عشر، فقام فانتيل باعداد لائحة الأطعمة بحسب ما يعلم من التأثير في الذوق، ثم انه عين لسمك مكاناً في هذه اللائحة (اللائحة) لكن حدث ان الصيادين لم يحضروه في وقته، ففكر على فانتيل ان يحلوا الوليمة من السمك فينص قدر نوعي الطعام اللذين يسبقان السمك ويعقبانه في الترتيب عند الأكلين. ولما فرغ في حينه ان يخلص من حياته، وأقدم على ذلك

فعلاً !!!

الادباء وعشق الطاعنات



من خلال مطالعة الإنسان لبعض صفحات الأدب العربي يلاحظ كيف كان بعض الشعراء .. والحكماء يعشقون النساء الطاعنات في السن .. ولهم في ذلك شعر .. وقول منثور طريف.

قال أبو الأسود الدؤلي:

أبى القلب إلا (أم عمرو) وجبها عجزوا ومن يعشق عجزوا يفقد
كبر اليماني قد تقدّم عهده ورقعته ما شئت في العين واليد

وقال شاعر آخر:

يقول العدا لا يارك الله في العدا وقد افصر عن (ليلى) ورثت وسائله
ولو أصبحت (ليلى) تدب على العصا لكان هوى (ليلى) جديداً أوائله

وتحدث حكيم من العرب عن مزايا المرأة الطاعنة في السن فقال:
«أما اتقع باليسير .. وأصبر على تقلب الدهور .. وأقل مشاغبة ومحاذبة .. تؤثر
التدليل .. وتجنب التدليل .. تصبر على الأقال .. وتؤمن ولادتها زيادة العيال ..
ان اتسع بعلمها صانت ماله .. وان ضاق سترت حاله .. لا تسبق إليها الظنون ..
ولا تنبت معها القرون .. ألوف عروف .. غير عزوف ولا عيوف.»

كيف يبدأون مؤلفاتهم؟

الكاتب الفرنسي «الفونس دوديه» كان إذا أراد أن يؤلف كتاباً، بدأه من نهايته، ثم كتب على هذه بقية الفصول.

أما العقاد فلم يكن يلتزم الترتيب في كتابة فصول كتبه، وكثيراً ما كتب الفصل الرابع قبل الفصل الأول، أو الفصل الثالث قبل الفصل الثاني، والمعول في هذا - عنده - على التصميم الذي يكون قد وضعه في ذهنه .. ويرى العقاد أن هناك نوعاً من الكتب لا يسمح لمؤلفه بعدم التزام الترتيب في كتابته كالبحوث المنطقية مثلاً .. إذ لابد من أن ترتيب النتائج على المقدمات.

والشاعر أحمد شوقي كان يخطر له البيت فيكتبه ثم يرى أن البيت يصلح أن



تجاربهم

البشري .. وحانوت الموتى

يروى الأدب العربي الساخر عبد العزيز البشري أنه كان على طريقته إلى داره في القاهرة «حانوت» (يعني بتجهيز الموتى تمهيدا للدفن) قد نضدت فيه الأكفان .. وخشب الموتى تنضيدا بديعا بحيث لم يعد ينقص هذا الحانوت إلا أن تقام على بابهِ (فترة) تزين بأسباب الموت وحوائجه .. ويغسل على بابهِ كل يوم من الصباح الباكر عزاله من غساليين وحاملين وهم يتوحمون وجه كل غاد ورائح .. لعل القدر يسعدهم بمرزوء في احد بنيهِ .. او في أمهِ .. أو أبيهِ.

ويذكر البشري انه مر بهم صباح يوم .. وعيناه تنضحان بالدمع من أثر رمد فأنلوا اليه أعناقهم .. ورأى البشر شيع في وجوههم .. وسرعان ما تحركوا جذلين وللقائه مواسين .. فصاح فيهم «استرحوا .. لما في والله بكاء .. ولكن الودم .. وكلنا والحمد لله بخير وعافية .. وقطع الله أرزاقكم .. ولا أدخل النعمة عليكم».

يقيمون حفلا من أجل الاسنان

في تونس يجري احتفال بمناسبة ظهور اسنان لدى الطفل .. وعلى الأصح ظهور أول سن له، ويقدم في هذا الاحتفال مجموعة من اصناف الطعام والحلوى .. ولعل ابرز ما يصنعونه بهذه المناسبة (الكركوش) وهو (طبق) مكون من بعض الفواكه اليابسة كالجوز واللوز والكستناء و (ابو فرة) والفستق والملبسات حيث يقدم للضيوف.

اما الطفل الذي يقام له هذا الحفل فيعطى قطعة من (العلك) لتقوية اللثة لتساعده على بروز اسنانه الأخرى بعد ذلك.

القول .. والناس

للقول في شهر رمضان - صيت ذائع لدى بعض الناس .. ذلك انه ربما من وجهة نظرهم على الأقل هو الطعام الساتع في الفطور وفي السحور على السواء .. يتصدر مواعدهم، والبعض يتأنتق في إعدادده ويتفنن في تجويده ليكون طيب المذاق .. وقد كان القول معروفا منذ نحو ألف سنة باسم (الباقلاء) أو (الباقلي).

في كتاب (دمية القصر) للباحثي ببيتان لابي العباس الخوارزمي من شعراء القرن الرابع الهجري يودع فيها رمضان فيقول:

اقول لشهر الصوم لما قصيته عليك سلام الله يوركت راحلا
وقد كنت من (سحبان) افصح هجة قصير طبعي باقلاؤك (باقلا)

«وباقل» هو شخص معروف بالكفاة .. بيتنا «سحبان» مشهور بالفصاحة. والطريف أن هذه اللمة التي يبلقها الشاعر بالقول ما برحت تغييا بين الناس حتى عصرنا هذا .. فالشائع ان القول يكسر حدة الفهم ويطنفي جذور الذكاء.

وروى صاحب كتاب (عيون الأعيان) في القرن الثاني الهجري .. ان رجلا من قدماء الأطباء قال: «إن القول اذا أدمن أضعف البصر، وأحال الأحلام أغماتا» وكذلك ينقل صاحب (العقد الفريد) في القرن الثالث الهجري - أن (القول من الأطعمة الغليظة لأن اليبس في طبيعته).

ويوضح الحكم ابن رشد في القرن السادس الهجري أثر القول في الأذهان بقوله في كتاب (الكليات) - «وزعموا ان خاصته الاضرار بالفكر».



مشكلات النوم !

بتم : رونالد. أ. ليرد

أن نواح معينة من النوم مثل: غياب الحركة الإرادية، وفقدان الوعي، وأحيانا صدور اصوات خشنة نسميها «الشخير».. تتفاوت وضوحا وغموضا. ولا يقتصر الامر على ذلك، اذ تحدث تغيرات في التمثيل الغذائي، وفي معدل النبض، وضغط الدم، ودرجة حرارة الجسم، والوظائف العضلية، .. وفي طبيعة الانعكاسات الجسدية...

هذه التغيرات المصاحبة للنوم .. تم عادة وفق دورة محددة .. وهي بالفعل احدى خصائص مملكة الحيوان التي تشمل الاجناس البشرية التي ننتمي اليها. يجعل القصة ان

في مسرحية مكث لشكسبير، اشارة للنوم، لا تخلو من دلالة .. يقول:

«النوم .. مفرج تراكبات السقم..
منهي حياة اليوم .. ومغتسل المموم..
اول الغداء في وليمة الحياة»

في هذه السطور المرحية تعريف دقيق للنوم. ولقد اجرى كثير من العلماء اجابهم، في هذا المجال وانتهوا الى نتائج غاية في البائين. بيد انهم اتفقوا جميعا حول نقطة واحدة هي: ان النوم هو التجدد الفعلي للعظم للطبيعة.



عددا معيناً من ساعات النشاط يليه عدد معين آخر من ساعات السكون: دورة يومية أي تستغرق اليوم كله .. ومرتبطة بالنور والظلام.

الى جانب ذلك يتأثر النوم، الى حد ما، بفصول السنة - كما سنرى فيما بعد - .. ايضاً يختص النبات بصور مشابهة للنشاط والسكون تحدث - هي الاخرى - في دورات يومية واخرى موسمية.

ومن ثم يعتبر النوم، او الحالة المشابهة له، احدى خصائص الحياة النباتية والحيوانية .. لكننا سنقصر بحثنا في الصفحات التالية على مناقشة مشاكل النوم عند البشر.

كيف نخلد الى النوم ؟

هذا السؤال .. تصدرت عدة نظريات، في بداية هذا القرن، لاجابته.

قالت احداها: ان خلايا الاعصاب تنقلص خلال ساعات اليقظة، الى حد يصعب معه اتصالها ببعضها البعض .. ومن ثم ينام الناس.

وقالت نظرية اخرى: ان نوعاً من السميات (السموم) تراكم خلال ساعات اليقظة .. وبمرور الوقت تؤثر هذه السميات على الجهاز العصبي فتجعله يسترخي.

الا ان النظرية المسماة «انيميا المخ» تعد اكثر التفسيرات قبولاً اذ تقول: ان النوم يحدث نتيجة لثناقص الدم الوارد الى المخ.

ولقد اتضح، بعد توفر الحقائق العلمية، عدم ثبات اي واحدة من هذه النظريات .. فالعروف الآن، مثلاً، ان الدم المتدفق الى المخ يتزايد فعلاً اثناء النوم .. وهو عكس ما توصلت اليه نظرية «انيميا المخ».

كذلك اصبح في حكم المؤكد ان دورة النوم -اليقظة- النوم .. بالنسبة للانسان والحيوانات الراقية الاخرى .. ترتبط بشبكات عصبية خاصة في الجزء الاسفل من المخ. وفي عشرينات هذا القرن اكتشف البارون قسطنطين فرون ايكوبومو، الاستاذ بجامعة فيينا .. ان المراكز المنظمة لدورة النوم موجودة في منطقة بالمخ تسمى الهايبوثلاموسي..

اما في وسط الاربعينيات، فقد قرر الفسيولوجي الهولندي و.ج. هاتافه الاستاذ بجامعة اوترخت .. ان مركز دفع الدم له

تأثيره على مركز اليقظة اما منشط او مثبط..

واكتشف ه.و. هاجون، الاستاذ بجامعة كاليفورنيا، في اواخر الخمسينيات، ان جزءاً من الشبكة العصبية ينظم عملية التحول من النوم الى اليقظة .. وأوضح ان الخلايا العصبية في المخ تنشط (على امتداد الحبل الشوكي) حاملة نبضها الى اعلى في اتجاه المخ كي تلعب دوراً اساسياً في اثارة مركز النشاط المناسب في المخ .. وتوصف هذه الشبكة الصاعدة بأنها «جهاز منشط».

ان مركزي التحكم في الجهازين الهايبوثلاموسي والمنشط في المخ يتضافران .. فينتج عنهما تآرجحاً يومي بين النوم واليقظة. اما الشبكات المتخصصة فتكون مسئولة عن التغيرات الجسدية، التي يمكن ملاحظتها والتي تحدث في دورة النوم.

وبين مرورنا من اليقظة الى النوم. ومن النوم الى اليقظة، تحدث تغيرات معينة في موجات المخ .. هي تلك الشحنات المتوفرة دائماً، للطاقة الكهربائية، الناتجة من الطبقة الداخلية للمخ او المادة الرمادية به .. ذلك ان التيار الكهربائي والعمليات المتعاقبة لموجات المخ، تتغير الى حد كبير عندما نروح في النوم. وهي تختلف حسب مدى عمق النوم.



المراحل التمهيدية للنوم

ان النوم لا يطبق على الناس فجأة .. تلك حقيقة لا مراد فيها .. بدلاً من ذلك .. فهم يمرون بحالات «انتقالية» معينة بين اليقظة الكاملة والنوم العميق.

هذه المراحل الانتقالية هي التي يستطيع الانسان ملاحظتها على نفسه.

وتتميز المرحلة التمهيدية هذه: بالنعاس والتأنيب والتحدد بالجسم، ثم صعوبة التركيز خصوصاً في الاعمال الذهنية. الا ان



الناتج عن عرض تليفزيوني مثير شوهد في وقت متأخر، أو مباراة حامية الوطيس في الشطرنج، أو مناقشة تنسم بدرجة من الحيوية مع اصدقاء نكن لهم المودة، كما ان بعض العقاقير مثل مادة الكافيين الموجودة في القهوة أو المشروبات المرطبة التي تحتوي على مادة الكولا .. كلها مواد كفيّلة بآثاره النشاط.

مرحلة النعاس

نظرا لان النعاس المبدئي يكون أكثر عمقا، فاننا ندخل مرحلة النعاس الى النوم الخفيف وإذا فسرنا المسألة في ارقام جافة نقول اننا نكون ثلثي نائمين وثلثا واحدا متيقظين. فنحن الان غير قادرين على توجيه تفكيرنا بشكل واع، ونشعر بآراء معينة بشكل غامض، كما نرى بعض الاحلام المشوشة.

واحيانا تبدو طاقات الاحلام في المرحلة النعاسية كما لو كانت حقيقية لدرجة اننا نخطئ نقيّمها وكأنها حقائق فعلية. وهذا يؤدي الى **الهلوسة**. فيكون الشخص متأكدا انه يرى اشياء غير موجودة في عالم الواقع. مثال ذلك ان سائق السيارة اذا كان ناعسا يبتلع فجأة ويحاول ان يلف بها متقادبا عقبة كأنما يراها امامه .. لكنها في الواقع ليست موجودة .. وقد تكون بعض الاحلام واشباح الماضي (والحاضر ايضا) راجعة الى هلوسة مرحلة النعاس. وفي مرحلة الاحلام هذه يكون الشخص - في طريقه الى النوم - على احساس غامض بأنه يحلم. وتعتقد بعض الجهات ان اكثر الاحلام التي تعلق بذكرياتنا تحدث خلال مرحلة النعاس هذه.

وقد تمثل هذه الاحلام طاقة عقبرية خلاقة عند الانسان. ويقول الموسيقار اليطالي جوسيپ تارتيني الذي عاش في القرن الثامن عشر الميلادي، ان سوناتا الكمان التي اسمها «**رجفة الغريت**» قد بناها على ترانيم سمعها في احد الاحلام.

النعاس لا يغمر كل اجزاء الجسم في وقت واحد .. لكنه يؤثر في مختلف الاجزاء وبالتدريج .. في البداية تصبح العضلات «ناائمة»، ثم تتشوش حاسني السمع والبصر .. اما الجلد فيبدو وكأنه آخر ما يتأثر بمراحل النوم.

واول العضلات التي ينسرب اليها النعاس هي عضلات القدمين. ولذلك يقال ان الناس ينامون من اقدامهم أولا. ثم يمتد استرخاء العضلات الى اعلى كي يؤثر بدوره في عضلات «اليدن»^(١) ثم الذراعين، فالرقبة واخيرا الفك والوجه. وهذا التتابع يفسر لماذا نحس، ونحن في السرير بأن ذراعينا قد اصبحتا ناعستين تماما لدرجة ان احدهما لا تستطيع ان تبطش بجشرة مزعجة، رغم ان الرأس يتحرك من جانب الى آخر ليبرح عنه تلك الحشرة.

وعندما نستيقظ يحدث العكس .. فنحن نصحو من رؤسنا أولا، ونستطيع ان نلثقت برؤسنا باحثين عن المنبه لاسكات رنينه .. وبسرعة .. وبعد ان نكون قادرين على تحريك الذراعين، تصحو القدمين لكننا اذا انطلقنا من السرير مسرعين، قبل ان تصحو القدمين بقدر كاف، فان قدمينا قد تشابكنا اذا نحاول المسير.

ان ارتخاء العضلات يلعب دورا هاما في بدء النوم. وعندما يبدو الاطفال، وهم لا يبريدون النوم نشطين جدا .. رغم اقتراب موعد نومهم .. فانهم يبدون وكأنهم يناضلون للثلا يستسلموا لارتخاء الاعصاب هذا.

ان سائقي الشاحنات المسافرين لمسافات طويلة .. والطيارين، وحراس الميدان، بنه عليهم - اذا شعروا باقتراب النعاس - ان يشدوا على ارجلهم وعضلات ايديهم بطريقة معينة .. لان التوتر الناتج عن ربط العضلات بقلل من احتمال استسلامهم للنوم اثناء العمل.

وإذا كان التوتر العضلي يؤدي الى تأخر بدء النوم، فان الارتخاء الواعي للعضلات يجب ان يؤدي الى بدء النوم. لذلك يجب التأكيد على عضلات الرقبة والفكين والوجه التي تعتبر آخر العضلات ارتخاء في الجرى الطبيعي للامور.

وهناك عوامل اخرى تساعد على حضور النوم، **كاحلام غرفة النوم**، والسكون الى حد مناسب .. اما اعصاب الجلد، فظنرا لانها تعتبر اخر ما يمتد اليه النعاس. فن الواجب تجنب اثارها .. كما يجب ان يكون السرير خاليا من التثاوت وان تكون الوسائد مرتجة والاغطية غير مكروشة.

على ان هناك عوامل معينة تؤدي الى تأخر النوم، منها التبيج

ان مرحلة النعاس لا تستغرق، مع معظم الناس غير دقائق قليلة قبل الغوص في درجة اعظم من النوم والتي نكون خلالها نائمين «ككتلة الخشب».

على اننا في هذه المرحلة - نكون غير واعين بالاحلام حتى ولو حلمنا بها.

النوم العميق

امكن قياس درجة عمق النوم، التالي لمرحلة النعاس وذلك بكمية الضوء اللازمة لايقاظ النائم. واتضح اننا بحاجة الى اعلى ضجة ممكنة لايقاظ اولئك الذين لم يتجاوزوا الساعة نياما. وغنجانا كذلك لضجة كبرى لايقاظ شخص بعد نصف ساعة فقط من نومه.

هذا يفسر اننا نغط في النوم العميق بسرعة متى تجاوزنا مرحلة النعاس. وبعد ساعتين من هذا النوم العميق، تكفينا ضجة بسيطة لايقاظنا.

وحتى في النوم العميق تصدر عن الجسم حركات عشوائية. ورغم ان الكثيرين يتصورون انهم لا يتحركون اثناء النوم فقد اثبتت التجارب ان جميع النائمين يغيرون اوضاعهم عدة مرات اثناء الليل. وقد يكون التحرك شاملا، كالقلب من جنب الى اخر بدون مقظة، وقد يكون محدد تحرك ذراع او ساق.

ومعروف ان كل هذه حركات او متغيرات، حتى جسم وحده نصف لاجز من فترة انه تكون ثابت بعدد معينة من ايام حتى مضطربة حركة جسم. ولقد ممكن لمسح هذه حركات بواسطة جهاز بسيط يوضع على كرش الشخص ويحرك به لاستجابة جسمه عند غلي شديد وفي متحرك. ويكتب بعض العلماء هذه المتغيرات، ويذهب عند متحرك ويكتب ردودت الحركة بشدة كل تحركات يذهب. وهكذا ثبت حدوث تغيرات بسيطة في وضع جسم خلال ساعة واستغرق لاويين من نوم عميق وبعد هذه الفترة يرتفع عدد الحركات كل ساعة تعاد. ثبت ويسمى جهاز حركات النوم المتصاعدة ويبدو ان هذه اختلافات موسمية في عمق نوم كما يتضح من تحركات جسم انه نوم. ولقد تضح ان في عدد من حركات تحدث في فصل ربيع بين يكون كثر في فصل الخريف هذا. وم يعرف ان سبب هذه الاختلافات موسمية

كذلك لوحظت حركات تشنجية معينة للعينين اثناء النوم. وامكن تسجيلها طوال الليل، وتحدث هذه الحركات في بداية الامر بعد بداية النوم بحوالي ساعتين ثم تتكرر على فترات تتزايد او تناقص حسب الظروف .. وتكون في احيان كثيرة مصحوبة بالاحلام.

وتبلغ نسبة الذين ينامون ساكنين بمعدل نائم واحد من كل ثمانية يغطون اثناء نومهم. وينتج الشخير عن تورث الانسجة الرقيقة بالقسم والتجويفات الانفية (خصوصا انسجة اعلى باطن الفم) وعموما فالشخص يغط اثناء النوم عندما يكون فمه مفتوحا وراقدا على ظهره لكنه لا يكون دائما على هذه الحال. كذلك تؤدي استجابة الجسم لبعض العقاقير الى ظهور الشخير بصورة موسمية. اما العقاقير ذات الرائحة النفاذة، فتؤدي الى ظهور تورمات في باطن الانف والحنك.

التغيرات الجسدية الداخلية اثناء النوم

ان كثيرا من الانشطة الفسيولوجية للجسم تحدث عندما يكون المرء مستلقيا .. بعض هذه التغيرات تتعلق بالاسترخاء العضلي والخرى تم لان اندفاع الدم لا يتأثر كثيرا بقوة الجاذبية اذ يكون الجسم في وضع افقي.

كذلك ينخفض التمثيل الغذائي الاجالي للجسم .. كما يتضح من دراسة تغيرات الحرارة في الجسم. ولقد ثبت ان معدل انخفاض حرارة الجسم في النوم هو ١٠ درجات مئوية.

ومن المعروف ان انخفاض حرارة الجسم في النوم هو نتيجة لانخفاض معدل التمثيل الغذائي. كما يلاحظ ان معدل انخفاض حرارة الجسم في النوم هو ١٠ درجات مئوية. ولقد تضح ان حدوث صوصاء في غرفة النوم يؤدي الى سرعة ذقات القلب فوقية كذلك فهي ترتفع عندما ينام الشخص. ومعدلاته ينخفض ليعتدل مع معدل انخفاض حرارة الجسم. ولقد ثبت ان معدل انخفاض حرارة الجسم في النوم هو ١٠ درجات مئوية.



ما يصل الى مستواه اثناء التيقظ .. ولكن قاعدة استثناء .. فقد تؤدي الاحلام المرتبطة بنشاط عضلي الى زيادة ضغط الدم الى مستوى اعلى من مستواه في اليقظة.

اما اليقظة المفاجئة نتيجة رنين المنبهات فقد وجد انها تؤدي الى ارتفاع مفاجي في ضغط الدم. وإذا اضطرب متوسط العمر والمسنون الى القفز من أسرهم بغتة فان الزيادة المفاجئة في



ضغط الدم الناتجة عن ذلك قد تؤثر على القلب.

ايضا تغير توزيع الدم في الجسم الى احد كبر اثناء النوم. ذلك ان الاوعية الدموية المتاخمة لسطح الجسم تتمدد بنسبة ضئيلة كي تسمح بوصول كمية كبيرة من الدم الى الجلد. وهذا يؤدي الى احمرار مفاجي في البشرة .. يمكن ملاحظته حتى اذا غلد احدهم الى النوم وهو جالس على كرسي. وفي نفس الوقت الذي يزايد فيه تدفق الدم قرب سطح الجسم فانه ينخفض في جميع الاعضاء الداخلية.

وحيث ان كمية كبيرة من الدم تتحول الى اسطح الجسم اثناء النوم فاننا نصبح اكثر حساسية للبرد وما لم نحكم تغطية اجسامنا حجبنا لادى ذلك الى فقدان كبير لحرارة الجسم. وهذا هو السبب الذي من اجله نحتاج الى اغطية مدفئة للجسم اثناء نومنا اكثر منه اثناء يقظتنا. وفي المناطق التي يكون الشتاء فيها قارس البرودة. تكون هناك رغبة في وضع ملاء تحت الغطاء الاسفل. الحكة منها تقلل فقد الحرارة في الجزء الداخلي من السرير.

كذلك تنخفض درجة الحرارة الداخلية للجسم لدرجة طفيفة اثناء النوم .. كما تحدث تغيرات في عمالية التنفس. فالنائم لا يتنفسون بعنق كما يفعلون وهم يقظون .. ويستعمل هذا كدليل لتحديد ما اذا كان الشخص نائما فعلا او متظاهر بذلك.

اما العرق .. فيزداد بدرجة كبيرة اثناء النوم. ربما بسبب تزايد اندفاع الدم قرب سطح الجسم. وقد ترتفع هذه الزيادة في العرق. فتصل الى المستوى الذي يعرف فيه الانسان اذا ادى تمرينا مضنيا ولذلك يلاحظ ان غرفة النوم تنتشر بها الرائحة غير طيبة ما لم تبوى اثناء النهار. ولذلك تحرص سيدات المنازل

الماهرات على تهوية اغطية السرير وغرفة النوم ذاتها بشكل كامل اثناء الصباح، للتخلص من هذه الرائحة. وقد يكون الحمام الساخن قبل النوم شيئا طيبا، لانه يهيئ الفرد للفترة التهيدية -المنسوسة- اما من ناحية مكافحة القمل -الافيتيل- ان يؤخذ الحمام بعد اليقظة.

كل هذه التغيرات الواسعة في العمليات الجسمية .. قد تكون متضاربة مع المراكز العصبية في منطقة الهايبوثالاموسي بالمخ. ان المدى الذي تحدث عنده الوظائف العصبية اثناء النوم تنصح في التغيرات العميقة في الافعال المنعكسة (الارادية) مثل: رجفة عظمة الركبة او ارتعاش الركبة وذلك انه عندما يكون الشخص الطبيعي منيقظا فان قدمه ترتجف الى امام اذا تقرنا رضفة ركبته تقرا حقيقيا .. وهو ما لا يحدث اثناء النوم. والواقع ان معظم الانعكاسات الجسدية يصعب الاحساس بها اثناء النوم. ويبدو انها تختفي تماما، بعكس الانعكاسات التي تنظم توزيع الدم. حيث يزداد نشاطها عن المعتاد.

الوظائف المنشطة للنوم

يقول الفرد احيانا، انه سينام لكي «يشحن بطارياته» او «لتجديد طاقة نشاطه» ويبدو ان النوم عامل مجدد فعلا، الا ان الباحثين لم يستطيعوا تبين العمليات التي تتم خلاله. ذلك ان شحن البطاريات «وتجديد طاقة نشاطه» ما هما الا تعبيرين لغويين يعبران عن الحالة الراهنة لمعرفتنا. فنحن نعرف، فعلا ان معظم الناس يستيقظون - بعد ان يقضوا ليلة كاملة من نوم عميق شاعرين بالانتعاش والنشاط - كما نعرف انه اذا جاء النوم احدهم فانه يجس بانار معينة غير محمودة في اليوم التالي. واذ فقدنا فترة مناسبة من النوم فلا نلاحظ اي تأثيرات لها دلالتها على بعض الوظائف الفسيولوجية كالثقل العذائي مثلا. كذلك ينتج عن السهر رد فعل عاظمي. فيبدو الناس اكثر توترا وربما ضحكوا او بكوا بدون سبب واضح ان هم امنوا في السهر. فاذا جفاهم النوم كثيرا بدأ شعورهم بالخلوسة فيحبسون وكأنيهم



«يرون اشياء» و«يسمعون اخرى».

وتعتمد فترة النوم اللازمة على حالة كل فرد على حدة. ويقدر معدل الفترة اللازمة كالآتي:

١٨-٢٠ ساعة يوميا.

الاطفال الرضع

الاطفال عند دخول المدرسة ١٢-١٤ ساعة يوميا.

٧-٩ ساعة يوميا.

البالغين

لذلك ينبغي علينا ان نال قسطا وافرا من النوم كي نستيقظ في الصباح دون الحاجة الى من يتف بنا. وان نصحوا من نومنا وكلنا احساس بال نشاط، وفي حالة تمكنا من اداء العمليات الذهنية المعقدة.

ولقد درجت الصحف على نشر اخبار اناس يدعون انهم استطاعوا قضاء عدة اعوام بدون نوم وعند بحث هذه الحالات اتضح ان هذه الادعاءات لا تقوم على اساس. اذ ان الذي يدعي انه يستطيع الاستمرار بدون نوم ينسى او يتجاهل الاشارة الى الغفوات العديدة التي مارسها، ربما وهو جالس، اثناء النهار.

الأرق

يبدو ان علاج الأرق سهل وسريع. ولقد اتضح من احدى التجارب ان اولئك الذين فقدوا النوم لمدة ١٦ ساعة لانهم سهروا ليلتين متتاليتين، قد جاءهم النوم فور تهيئهم له في الليلة الثالثة. فقاموا نشتطين بعد نوم احدى عشر ساعة.

ويتبادر الى الذهن تلك التجربة التي مارسها الطيار الامريكي المشهور تشارلز أ. ليندبرج بعد طيرانه الضروري من نيويورك الى باريس في عام ١٩٢٧ م. وعندما هبط في باريس بعد ثلاثة ايام وليال قضاه بدون نوم - كانت كل حاجته من النوم عشر ساعات فقط «لتعويض ما فقدته».

حالات عديدة تشبه النوم

يختلف البيات الشتوي لبعض الحيوانات عن دورة نومها اليومية ففيه يستشق الحيوان انفاسا بطيئة وضحلة مدة من الوقت، يصبح التنفس بعدها اسرع واعمق، ثم يعود - اخيرا - بطيئا وضحلا.

والحيوان لا يختزن الطاقة اثناء بياته الشتوي .. بل يستهلك الدهون المراكمة في جسمه، فتنحول الى كربوهيدرات ثم تحترق لتساعد على اداء العمليات الحيوية التي تم بمعدل منخفض.

اما الاشخاص الذين يخضعون للتنويم المغناطيسي، فيبدون وكأنهم نيام دون ان تكون هذه حالتهم. ذلك ان ارتعاش الركبة والانعكاسات التي تختفي اثناء النوم الحقيقي لاتزال واضحة في التنويم المغناطيسي كذلك تغيب معظم التغيرات الداخلية الاخرى التي تحدث اثناء النوم الطبيعي.

ايضا الشوكة الروحانية .. فهي اكثر قربا من التنويم المغناطيسي عنها الى النوم الحقيقي. بل ان بعض الجهات تفسر هذه الشوكة على انها نوع من التنويم المغناطيسي الذاتي.

اما الطرع .. فيحدث فيه نوع من فقدان الوعي .. بالضبط كما يحدث في النوم وهي حالات غير شائعة، لكن حالات الصرع الشديدة تتميز بالتوتر العصبي والتقلصات التي تحدث والضحية فاقدا وعيه.



الخدار وحالات النوم

يعتبر الخدار (مرض النوم) وثيق الصلة بالنوم لان المصاب

به يستغرق في النوم بعد فترة النعاس مباشرة .. فهو قد يستغرق فجأة في حالة تشبه النوم أثناء لعب الورق او انتظار الاوتوبيس او العمل يئد ، وقد يحدث ذلك حتى ان يغير وضع جسمه على الفراش وهو متيقظ لا يزال.

وقد يستمر هذا النوم لفترة تراوح بين عدة ثوان وعشرين دقيقة وقد لا يحس الشخص عند يقظته انه كان نائما كما يبدو عاجزا عن تذكر الاحلام.

ولقد اكتشف اطباء الجيوش ان بعض الخراس الذين يقدمون للمحاكمة بتهمة النوم اثناء الدوام كانوا فعلا ضحايا هذا المرض. كما تخمل ان يكون من ضحاياه نابليون بونابرت الذي كان ينام وهو يمتطي صهوة حصانه كما ان بعض حوادث السيارات القاتلة تعزي الى هذا المرض ايضا. وهناك شك انه ينتج عن اضطراب في المركز الهايبوثلاموسي بالمخ.

ان كثيرا من العقاقير والمخدرات التي تستعمل لفقد الوعي لا تسبب نوما حقيقيا ، رغم ان الشخص قد ينام قبل عودته لوعيه. وتطبق نفس القاعدة على المسكنات المتوسطة وخوب النوم التي تتناول لعلاج الارق. بيد ان هذه المركبات تؤدي الى آثار التوسيم الغمطيسي الخفيف. وبعضها يؤدي الى ارتقاء العضلات الارادية.

الكلام اثناء النوم

تعتبر بعض اضطرابات النوم .. كالكلام اثناء النوم .. مرضا شائعا. ولقد انضج ان ٤٠% من طلاب الجامعة تقريبا يتكلمون اثناء نومهم. وهم طبعلا لا يدركون انهم فعلوا ذلك. ويعتبر الكلام اثناء النوم دليلا على النوم المضطرب ونشاط الاحلام. اما المشي اثناء النوم فليس شائعا كالكلام اثناءه. وهو ما يحدث عادة نتيجة اضطرابات عاطفية. وقد يكون راجعا الى انقسام جزئي للشخصية اثناء النوم.

اما الفرع الليلي، فهو عبارة عن هجمات للقلق تصاحب الاحلام المزعجة. والمصاب بها يتقلب عادة في السرير ثم يبكي وينوح دون ان يصحو. ويكثر هذا الاضطراب بين الاطفال اكثر منه بين البالغين.

كذلك تؤدي التشنجات العضلية الى اضطراب النوم (وهي بالتأكيد قد تحدث اثناء البقطة) وقد تكون بعض هذه التشنجات مؤلمة. ومن حسن الحظ انها لا تستمر اكثر من بضع

دقائق. وهي تحدث عادة بعد اجهاد كبير للعضلات المتأثرة بها. وقد يوجه اللوم للمدخنين احيانا لان التدخين يؤدي الى تقلص الاوعية الدموية في الذراعين والساقين. ويبدو ان احسن علاج لها هو تمد العضلات المصابة مع ربط العضلات المقابلة جيدا. اما في حالة تشنج عضلات القدم فان المشي عدة خطوات في الغرفة قد يساعد على ارتخاء العضلات المتشنجة. ويعتبر القلق واحدا من اهم الاشياء التي يسأل فيها المرضى اطباءهم فقد يكون مؤقتا ويرجع الى اضطرابات عاطفية. وعلى سبيل المثال فقد لا يستطيع الطالب ان ينام في الليلة السابقة على اختبار المادة التي يخطاها. كما ان بعض الامراض الجسدية تكون مصحوبة بالارق. ويبدو ان اهم الاسباب جميعا هو نظرة الانسان بعصبية وقلق الى الحياة ولى نفسه.

وعلى ان الشكل القلبي لهذه الحالة (ضحية الارق) يكون متوترا جدا عاطفيا لدرجة انه لا يستطيع الاسترخاء للنوم. وعموما يمكن معاملته بالعلاج الفسيولوجي كما ان بعض الشخصيات المعروفة تتعرض ايضا للاصابة بالارق.

مرض النوم

ويعتبر مرضا شديدا الزمان وتستمر الاصابة به مدة طويلة ، وغالبا ما تؤدي الى الموت.

ولقد سبقت دراسة هذا المرض علميا في الكونغو الافريقية. حيث كان منتشرا في بداية هذا القرن. ويصاب مرضاه عادة بحالة من السبات، يتبعها نوم متقطع ثم الوفاة. ولقد استطاع عالم البكتيريا البريطاني، سير دافيد بروس، بمساعدة زوجته، الجزم بأن سبب هذا المرض هو كائنات طفيلية ميكروسكوبية تدخل الى الدم، ثم الى النخاع الشوكي بواسطة ذبابة تسي تسي. ولقد ادى العلاج المنظم الى امكان مواجهة الاصابة بهذا المرض.

وتحدث مرض النوم هذا بعد الاصابة بفيروس كفتيروس الانفلونزا والحصبية. كما ان هناك احتمالا، لكنه بعيد، ان تؤدي الاصابة بالانفلونزا والحصبية الى الاصابة بمرض النوم بعدها. على اي حال .. فان اطباء الحذقين يفتشون دائما عن بعض الاعراض المشبوه فيها، والتي قد تكون اعراض الاصابة بهذا المرض من بينها.

ترجمة: محمد شكري استود



تقهر رمضان الذي انزل فيه القرآن

أجله ، هو
بشر القرآن ، والقرآن
كلام الله تعالى ، والمحنة
التي صلبها سيد البشر محمد
ابن عبد الله ، هادئاً وبشراً
وتنزيلاً ورمحاً
للعالمين



الأمة الإسلامية على امتداد خريطة
العالم وبقاعه، تعيش في انتظار رمضان
شهوراً عدة حتى يدور الزمن دورته، ويحييها
من جديد، وحسبها في ذلك أنه شهر
الصوم، شهر الفضائل والنعيم، والحسنة بعشر
أمتثالها، والصوم لله الواحد القهار، وهو
يجزي به، فنعيم الجزاء.

ومع جو السكينة والروحانية تغشى
المسلمين على امتداد أيام رمضان ولياليه نجي
ليلة هي خير من ألف شهر.. ليلة القدر..
ومجد المجدون، ويسهر المصلون، وتحلو التوبة
والرجوع إلى الله، والاستغفار والتوسل إليه
تعالى طمعاً في الرضا.. والفوز بالجنة..

وتبلغ السعادة أقصى درجاتها، بعد
الصوم لرؤية الهلال، وبعد انتهاء رمضان
لرؤية هلال شوال، وفرحاً بالغنم، والدخول
المستجد في طاعة الله بالامتنال لأوامره.

وهو شهر القرآن، والقرآن كلام الله تعالى والمعجزة التي حملها سيد البشر محمد بن عبد الله هاديا ومبشرا ونذيرا ورحمة للعالمين.

ماهية الصوم وبدائته

لعله من الصعب القطع ببداية الصوم لدى المجتمعات الإنسانية وذلك لأن المصادر التي يعتمد عليها في هذا المجال تكاد لا تعطي الإجابة المطلوبة القاطعة، ولكن بما لاشك فيه أن الصوم عبادة قديمة بل يكاد يكون من أقدم العبادات، وأنه قد اتخذ صورا متعددة الأشكال والأنواع، فمنه ما يكون بالكف عن الأكل أو الشرب أو كلاهما أو الخفاة والامتناع عن الكلام، وغير ذلك، والحقيقة الثابتة أن الصوم هو حرمان الجسم والنفس عن بعض حاجاتها أو رباتها أو مطالبها.

والصوم كعبادة قديمة أكدتها الآية الكريمة (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) وقيل في معنى الآية (أن الصوم عبادة أصيلة قديمة. لم تفرض عليكم وحكمكم؛ بل شارككم فيها كل الأمم).

فلقد صام المصريون القدامى منذ أزمان سحيقة وكانوا يصومون من طلوع الشمس إلى غروبها، كما عرفه الهنود منذ ما قبل الميلاد كجزء من عبادتهم التي تقوم على تطهير النفس بالرياضات الشاقة.

وأيضا صام الجحوس واليونان والرومان والصابئون. وهذا بلاشك يوجي إلى حد بعيد بأن الصوم شرعية فطرية تنزع إليها النفس البشرية، حتى ولو كانت هذه الجماعات تعيش عيشها البدائية الساذجة.

ولقد جاءت الديانات السماوية جميعها حاملة معها الأمر بوجوب الصوم.. فلقد فرض الصوم على اليهود في التوراة (ويؤكد

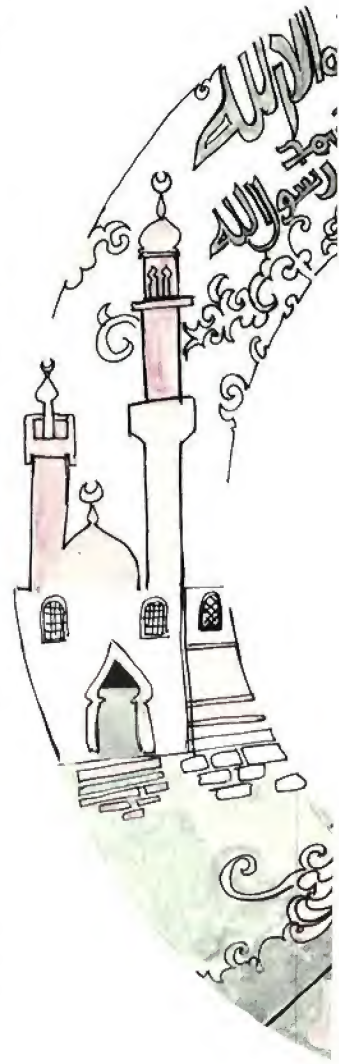
جمهرة المؤرخين بأن اليهود كانوا يصومون شهر رمضان، ولكنهم نكثوا كعادتهم، وجعلوه صيام يوم واحد هو اليوم الذي نجا الله فيه النبي موسى - عليه السلام - من الغرق وهو يوم عاشوراء (اليوم العاشر من شهر محرم).

والمسيحيون يصومون (صوم الميلاد) وعدته ثلاثة وأربعون يوما، وصوم يونس، وصوم العذراء، وصوم يونان، وصوم النذر والكفارة والتوبة، والصوم الكبير وهو الذي صامه المسيح عليه السلام ومدته خمسة وخمسون يوما وفيه يسكنون عن تناول المواد الغذائية والحلويات.

الصوم في الإسلام

فرض الصيام على المسلمين في شهر شعبان من السنة الثانية لهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة المنورة بعد نزول الآية القرآنية الكريمة (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون، أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين، فمن تطوع خيرا فهو خير له، وإن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون).

وهذا وجب صيام رمضان امتثالا لأمره تعالى في كتابه الحكيم (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه)، والصوم بذلك فريضة على المسلم العاقل البالغ فلا يجب صيامه على غير المسلم ولا على المجنون ولا على الصبي، وهو ركن من أركان الإسلام ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، والحديث الشريف (بني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء



رمضان في اللغة

بكسر الميم وضمة هاء - رمضان: إذا جعلته بين حجرين الميمن ورقفته لبرق، سمي بذلك لأنهم كانوا يرمضون فيه أسلحتهم. ليقضوا منها أوطارهم في شوال. قبل دخول الأشهر الحرم، أولاته شهر مشقة ليذكر صائمهم ما يقاسي أهل النار فيها.

وقيل مشتق من: رمضت في المكان، يعني احتسيت، لأن الصائم يحتس عا حسي الله عنه. وقيل: يرمض الذنوب، أي يخرقها بالأعمال الصالحة.

وقيل: لأن القلوب تأخذ فيه من حرارة الموعظة، والتفكير في أمر الآخرة، كما يأخذ الرمل والحجارة من حر الشمس.

والمعروف أن أول من عمل على تسمية الشهور العربية هو كبير قريش: كلاب بن مرة (الجد الخامس للنبي صلى الله عليه وسلم).

أما رمضان فكان يسمى في الجاهلية (ناتقا) ووافق رمضان وقت تسميته أيام الحر والرمض .. فعرف كذلك، وقيل سمي في الجاهلية بالناتق: لأنه كان ينتقم: أي يزعمهم بشدة عليهم، أو لكثرة الأموال التي كانت العرب تحبها فيه من قوتهم: تنفت المرأة: أي كثرت عباها.

وصفة القول: (إن رمضان كان الأصل من شهور الشتاء. بدلالة الاسم ناتق أو ناطل. ثم لما نقلوا أسماء الشهور من اللغة القديمة سموها بالآزمنة التي رقت فيها. فوافق هذا الشهر أيام الحرفسي رمضان).

الصوم في اللغة

ورد في الصحاح للجوهري قول الخليل بن أحمد: الصوم: قيام بلا عمل. والصوم: الإمساك عن الطعام. وصيام القرس

ورد في تسمية شهر (رمضان) وجوه كثيرة، ولكن يبدو أنها كلها تنصب على أن هذا الشهر كان يقع في أيام الحر الشديد، أو أن فريضة صيامه وافقت أيام الصيف والحر. فالرمض: شدة الحرارة. فقولنا: رمض يومنا، يرمض رمضان أي اشتد حره، والأرض رمضاء.

والرمض أيضا: شدة وقع الشمس على الرمل وغيره، وحر الحجارة من شدة الشمس، ولذا يقال: أرض رمضة الحجارة.

ويذكر بن دريد أن القدامى عندما نقلوا أسماء الشهور العربية: كانوا يسمونها بالآزمنة والأوقات التي كانت تأتي فيها هذه الشهور. ووافق رمضان (شهر الصوم) أيام رمض - شديدة الحرارة - ولذا سمي كذلك.

والرمضاء: شدة الحر. والأرض الشديدة الحرارة. ومن ذلك قول الشاعر:

المستجير بعمرو عند كثرته
كالمتستجير من الرمضاء بالنار

واختلفوا في اشتقاق (رمضان) فقال الرمثشري: رمضان مصدر رمض: إذا احترق من الرمضاء وقال الخليل بن أحمد: هو مأخوذ من الرميض: وهو السحاب والمطر، ما كان آخر الفيض وأول الخريف وقبل من الرمض: وهو مقطر يأتي قبل الخريف يظهر وجه الأرض من الغبار. وقبل اشتقاقه من رمضت التصل أرمضه -



الزكاة. وصوم رمضان. وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا.

وقد وعد الله الصائمين بالجزاء الأوفى، والثواب العظيم، فالصوم امتثال لأمر الله واطاعة لأوامره تعالى وانصراف عن نواهيه، فالصائم في ضيافة الرحمن، (فما يتحرك بخرقة، ولا يتكلم بكلمة خير إلا كان في عبادة فليحسن الصائم نيته وليستكثر من الخير، وليكثر من الذكر والاستغفار طمعا في الأجر من الله تعالى كما ورد في الحديث القدسي: (كل عمل بن آدم إلا الصوم، فانه لي وأنا أجزي به)، (للصائم فرحتان فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه) ثم (وللخائف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك).

وكان أول شهر رمضان عام فرض صومه: يوم الأحد الموافق أول برمهات من الشهور القبطية. الموافق اليوم السادس والعشرين من شهر فبراير، وكان في تلك السنة كامل العدد. وقد صام الرسول عليه الصلاة والسلام تسع رمضان أكثرها غير تام. قبل أن يبلح بالرفيق الأعلى.

في كتاب (الصيام عبر التاريخ) ورد: (ويحدد بعض المؤرخين تاريخ فرض صيام شهر رمضان بيوم الاثنين الموافق ١ شعبان من السنة الثانية للهجرة، وأن أول شهر صيامه ليسلمون كان في فصل الشتاء وكان



رآه أهل بلد فقد رآه المسلمون فيلزم غيرهم ما يلزمهم.

ليلة القدر

(إن هذا الشهر قد حضركم: وفيه ليلة هي خير من ألف شهر، من حرمها فقد حرم الخير كله، ولا يحرم خيرها إلا محروم).

هي ليلة خير من ألف شهر .. تنزل الملائكة .. وقدرها عظيم .. وفضلها جليل ومنزلها سامية .. جاء في القرآن الكريم (إننا أنزلناه في ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر، ليلة القدر خير من ألف شهر، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر، سلام هي حتى مطلع الفجر) صدق الله العظيم.

وإذا كان العلماء قد تناولوا هذه الليلة العظيمة الشأن والقدر والميزة -الحديث وأفاضوا فيه بيانا لمكانة تلك الليلة فإنهم لم يتركوا الحديث عن سبب تسميتها، يقول الدكتور مصطفى أبو زيد ذهبوا في ذلك إلى أمور عدة أهمها:

أولاً: إن القدر بمعنى المنزل العالية والشرف فهي ليلة القدر بمعنى ليلة الفضل والشرف العظيم.

ثانياً: إن القدر بمعنى التقدير ففي هذه الليلة يعلم الله ملائكته بمقاده في السنة التي تبدأ بها، وقد يؤيد هذا قوله تعالى (فيها يفرق كل أمر حكيم أمراً من عندنا) وقوله تعالى (بإضا تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر).

ثالثاً: بمعنى الضيق، لكنه ضيق الأرض بما ينزل من الملائكة إليها في تلك الليلة. والثابت كما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أن تقع ليلة القدر في العشر الأخير من شهر رمضان، لما روى عنه صلى الله عليه وسلم قوله: (تحروا ليلة القدر في الوتر



هلال رمضان

الحكم في تحري هلال شهر رمضان أنه من أركان الصيام في هذا الشهر الكريم وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن ابتداء الصوم قبل رؤية الهلال: (صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته، فإن غم عليكم - بالضباب أو السحاب -، فاكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً).

وكثيراً ما تكون هناك الاحتفالات التي تقام في العواصم الإسلامية بمناسبة تحري رؤية هلال رمضان، وذلك في ليلة الثلاثين من شعبان أو ليلة الثلاثين من رمضان، فإن رأوا هلال رمضان صاموا، وإن لم يروه أكملوا عدة شعبان ثلاثين يوماً، وإن تمت لهم رؤية هلال شوال فقد حان إفطارهم، وإن لم يروه فليكملوا رمضان ثلاثين يوماً.

وإذا ثبتت رؤية الهلال في أحد الأقطار الإسلامية، فواجب المسلمين في البلدان الأخرى أن يتقيدوا بذلك، ويصوموا هم كذلك، فيقول الشراكبي - رحمه الله - في الحديث (لا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطروا حتى تروه، فإن غم عليكم فاكملوا العدة ثلاثين) هذا لا يختص بأهل ناحية على جهة الأفراد، بل هو خطاب لكل من يصلح له من المسلمين، فالاستدلال به على لزوم أهل بلد لغريمهم، من أهل البلاد أظهر من الاستدلال به على عدم لزوم، لأنه إذا

خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وأخرى تغلك الحجام وصام النهار صوماً: إذ قام قائم الظهيرة، واعتدل، والصوم: ركود الريح.

ويقول ابن فارس في (مقاييس اللغة) «الصاد والواو والميم أصل يدل على امساك ما منعه، ويكون الامساك عن الكلام صوماً، كما في قوله تعالى (إني نذرت للرحمن صوماً)، والصوم ركود الريح، والصوم استواء الشمس عند انتصاف النهار».

وفي «لسان العرب» لابن منظور: «الصوم في اللغة الامساك عن الشيء، والترك له، وقيل للصائم صائم لامساكه عن الطعام - وقيل للفرس لامساكه عن العلف مع قيامه، وقال أبو عبيدة: كل أمسك عن طعام أو سير .. فهو صائم».

تعريف الصوم وحكمه

الصوم هو الامساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع نية الصوم في نهار لا يحرم صومه. وحكمه أنه فرض عين على كل مكلف.

أنواع الصيام

وإذا كان الله تعالى قد فرض صيام شهر رمضان ليكون هو (الصيام الفرض) وهو أحد أنواع الصيام فإن هناك أنواعاً أخرى من الصيام مثل: صيام القضاء وهو الصيام الذي يجب قضاؤه بسبب الإفطار في رمضان بعدد كاسفر أو المرض. وصيام النذر وهو الذي يفرضه المسلم على نفسه تقرباً لله. وصيام الكفارة وهو الذي يؤديه المسلم نتيجة ارتكابه بعض المحظورات. وصيام التطوع، وهو الذي يؤدي تقرباً لله مثل صوم سنة من شوال.

من العشر الاواخر من رمضان) والوتر: هي الليالي المفردة من واحد وعشرين الى تسع وعشرين.

التراويح

إن رمضان في حياة المسلمين كالواحة الخضراء .. يتجلى للقائه كل راغب في الذيل من خيراته وكل طالب للرحمة، وكل متعلق بالأجر الموعود من الله تعالى .. ولكن لما لاشك فيه ان رمضان مناسبة تنوق كل المناسبات .. فاليهجة لدى الجميع والكل يستقبله والكل يهتف من أجله، يغسلون قلوبهم بالتوبة، ويتقربون الى الله أكثر في موسم الخيرات واحد الوجوه الرائعة هي (صلاة التراويح) .. فقيام رمضان وليالي رمضان هي نبع الرحمة والغفران قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله عز وجل فرض صيام رمضان، وسنتت قيامه، فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه).

والتراويح من صلاة التطوع في شهر رمضان وهي سنة مؤكدة للرجال والنساء، وأما عدد ركعاتها فقد (ورد فيه كثير، ومنه ان الإمام مالك يقول بأنها ست وثلاثون ركعة - كما سبق أن صلاها أهل المدينة المنورة، بينما يرى الأئمة الثلاثة: أبو حنيفة والشافعي وابن حنبل أنها عشرون ركعة). ووقت التراويح بعد صلاة العشاء وينتهي وقتها بطلوع الفجر فإن فات وقتها لا تقضي سواء فاتت وحدها أو مع العشاء ولقد سميت صلاة التراويح هكذا حيث يجلس المصلي بعد كل أربع ركعات للاستراحة، ومن ثم سميت التراويح وتعني آخر فيها يكون بين كل تسليمين جلسة يستريح المصلي بالذكر الله تعالى، وكل ركعتين من التراويح صلاة مستقلة، فينوي المصلي في أولها كما يدعو بدعاء الافتتاح بعد تكبيرة الاحرام.

وبين صياح إمام رمضان .. وقيام لياليه تمر ليالي هذا الشهر عطرة، ينعم بها المسلمون بالرضا وقد شغلوا أنفسهم ليلاً ونهاراً بالعبادة وعظروا سننهم بذكر الله.

السحور .. والمسحراتي

السحور بركة .. لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (تسحروا فإن في السحور بركة) والسحور بذلك هو تخفيف على العباد .. فليس المراد من الصوم تعذيب النفس ولا تحطيم الجسم، ولكن الصوم طريق للصفاء، والنهذيب والتمحيص، ولهذا قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم (تسحروا ولو بمجرعة ماء).

والسحور - بفتح السين - اسم لما يؤكل وقت السحر أو ما يشحبه من طعام وشراب والسحور بضم السين - فعل الصائم نفسه أي تناوله السحور (بالفتح) وسمي سحورا لانه مشتق من السحر والسحر: ما بين الفجر الصادق والكاذب لان له وجهها الى النهار ووجهها الى الليل، فلا يسمى سحورا الا ما كان في ذلك الوقت.

وتبرز في الحديث عن السحور - شخصية المسحراتي - ذلك الرجل الذي يتولى إيقاظ المسلمين لتناول طعام السحور .. وإن اختلفت صور هذه الشخصية الآن من بلد لآخر فإن الجذور الأولى لذلك تعود الى عهد النبي صلى الله عليه وسلم، حيث (كانوا



يعرفون جواز الاكل والشرب بأذان بلال، ويعرفون المنع بأذان ابن أم مكتوم، وفي الحديث (ان بلالا ينادي بليل فكلوا واشربوا حتى ينادي ابن أم مكتوم).

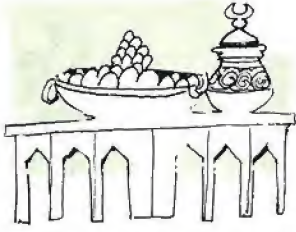
وفي العصر العباسي شاع نغني الناس بشعر (القوما) وقيل انه سمي كذلك بسبب قول البعض (تياها .. قوماً قوماً للسحور أو قوماً لتسحروا) وكان قد اخترع هذا النوع من الشعر (الرمضاني) رجل بغداد يدعى (أبو نقطة)، وكان قد أعجب به الخليفة الناصر لدين الله العباسي فكافأه على ذلك بوظيفة سنوية هي (المسحراتي) ومن طريف ما يحكى ما أورده الأستاذ علي الجندبي في هذا الصدد: ثم مات أبو نقطة وأعقب ولدا صغيرا حاذقا لهذا النظم، فأراد ان يعلم الخليفة يموت أبيه ليأخذ وظيفته، فلم يتيسر له ذلك، فانتظر حتى جاء رمضان، ووقف في أول ليلة منه مع اتباع والده تحت الطيارة، وغنى (القوما)، بصوت رقيق رخيم، فاهتز له الخليفة وانتشى، وطار كل مطار، وحين هم بالانصراف انطلق ابن نقطة يندب:

يسابك السادات لك في الكرم عادات
أنا ابن أبي نقطة تعبي! أي قد مات

فأعجب الخليفة بسلامة ذوقه، ولطف اشارته، وحسن بيانه مع إيجازه فأحضره وخلع عليه، ورغب له ضعف ما كان لوالده.

صوموا تصحوا

معلنة بعد بحث وتمحيص ودراسة مستوفية جادة، بأن الصوم علاج ناجع لكثير من أمراض الإنسانية، وطريق لخلصها من الكثير من السوم والمفاسد.



على مائدة رمضان

غنية هي موائد رمضان، وزاخرة بكل لذيذ من الطعام، حيث يتفنن الناس في تقديم أشهى الأطباق وأطيب الطعام، وتختلف الأذواق، وتتوغل المشروبات والمأكول، وتبقى هناك بعض الأطباق والأطعمة مرتبطة برمضان دوماً .. فهناك (الكفاة) التي يذكر بن فضل الله العمري: أن أول من اتخذها من العرب معاوية بن أبي سفيان زمن ولايته الشام، وكان يأكلها في السحور. وقيل إنها أول ما صنعت كانت لسليمان بن عبد الملك.

وما دامت الكفاة قديمة هكذا، فلا غرو إذا تناولتها السنة الشعراء والأدباء، وقالوا أبايتا سجلتها كتب الأدب لتنتقل الينا احفاءهم بها .. والرغبة في تناولها فهذا شهاب الدين الهائم يقول:

اليك اشتياقي يانافة زائد

ومالي غناء عنك كلا ولا صبر

فلأزلت اكلي كل يوم وليلة

ولأزلت منها لا بجوعائك القطر

ويقول ابو الحسن الجوزي الشاعر الشيعي المصري وهو من الذين أكثروا في وصف الكفاة:

سقى الله اكثاف الكفاة بالقطر

وجاد عليها سكرًا دائم الدر

وتبا لأوقات (المخلل) انها

تمر بلا نفع وتحبس من عمري

والقطائف هي طعام يسوى من الدقيق

إذا كان الصوم عبادة دينية، بالذکر والاستغفار والتوبة عن المعاصي والصوم عن الفاحش من القول والعمل. فإنه أيضا عبادة لإصلاح البدن ذلك أن الحمية رأس الدواء والمعدة بيت الداء فالواجب ان يعطى الجسم فرصة الراحة، بعد ان يظل طوال شهر العام كله وإيامها يعمل جميع اجهزته واعضائه باستمرار، وفي حركة دائبة، ولذا فإن الرسول صلى الله عليه وسلم اذا نطق بقوله (صوموا تصحوا) فما ينطق عن الهوى!!

ومن النصح الاخي: (كلوا واشربوا ولا تسرفوا)، فالصوم تنظم وتعلم وكبح لجراح النفس البشرية عن ممارسة الشهوات التي تكون قد اعتادتها على طول أيام ما قبل رمضان .. وهذا أيضا تأديب وتهذيب .. وهو من اجل ذلك طريق الى صحة المسلم وسلامة بدنه .. ومن وصايا الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله (اياكم والبطنة في الطعام، والشراب فانها مفسدة للجسد، وأبعد عن الشرف وان الله ليبغض الحير السمين، وان الرجل لم يهلك حتى يؤثر شهرته على دينه).

وها نحن في القرن الرابع عشر من هجرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يطالعنا العلماء والباحثون، وقد توصلوا اخيرا الى فهم الحكمة البالغة التي تكن وراء الصوم وجاءت اجابهم ودراساتهم مطابقة لما جاء في التشريع القويم، لتتلاقص صيحاتهم، وترتفع



المرق بالماء، شبت بخمّل القطيفة التي تفرش، وذلك كما جاء في قاموس (لسان العرب)، والقطائف من أطباق رمضان المرغوبة كذلك، وهي عبارة عن عجينة الدقيق بالسمن وتغشى بأنواع من المكسرات كالفسق واللوز وغيرها ويتم تشريبها في ماء السكر المذاب ولقد مدحها الأدباء والشعراء .. واجادوا وصفها، وتعايد: محاسنها ومباهجها للأكلين فيقول احدهم:

دعى الله نعاك التي أقلها

(قطائف) من قطر النبات لها قطر

أمد لها كفي فاهتز فرحة

«كما انتفض العصفور بلله القطر»

والعصفور:

و (قطائف) مثل البدو رأيت لنا من غير وعد

قد أمسيت قطر النبات وطيب (بماء) ورد)

فحبسها لا بدت في صحنها أقراص شهد

ولسنا في معرض الحصر للأطباق

الرمضانية المعروفة جميعا، حيث يطول

الحديث وتنشعب أطرافه ويكنى ما أوردناه

لفضيق المقام. ولكن مما لا شك فيه أن هناك

الكثير من ألوان الطعام التي تحفل بها موائد

رمضان، وخاصة إذا اخذنا في الحسبان

امتداد رقة العالم الإسلامي .. وتباين مأكله

واختلاف رغباته في الأطعمة .. ومن بينها

(السمبوسك).

رمضان في التاريخ

رمضان موسم للبركة والخير .. وإن من يستعرض كتب التاريخ الإسلامي سوف يجد أن شهر رمضان على تماكب الأعوام كان موعدا ووعدا للمسلمين حيث شهدوا فيه انتصارات رائعة .. ومواقف جليلة، وإحداث عظيمة.

ففي الاثنين السابع عشر (أو الرابع عشر) من شهر رمضان من السنة الثالثة عشرة قبل الهجرة، بدأ نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما ورد في السيرة النبوية لابن كثير.

وجاء في الذكر الحكيم (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان).

وفي رمضان من السنة العاشرة للبعثة توفي أبو طالب عم الرسول صلى الله عليه وسلم، فحزن عليه كثيرا.

وفي ١٠ رمضان بعد عشر سنين من البعثة النبوية توفيت خديجة أم المؤمنين وفي السنة الثانية بعد الهجرة وفي السابع عشر من شهر رمضان كانت أروع غزوات الاسلام (غزوة بدر الكبرى) أول انتصارات قوى الحق على شرذم الباطل.

وفي رمضان من السنة الرابعة للهجرة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بام المؤمنين السيدة زينب بنت خزيمة بن الحارث التي لقبت (بأم المساكين).

وفي يوم ٢٠ رمضان من السنة الثامنة للهجرة اعز الله الاسلام والمسلمين بفتح مكة وفي رمضان من السنة الحادية عشرة توفيت فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، وزوج علي بن ابي طالب كرم الله وجهه، وأم سبطي الرسول الحسن والحسين رضي الله عنهما.

وفي السنة التاسعة للهجرة، في شهر

رمضان قدم الرسول صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك بعد أن أيده الله تعالى فيها تأييدا كبيرا.

وفي رمضان من السنة التاسعة للهجرة ايضا جاء وقد تقيف الى الرسول صلى الله عليه وسلم واعلنا دخولهم في الاسلام.

ومات علي بن ابي طالب كرم الله وجهه في اليوم السابع عشر من شهر رمضان المعظم من السنة الأربعين للهجرة.

وفي رمضان عام ٥٣هـ فتح العرب جزيرة رودس.

وفي ليلة الثلاثاء السابع عشر من شهر رمضان عام ٥٨هـ توفيت السيدة عائشة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وابنة ابي بكر الصديق رضي الله عنها ودفنت بالقيع.

وكان فتح الاندلس في شهر رمضان من عام ٩١هـ.

وفي منتصف شهر رمضان عام ٣٥٨هـ دخل جوهر الصقلي مصر، وهو قائد المعز لدين الله وسعد يوم الجمعة وحطبت الناس.

وفي شهر رمضان تم بناء الجامع الازهر بالقاهرة للعبادة والعلم وكان ذلك عام ٣٦١هـ.

وفي عام ٥٨٤هـ بشهر رمضان كانت قوى الايمان بقيادة صلاح الدين الايوبي

**شهر رمضان
الذي
أنزل
فيه القرآن**

تجاهد قوى الصليبيين، وتحققت الانتصارات العديدة وتم الاستيلاء على قلعة (صغد) الحصينة في منتصف رمضان واثربطل صلاح الدين الايوبي استئناف جهادة في رمضان فائلا (ان العمر قصير، والأجل غير مأمون)، وذلك حين اشار عليه رجاله بأن يرتاح في شهر الصوم.

وفي ٢٥ رمضان عام ٦٥٨هـ كانت معركة (عين جالوت) التي انتصر فيها المسلمون انتصارا باهرا على التتار المدمرين.

وكانت اروع ملاحم انتصار المسلمين يوم توحدت كلمتهم وجاء تأييد الله لهم مؤزرا في العاشر من رمضان عام ١٣٩٣هـ

(١٩٧٣م) وانتصر العرب على قوى الصهيونية المتعديّة، وارتفعت كلمة الحق، ونشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله.

شكري العناني

المراجع

- ١) احكام الصيام وفلسفته من ضوء القرآن الكريم - لصطفى السباعي
- ٢) حدث في رمضان - د. احمد الشربامي
- ٣) رسالة الصيام والزكاة - مجلة الوعي الاسلامي
- ٤) الصيام في القرآن - محمد الدسوقي
- ٥) غرائب النظم والعادات والتقاليد - د. علي عبد الواحد وفي
- ٦) القاموس الاسلامي (٣ ج) - أحمد عطية الله
- ٧) قرة العين في رمضان والعليدين (٢ ج) - علي الجندي
- ٨) الصيام عبر التاريخ - عبد السلام هاشم حافظ

الشاعر في مدينة الأحياء

شعر: بدر توفيق



وجهه صحراء ونهر وحقل مواسمه مخصبة
ودعته الطيور الأليفة والحكمة الخالية
وجهه صفحات كتاب مشيته ناقية
يسبح القلب في مائه سهف أحلامه اللاجبة
يتصور بحثاً حميماً عن الآهة الغاربة
مستجيراً من القبر بالشعر والصحوة اللاهية
كان كز اليباني يحاصره فوق رأس الجبل
وهو ناز ونور يقائه بالظلام الرجل
كان نهر يجفف أرضاً بجوع قلباً يشل
مُعرقاً في حوافي المني. وسجون أنوى المشتعل
فالتصيد حروف نصحن على الوجه المنفل
والعيون دروع التحدي. سيوف النزال الأون
انه يكشف الخال في وجد قلب مرياء شمل
والغطاء ضرام العباب وخوف بباب الأجل
يتبيغ بين السماء وبين تراب القبل
دعه للسكوت الكلام. وللبطلان العمل
فامتلاء الشوارع لغو. وهذي الدني تَصْصِل
والذي في مدى العين بحر على موجه يرتحل
مبحراً في الدماء التي لا أمان لها في البرية
مخنة من ضياء بعيد عن الممكناات القصية
الجاديف ثقُل حياء. وحياء تضع الهوية
قال هذا أنا بينكم كلمة. غنوة في الضوية
يسمع العاشقون غنائي اذا اختلّفوا في العشيّة
فيحل اللؤلؤ. وتولد أغنية بشرية
قال هذا كتابي. وأغمض عين الخبان الغنية
فانطوت نبضة العين للفجر في اللحظة الشقية
وانطوى السمع والشّم والفكر والدمسة العاطفية
فتبادل وجه النهار الجميل بليل المنية
ياغداًب الخب الضليل. وبأساعة غسقية
من ترى يقتل الشعر في ضلّبه. رحمة بالقيّة

الفكر العربي لقانون البحث والاستقراء والاستنباط ، فما هي هذه القصص ؟

سطر من سطور أي موضوع كان متصل الحروف بعضها بعضا دون تفريق وذلك ربما كان ميسرا اذا تدبرنا الامر، واوصلنا الحروف بموصلات تشبه موصلات الحروف اللاتينية الموصولة، وقد جاء بعد هؤلاء الاربعة من ابناء اسماعيل ثلاثة هم نبت، وهبيس، وقيدار ورفقا الحروف وجعلوا الاشباه والنظائر.

ويذكر (البلاذري) رواية عن عباس بن هشام بن محمد السائب الكلبي، عن جده وعن الشرقي بن القطامي يقول فينا: (اجتمع ثلاثة نفر من طي وهم مرمر بن مرة، واسلم بن سدرة، وعامر بن جدره فوضعوا الخط وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية).

ويذهب ابن خلدون - وقد يكون اول مفكر عربي حاول تجنب الاسطورة - الى ان الخط انتقل من اليمن الى الحيرة بعد ان بلغ الذروة في دولة التابعة ويعني هذا ان النظرية الحديثة القائمة بالاصل السنياني للكتابة العربية والكنعانيين الذين تعتبرهم هذه النظرية اول من استعملوا طريقة الالف والياء واهدتها للعالم كله، مطعون فيها من وجهة نظر ابن خلدون، وهناك من علماء أوروبا من يشارك ابن خلدون في هذه النظرية منهم المستشرق موريتز الاماني الذي يقول ان البابليين هم الذين اخترعوا الكتابة وليس الكنعانيون او الفنيقيين وان البابليين اهدوا الكتابة الى الحيرة ومن الحيرة عرفها الفنيقيون وعينهم اخذ الرومانيون والعرب^(١).

(١) ملحق الجزء الاول من تاريخ ابن خلدون، تعليق الأمير شكيب ارسلان.

ماذا يريد الانسان بأفعاله، وبحضارته وبأمنياته؟ كل مايريد هو ان يحقق حالة شعورية لان الشعور هو قمة مطالب الانسان. والانسان حالة، تعكسها حضارته، تحمل بصماتها مدنيته يحكي قصصا تراثه، فتى فقد الحضارة، فقد نفسه، ومعنى انهارت مدنيته ضاع كيانه، ومعنى تمزق تراثه انطمس اثره.

والكتابة في كل الحضارات تعطي للتاريخ مفهوما أرقى ما وصل اليه الفكر البشري المبدع، لاننا حتى اليوم ورثنا تراكم الابداعات الفكرية لم نستطع الاستغناء عن هذه البدعة الفكرية



وللكتابة العربية قصة اشاد علماءنا بها في كل ادوارنا التاريخية منذ ان خضع الفكر العربي لقانون البحث والاستقراء والاستنباط.

وكان من هذا الفكر ما حكته الاسطورة فاختصوا القصة لها، وقالوا ان الحروف العربية نزلت على آدم الى البشر، فكتبها في طين قبل موته بثلاثمائة عام، ولا اعرف كم كان عمر ابينا حينما مات وقالوا .. ان الكتابة العربية وضعها اخنوخ وهو نبي الله ادريس عليه السلام، وقالوا ان اول من وضعها نبي الله اسماعيل عليه السلام وان اربعة من ابنائه هم نفيس ونصر، ونهم، ودومه، وضعوا كتابا واحدا وجعلوه سطورا واحدا موصول الحروف كلها غير متفرقة، ومعنى هذا ان كل

صوت

ومن عهد ابن خلدون بدأت قصة الكتابة العربية تدخل طور الدراسة الجادة، ورغم ندرة هذه الدراسة فإن هناك حصيلة لا بأس بها يستطيع المتابع ان يخرج منها بجهد كبير من الآراء العلمية والنظريات التاريخية.

ان اقدم كتابة عربية، يعرفها تاريخ البحث عن الكتابة العربية هي رسم مشتق من خط المسند البني وصل البناء في ثلاثة انواع من نقوش متقاربة عثر عليها ما بين المنطقة الممتدة من دمشق الى العلا وهذه النقوش هي اللحيانية، والتؤدية، والصفوية، واقرّب هذه النقوش الثلاثة صلة بالمسند الباني هو الخط اللحياني، وربما كان هذا الشبه هو الذي دعا العلامة ابن خلدون الى ان يجعل دولة التبابعة موطن اختراع الكتابة. والخط لا يكاد يختلف عن المسند الباني، ويكتب من اليمين الى اليسار اما الخط التؤدي وإن كان مشتقا من المسند ايضا الا ان اتجاهات كتابته غير ثابتة فيكتب احيانا من الاعلى الى الاسفل، وحيانا من الشمال الى اليمين وبالعكس ايضا، والحروف فيه ترسم بترقة، والحركات القصيرة مقفلة شأن الكتابة العربية اليوم، وبعض حروفه يستعمل أكثر من صوت واحد.

وأقدم نقوش عرفت البحث عن تطور الخط العربي، نقوش ام الجلال جنوب حوران من اعمال شرق الاردن، وهو من ثلاثة سطور لغتها آرامية وخطها نبطي جاء في هذا النقش. بالسطر الاول: ذنه نفسو فهرو بالسطر الثاني: بر سلى ربو جذيمت بالسطر الثالث: ملك تنوخ ومعناها بالعربية:

- ١- هذا قبر فهر
- ٢- ابن سلى مري جذيمة
- ٣- ملك تنوخ

ويرجع المستشرق الالماني اوليبيان والكونت دى فوجويه تاريخ هذا النقش رغم عدم وجود تاريخ عليه الى عام ٢٧٠ الميلادي. ومن النقش الذي عثر عليه العالم (وترتين)

في حوران اللجا الواقعة جنوب دمشق شمال غربي جبل الدروز عام ١٨٦٤ ميلادية في تاريخ اطوار تدرج الخط العربي لاول نص مكتوب باللغتين العربية واليونانية يعمل تاريخ عام ٦٣٠ حسب تقويم بصرى، والمعادل لعام ٥٦٤ للميلاد جاء في هذا النقش:

- ١- انا شرحيل بن ظلمو (اي ظالم) بنيت ذا المرطول (اي الكنيسة)
- ٢- سنت ٦٣٠ بعد مفسد
- ٣- غير
- ٤- بعم (يعني بعام)

وقد عثر العلماء على كثير من النقوش الاسلامية بعد هذا النقش وقبله من هذه النقوش نقش يعود تاريخه الى السنة الحادية والثلاثين من الهجرة الموافق ٦٥٢ م يوجد في متحف الآثار الاسلامية بالقاهرة وهو عبارة عن نصب على قبر رجل اسمه عبد الرحمن بن خير واضح فيه التأثير الاسلامي بل ان بعض كلماته مقتبسة من القرآن الكريم، كما ان هناك ثلاث رسائل يظن انها الرسائل الحقيقية التي بعث بها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الى المقوقس عظيم القبط والمنذر بن ساوى والنجاشي.

كل هذه النقوش، وغيرها وهي كثر، تعطينا، تاريخ تطور الكتابة العربية، والمحقق في النقوش المكتشفة في شمال الحجاز واقلم حوران وشبه جزيرة سيناء بين القرن الثالث الميلادي والسادس الميلادي يدرك من غير عناء وجوه الشبه بين النقوش العربية والنقوش النبطية الأصلية ويستطيع ان يتبين بوضوح المسار الذي سارت عليه الكتابة العربية في مراحل تجاوزهها من الأصل النبطي الى الصورة العربية التي عرفها العرب قبيل الاسلام، ودونوا بها في الجاهلية الاخيرة، ولا استبعد ان العلاقات التي تقول الاسطورة التاريخية انها كانت تكتب بماء الذهب وتعلق في الكعبة ربما بصورة من الصور العربية التي عرفها كتابنا بعد تجاوز الطور النبطي، ولكنها حتماً كتبت باحبار لم يكن ماء الذهب منها. لان العالم لم يعرف ماء الذهب الا من عهد جابر بن حيان الكيميائي العربي الشهير.

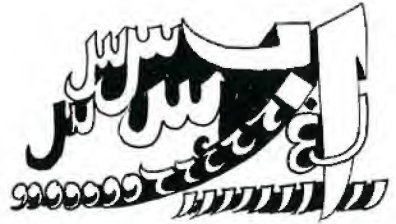
ومن الخطوط العربية الاولى على سبيل المثال وليس الحصر الخط الحيري والخط الانباري والخط المكي (نسبة الى مكة المكرمة شرقها الله) والخط المدني (نسبة الى المدينة المنورة) والخط البصري والخط الكوفي، ورغم ان صاحب (الفهرست) وصف بعض انواع هذه الخطوط فاني ارى ان

الفروق بينها لا تعدوان تكون فروقا في الجودة والتركيز، واعني بهذا ان ليس هناك خطوط مختلفة ذات اصول شكلية معينة كالتي نعرفها في الخطوط العربية المختلفة اليوم، والعربي يطعمه لا يميل الى استخدام المهارة الفنية بقدر ما يميل الى التحسك بالطابع التقليدي الذي افقه لذلك كان التكرار في الفن العربي لاسيا الرسم والموسيقى من ابرز الاسس فيه ولا انكر الابتكارية في الطبعة العربية انما هي ادنى من التقليدية واكثر شاهد على ذلك المبتكرات الشعرية التي عرفها الشعر العربي بعد انتقاله الى شمال افريقيا وبعد احتضانه لكثير من الشعراء المسلمين من غير العرب.

ومن وصف ابن النديم للخطوط العربية الاولى تعرف ان هناك عددا من انواع الخطوط منها المدور والمثلث والتمث، وهذا يعني ان العرب عرفوا خطا مستديرا وآخر مثلثا ونوعا ثالثا بين المستدير والمثلث. اما الكوفي فما هو الا من خطوط العبرانيين والتدمريين التي تعود الى الخطوط الارامية المربعة ووصلت انواع الخطوط في العصر العباسي الى اكثر من خمسين نوعا من اشهرها احرر، والمشجر، والمربع، والمدور، والمتداخل، وكان من هذه الانواع نوع ابتكره قطبة بن احرر في اواخر الدولة الاموية وكانت الرسائل تكتب بهذا الخط.

وفي العهد العباسي ابتدع ابراهيم الشجري خط (الثلاثين) وابتدع من الثلاثين خطا آخر اسماه (الثلاث) وهو من الخطوط المعروفة المستعملة في عصرنا هذا، وتكتب به اللافئات واللوحات وتكتب به الآيات القرآنية وبعض الاحاديث النبوية على جدران المساجد وقبابها واهمها المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة وبعض قباب المسجد الحرام وكسوة الكعبة المشرفة وحزامها.

ووضع اصول وقواعد خط النسخ الوزير العباسي شيخ الخطاطين ابو علي محمد بن مقله المتوفي سنة ٣٢٨ هـ واخوه ابو عبدالله الحسن المتوفي سنة ٣٣٨ هـ وهذا الخط من الخطوط



العربية المستعملة حاليا.

واخترع الخط الفارسي، وحل في فارس (ايران) محل الخط الفهلوي، واستخدمه الافغانيون في كتابة لهجاتهم (الباميرية) واستخدمه البلوخستانيون لكتابة لغتهم اما في الهند فقد استعمل المسلمون الهنود فيها نوعا من الخط القريب من النسخ لكتابة لغاتهم كما استعملوا الخط الفارسي.

وابتكر الاتراك خط (الرقعة) فكان الخط العربي المستعمل لكتابة كل ما يكتب باليد سواء باللغة التركية او العربية وشاع خط الرقعة في البلاد العربية، فاستعمل في كتابة الرسائل واستعمل في الادارات وكتابة كل ما يكتب باليد الآت.

وتوارثنا اليوم نحن تراثا كبيرا من الفكر والادب والعلم مكتوبا بالخط العربي، وادرك المعرضون قيمة هذا التراث واصالته العلمية والفكرية فراحوا يحاولون النيل منه، بل القضاء عليه بالدعوة الى استعمال العامية حيناً ولينة الكتابة العربية حيناً آخر.

واول محاولة من هذا القبيل جاءت في خطبة القاها (وبيلام ولكوكس) بنادي الازبكية بمصر عام ١٨٩٣ م بعنوان (لم ت توجد قوة الاختراع لدى المصريين) نصح فيها باستعمال اللغة الدارجة (العامية) للتعبير الادنى اسوة بالانجليز الذين استطاعوا بناء حضارة علمية وثقافية بعد هجر اللاتينية، ثم تبعه (وبيلام) في كتاب اصداره عام ١٩٠١ م حيناً كان قاضيا بمصر، نصح فيه بهجر اللغة العربية الفصحى واستعمال العامية اعقبه اسكندر معلوف المسيحي السوري مطالبا الكتاب والمفكرين ان يكتبوا بالعامية كما طالب بكتابة المناهج الدراسية بها، واكمل المشوار (سعيد عقل) الشاعر اللبناني حيناً طالب بهجر الفصحى واستعمال الحروف اللاتينية بدلا من العربية بل مضى الى ابعاد من ذلك بكتابة بعض مؤلفاته بهذه الحروف وانشاء مطبعة لها، وباصراره المعن العميق عشر سنوات على اشاعة هذه الحروف بين العرب ومحاربة الخط العربي.

ان الدعوة الى استعمال العامية، وتغيير الحروف العربية واحلال اللاتينية محلها دعوة خطيرة بل انها معول يتسلط على صرح الوحدة العربية ليقوضها من اساسها، واداة تفرق الامة العربية الى قطع صغيرة، وعامل من عوامل ابعاد الجيل وفصل مستقبل هذه الامة عن تراثها التاريخي وقيمتها الدينية انهم يريدون ان يبعدونا عن القرآن الذي صان لغتنا، وصان فكرنا اربعة عشر قرنا.

الجامعة المفتوحة

”جامعة الشواء“

بمقام : محمد فتحي

في أواخر السبعينات خرج من معمل حزب العمال البريطاني مشروع أكاديمي، ناقشته لجان مختصة كما ناقشته الدوائر الصحفية والتشريعية والزبوية مناقشة واسعة النطاق، انتهت بإقرار الدولة له. وفي يناير ١٩٧٠ فتحت الجامعة المفتوحة الأبواب على مصراعها لطلابها الذين قيدوا أساءهم بها ولغيرهم أيضا من طالبي العلم.

لقد ترعرع الوليد خلال السنوات السبع الماضية وفرض نفسه على الدوائر الأكاديمية المحلية والدولية حتى لقد أصبح نظاما يستورد. استوردته إيران وتعكف على درسه في الوقت الحاضر أكثر من دولة من بينها المملكة العربية السعودية، بقصد إدخال نظامه والاستفادة منه.

وينبغي ان نذكر بادي ذي بدء ان الذي مهد لظهور هذا المعهد العصري الفذ، هو ترسخ أجهزة الاعلام الكبرى وبخاصة الاذاعة والتلفزيون، في المجتمع وتغلغلها في ثنياه. وغزوها للقرى والقبائلي وللقرى في عقر داره انما كان.

ما هي الجامعة المفتوحة؟

ليست الجامعة المفتوحة كما قد يظن.



بعض الناس معهداً يشبه الجامعة الشعبية، أي أنها معهد يرتكز في فلسفته وجوهره على التيسير والتنوير وعلى تعلم الكبار أشكالاً شتى من الدراسات ومن المعرفة العامة كدراسة اللغات أو مبادئ المحاسبة أو الكتابة على الآلة الكاتبة أو ممارسة الهوايات كالموسيقى وفنون التجميل، أو ل مجرد قضاء وقت الفراغ - فبما يعود على المواطن بالفعل. وبما يركي نفسه، مؤتسماً مع الرفاق الصالحين، بين الكتب وفي قاعات الرأي والمناقشة والبحث.

كلا ليست الجامعة المفتوحة جامعة شعبية، وإنما هي جامعة بالمعنى المفهوم من هذه الكلمة أي أنها جامعة كجامعة الرياض أو جامعة الملك عبد العزيز تقدم لطلابها الدراسات الجامعية وتمنحهم الدرجات العلمية: درجة البكالوريوس والماجستير والدكتوراه أو ما كانت تسميها جامعة الأزهر العالية نسبة إلى العالم - ولا أدري لماذا تخلينا عن تسمياتنا الأصلية مع أن التعلم الجامعي نشأ في عالمنا الإسلامي وفي أحضان الدين الخنيف قبل أن يعرفه العالم الغربي بقرون عدة. وهذه الدرجات العلمية التي تمنحها الجامعة المفتوحة للمتخرجين فيها تعادل

الدرجات التي تمنحها الجامعات البريطانية النظامية عريقة أو حديثة كجامعة أكسفورد أو كمبريدج أو لندن أو مانشستر، أي أنها معتمدة، شأن مثيلاتها، لدى كافة الدوائر الأكاديمية وغير الأكاديمية، ولا يجوز أن ينقص من قدرها منتقص. وللجامعة المفتوحة مجلسها ومديرها وأساتذتها المتفرغون، أيضاً على قدم المساواة، مع الجامعات النظامية، كما تمنحها الدولة الاعتراف المالي التي تعينها على ممارسة وظيفتها.

وقبل أن نتساءل عن الوسيلة التي تباشر بها هذه الجامعة الجديدة الطراز على البشرية تعليمها، قد يكون من الخير أن نسأل أولاً لماذا قامت، وما الغرض من إنشائها، وإذا كان القصد منها هو نشر التعلم الجامعي فلماذا لم تنشأ جامعة أخرى نظامية؟

جامعة أهواء!

الأصل في الجامعة المفتوحة أو جامعة الأهواء كما كانت تسمى في بادئ الأمر أنها قامت لغرض يمت بالصلة للعائلة الاجتماعية، أي أنها نبعت من بحيرة سياسية لا من دائرة علمية. فلقد ظهرت كمشروع من مشروعات حزب العمال قامت على تنفيذه حكومة العمال عام ١٩٧٠ في وجه معارضة من دوائر الحزب المعارض وفي وجه تحفظ شديد من الدوائر التعليمية أيضاً.

يقول أصحاب المشروع أن من المواطنين من فاته فرصة التعلم العالي لأسباب لا ذنب له فيها، مع رغبته الحقيقية في التعلم ومع توافر المواهب والصفات الفطرية التي تتطلبها التعلم. من هذه الأسباب مثلاً أن يكون فقيراً فلم يتمكن ذروه من الحاقه بالجامعات - والتعلم الجامعي في بريطانيا وفي أميركا أيضاً. ليس بالخبان كما هو بالملكمة العربية السعودية أو مصر، بل أنه مسألة باهظة التكلفة بحيث لا يتيسر إلا

لذوي اليسار، أو أن يكون الصبي قد دهمه أثناء تعليمه العام مرض عضال من الأمراض المستوطنة لديهم كالسل أو شلل الأطفال، وهي أمراض يستغرق الشفاء والتعافي منها سنين طويلة، أو أن يكون اليتيم قد قطع تعليمه في سن باكراً حتى يعول أمه ويربي اخوته الصغار بعد فقدان العائل.

مثل هؤلاء ما ذنبهم ليحرموا من نعمة التعلم مع توافر الرغبة والموهبة؟

من أجل هؤلاء فكر أصحاب المشروع في إنشاء الجامعة المفتوحة. فالبدأ الأساسي الذي تقوم عليه هو مبدأ إسام هداية الضال ووصل الغرور. والمبدأ الثاني الذي اتفق أخيراً عليه والذي وضعت شعاره منظمة الأمم المتحدة المختصة (اليونسكو) وعمسته هو أن التعلم حق وأنه عملية «تستغرق العمر كله» فلا تنتهي بنهاية مرحلة المدرسة أو مرحلة الجامعة أو شهادة الدكتوراه. إنما التعلم عملية دائبة لا تتوقف وليست مرهونة بسن معينة. وسند القائلين بذلك أن المعرفة الإنسانية حصيلة التجربة تضاعفت في كل فرع من العلوم، الطب أو الهندسة أو العلوم أو الرياضة، كل عدد من السنين عشرًا أو خمسًا.

إذا تأملت قليلاً ألا ترى أن هذه هي المبادئ التي نادى بها ديننا في كتابنا الحكيم وفي أقوال الرسول عليه الصلاة والسلام...؟ أقرأ: «قل رب زدني علماً»، وهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون.

ثم ما أجمل وأبلغ الشعار الذي وضعه المسلمون منذ صدر الإسلام ذلك الذي توصلت إليه أعلى الدوائر التعليمية وأخذت به الأمم المتحدة بعد ما يقرب من خمسة

عشر قرناً ألا وهو «اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد».

هذان هما المبدآن اللذان تقوم عليهما الجامعة المفتوحة ذلك المعهد الرائد الذي

بدأته المملكة المتحدة والذي تفكر في إدخاله المملكة العربية السعودية وغيرها من الدول.

عبر الأثير والهواء!

أُسِّمَت الجامعة المفتوحة في بداية أمرها بجامعة الهواء. وكان ذلك إشعاراً بأنها سوف تعتمد في ممارسة وظيفتها التعليمية على الهواء، على موجات الأثير. أي على الإذاعة والتلفزيون. كان التفكير في ذلك خاطئاً نيراً مالمها. فإذا كنا نقول إن التعليم قُريضة على كل مسلم ومسلمة وإن التعليم حق ينبغي أن يباح ولا يمنع فإية أداة أفضل وأكرم من الأثير والهواء لحمل الرسالة التعليمية مسيرة إلى عموم الناس؟ الأثير ووسيلته الإذاعة والتلفزيون فضل من عند الله. فما هي بمدارس يشيدها البشر ذات أجنحة وذات طوابق وذات فصول وذات جيش من المعلمين والفنيين والعاملين. لأول مرة في تاريخ البشر لا يذهب المتعلم إلى المدرسة. وأما بفضل الإذاعة والتلفزيون وعلى عكس المؤلف، المدرسة أو الجامعة هي التي تذهب إليه. العلم يسعى إليه محملاً فوق موجات الأثير الهوائية حتى يدخل عليه مجلسه في بيته ومستراحه ومكتبه.

قد يتبادر إلى الذهن أن الجامعة المفتوحة هي أول من فتح باب التعليم في الإذاعة والتلفزيون، ولكن الحقيقة غير ذلك، فالإذاعة البريطانية ذاتها فتحت هذا الباب على مصراعيه منذ أيامها. الأولى في العشرينات من هذا القرن. ففي الوقت الذي كان الأثير في شئ أنحاء العالم. يضحج بموسيقى الجاز، وبالأعلان الصاخب عن التبغ والخمور والمعاجين. كانت الإذاعة في المملكة المتحدة بإذاعاتها المدرسية تغزو المدارس بالمعرفة والعلم المندمج في نسيج المناهج الدراسية. وحذا حذو الإذاعة البريطانية نظم إذاعية أخرى فتدعمت

الوظيفة التعليمية للإذاعة، وأصبحت نظاماً معتمداً معمولاً به. ولو أنها - أي تلك الوظيفة التعليمية، في قلة من الإذاعات ومن بينها مع الأسف إذاعات عالمنا العربي، ما تزال نسياً منسياً.

فقبل إنشاء الجامعة المفتوحة قامت معاهد تعليمية مختلفة الاتجاهات والمستويات معتمدة على الإذاعة والتلفزيون، نذكر منها على سبيل المثال معاهد المانيا الغربية في كل من ميونيخ وتوبنجن وهاجن. ومنها معاهد للتعليم التقني خاصة لعل أهمها هو ذلك المعهد الذي أنشأته بولندة بمعاونة اليونسكو وهو ما يطلق عليه بولنديك التلفزيون. كما أن هناك دولاً عديدة تعزز إنشاء جامعات مفتوحة منها نيجيريا التي تدرس مشروع جامعة الهواء «أحمدو بيللو»، ومنها اليابان وهي أيضاً تشرع في إنشاء «جامعة الإذاعة الوطنية». وهناك النموذج الأمريكي الذي بدأ منذ ستين في جامعة نبراسكا الأميركية على سبيل التجريب وهو موضع الدراسة والمراقبة من جانب الهيئات التعليمية التي تعنى بالوسائل التعليمية الجديدة ومن بينها معمل تليفزيون الأطفال الذي ينتج برامج «شارع السمس» وشركة الكهرباء (وتعرض هذه في برامج الأطفال لتلفزيون المملكة العربية السعودية). وإلى جانب ذلك هناك عدد من الدول أبدت اهتماماً بهذا المعهد سواء من ناحية الغرض الاجتماعي الذي قام من أجله أو من ناحية قيمته التعليمية كمعهد للتعليم العالي، ومن هذه الدول إسرائيل، ومنها أيضاً اليونان التي استقدمت خبراء من الجامعة المفتوحة البريطانية وأنشأت جامعة إيران الحرة.

فالجامعة المفتوحة إذن تتجسم قيمتها الرائدة في كونها جامعة فذة تعادل في المكانة الجامعات النظامية القائمة وإنما تختلف عنها في الغرض الذي أنشئت من أجله وفي الأساليب الجديدة التي تستخدمها في عملية

التعليم.

شروط الالتحاق ومارسات التعلم:

فنياً يتعلق بالغرض الاجتماعي لا تشترط الجامعة في طلبها اشتراطات معينة من حيث المؤهل العلمي أو درجة التحصيل. إنما تشترط شرطاً واحداً وهو أن يكون قد تجاوز الحادية والعشرين من عمره - ذلك أن من دون هذه السن له أن يلتحق بالجامعات النظامية. ما على الطالب إلا أن يقيد اسمه في الجامعة ويدفع الرسم المقرر، وهو لا يقارن بالرسوم الباهظة التي تطلبها الجامعات النظامية، ثم يختار المرح الذي يريد أن يدرسه فيصحب بذلك طالباً تحببه الدراسات.

إذا كانت الجامعات النظامية تستخدم الكتاب والاستاذ والمرشد فالجامعة المفتوحة لا تقتصر على هؤلاء وإنما تستخدم حمزة من الوسائل التعليمية. فهي تستخدم في المقام الأول الإذاعة والتلفزيون حسب برنامج مدروس موضوع في مرشد الطالب الذي توزعه الجامعة على طلابها. وهي تقرر على الطلاب كتباً معينة إلى جانب المراجع التي يوجهون قراءتها. وتستخدم المراسلة بالبريد الذي يعمل إلى الطالب مختلف التوجيهات العلمية والتوصوص الإضافية كما يحمل إلى الجامعة بحوث الطلاب لتصحيح وتقوم وتتيح الجامعة للطلاب استخدام العقل الإلكتروني كما تستخدم ما يعرف بالتعلم المبرمج وهو ضرب جديد من التعلم الذاتي يمارس عن طريق كراسات معدة لمختلف المواد. تشرح الكراسة الموضوع ثم في قسم ثان تمارين موضوعة يجربها الطالب. والقسم الثالث منها يتضمن الحلول الصحيحة ليضاهي الطالب اجابته بالإجابات الصحيحة ويتعرف على أخطائه. ومع التعلم المبرمج يجري الطلاب تجارب شخصية في النواحي العلمية بأدوات يزودون بها. وثمة جزء هام في الخدمة التعليمية وهو الدراسة الصيفية في مقر الجامعة التي

يتعين على الطلاب الانضمام فيها لفترة تتراوح بين أسبوع وثلاثة أسابيع. ومقار الجامعة موزعة توزيعاً جغرافياً في أنحاء البلاد يبلغ عددها حالياً ٢٥٠ مركزاً تيسيراً على الطلاب فلا يتحملون مشقة كبيرة في السفر، وذلك عدا مقار بعض الجامعات النظامية التي اتفق معها لاستخدام معاملها وأجهزتها أثناء عطلة هذه الجامعات الصيفية.

نظرة تقيم

الجامعة المفتوحة التي أنشأها بريطاني والتي تعتمد في ممارسة وظيفتها التعليمية أساساً على التلفزيون والإذاعة معهد حديث العهد جداً فقد افتتح على الدارسين في عام ١٩٧٠ اي انه لم يمض وقت كاف للحكم عليه وعلى فعاليته كجامعة تضارع في المستوى والمكانة الجامعات النظامية القائمة. صحيح ان الجامعة المفتوحة ليست المعهد الأول من نوعه للتعليم العالي فقد سبقه كما ذكرنا أكثر من معهد في أكثر من بلد فيولكنيك التلفزيون انشي في بولنده في أواخر الستينات لتخريج تقنيين تتطلبهم الصناعة. والتسكولا (أو مدرسة التلفزيون) في إيطاليا انشئت في الخمسينيات نحو أمية نحو مليوني مواطن تحت أمتهم فعلاً ثم استمرت فترة من الزمن تنابع تعليمهم حتى لا يرتدوا الى الأمية ثم أغلقت بعد ذلك أبوابها. وأغلب الظن ان المعهد البولوني سوف ينهي هو الآخر مهمته عند تخريج الأعداد اللازمة من المهندسين التقنيين. فقل هذه المعاهد إذن. على الأقل في نظر منشئها. تقدم لأداء مهام طارئة حتى اذا انتهت هذه المهام تكون المعاهد قد استنفدت أغراضها. غير ان الجامعة المفتوحة البريطانية التي تهتم كثير من الدول بأمرها وتفكر في استيراد نظامها ذات وضع مختلف. ذلك انها قامت لتحقيق غاية اجتماعية وليست ضرورة تعليمية ملحة. على انه من الجائز جداً. بعد ان تمتع هذه

التجربة الأخيرة الوقت الكافي لتقييم فعاليتها على ضوء النتائج. وايضا على ضوء نتائج التجارب السابقة واللاحقة المماثلة - تقول من الجائز جداً ان يصدر الحكم لها لا عليها. ومن ثم تعسم هذه المعاهد. وتقوم لتدوم. لا لتؤدي مهاماً مؤقتة مرهونة بظروف طارئة. ولتسوف تمارس آنذاك وظيفتها التعليمية. شأنها شأن الجامعات والمعاهد التقليدية النظامية وأما على سبج مختلفة متبعة اساليب عصرية باستخدامها التلفزيون والإذاعة كالتيلينتر الرئيسيتين في التعليم.

ولماذا يستورد هذا النظام؟

السؤال المطروح الآن هو لماذا يستورد هذا النظام. وما الغاية من إدخاله؟

الجواب على ذلك انه اذا ما أرادت دولة من الدول ان تستورد هذا النظام فانه يتعين عليها أولاً ان تحدد تحديداً واضحاً الغرض من إدخاله.

هل يكون لتحقيق غاية اجتماعية مثل الغاية من إنشاء الجامعة المفتوحة في المملكة المتحدة الا وهي إتاحة الفرصة للذين حرموا من نعمة التعليم في صباهم لتفقرهم او مرضهم او لسبب آخر لا ذنب لهم فيه. مع توافر الموهبة والرغبة الملحة عندهم للتعليم...؟ واذا كان هذا هو الغرض فهل حصراً أولئك المحرومين لتبين هل هم عاقدون العزم على خوض بحار التعلم. وهل تتناسب أعدادهم مع التكلفة والمشقة اللتين يتطلبها إنشاء جامعة من توافر اساتذة ودارسين وإبنية واجهزة ومعدات ؟ وهل بخننا في امكان استيعاب الجامعات القائمة هم حتى. ولو كانوا قد جاوزوا السن ؟

هل ندخل هذا النظام لان البلاد في حاجة ماسة الى انشاء جامعات جديدة نظراً لازدحام الجامعات القائمة بأعداد زاحرة من الدارسين فيها ونظراً لان التوسع في الأعداد

قد يؤدي الى المساس بمستوى التعليم؟ هل لدينا أوضاع اجتماعية معينة. كحجب المرأة وعدم اختلاطها بدينها الرجال في العمل. قد تشجع على ان ننظر الى هذا النظام الجديد كحل مثالي لتعليم المرأة يتيح لنا ايصال رسالة العلم والتعليم المهني الى الفتيات والسيدات المحتجبات؟

اذا كان هذا هو الوضع فعلياً ان نقرر أولاً فرصة هذه الأكوف من المخرجات في العمل. ومدى احتياج المجتمع البين كعاملات. وفي أي المهن بالذات، ثم هل هناك قصور في المعاهد القائمة لتعليم البنات وخطوطها؟

قد تثار هنا مسألة الانسحاب للجامعات وهي مسألة جديرة بالنظر. ولكن ألا يمكن ان تقوم في كل جامعة بتبج نظام الانسحاب ادارة خاصة بالمتسبين تنشي لهم دائرة إذاعة مفتوحة مرئية ومسموعة. تمد اليهم نطاق المحاضرات ثم الى جانب ذلك تستخدم الوسائل الأخرى التي ذكرناها كالمسلة والدراسة في المراكز الصيفية؟

هذه الدوائر اصحت شيئاً ماؤفا شاعا في الجامعات الامريكية.



واذا قبل ان نشر المعرفة للمعرفة ذاتها غاية من الغايات السامية لما تحسب ان هناك حاجة لإنشاء جامعة في الهواء لتحقيق هذه الغاية. فالأجهزة الإذاعية القائمة هي بمثابة المعهد والنبر والجامعة وتستطيع التكفل بهذه الغاية. بل ان واجبا ووظيفة أساسية من وظائفها هي ان تكفل بها. وتكون مقصرة غاية التقصير اذا هي لم تقم بأداء هذه الوظيفة التعليمية الى جانب وظائف الترويح والاعلام والتثقيف.



حركة القلم في يد

الكاتب تمثل صورة حركة الأفكار في ذهنه، ولبائر الدوافع والاحاسيس التي تتفاعل داخل نفسه.

فاذا كانت المعاني أو الأفكار أو العواطف أو الانفعالات حاضرة في ذهن الاديب او في قلبه فلن يكون من العسير عليه استحضار الألفاظ أو التراكيب، أو تأليف الصور التي تفي بالعبارة عنها، الا انها ستتحد على لسانه او قلمه تلقائيا من غير عنت أو معاناة.

وقد يشعر اللسان، ويهتز القلم في يد صاحبه، لأنه يريد ان يقول، ثم لا يجد ما يقول وقد يجار القلم في يد الكاتب لان في عقله وقلبه كثيرا مما يريد ان يقول!!

ولست اشك في ان كثيرا من حملة الاقلام يعانون مثل هذه الخيرة اذا شرعوا في الكتابة أو التأليف لواحد من السببين اللذين ذكرتهما، اما لأنهم لا يجدون ما يقولون او يكتبون، واما لان في جميعهم او في عقولهم ما هو صالح للكتابة أو الحديث ثم تكون حيرتهم في عملية التخيير او الانتقاء.

والكاتب الذي لا يجد ما يقول، ينبغي أن يكف عن الكتابة، وينبغي عنقل قلمه اذا كان يحترم هذا القلم، ويحترم نفسه، ويحترم عقول قارائه، حتى تواتيه الفكرة، أو تنفصح امامه الرؤية، وعندئذ فقط يستطيع ان يثقل قلمه من عقله، ليعبر عن الفكرة التي ملأت عقله، والمشارع التي استفاض بها شعوره والرؤية الواضحة التي استبان امام عينيه وبصيرته. وذلك اذا كان حامل القلم من صناعة الأدب بسبب، أو كان بينه وبينها معاهد نسب، والا كان عليه ان يدع هذا الفن لأهله الذين خلقوا له، وطبعوا عليه.

وليس يعيب المرء الأ يكون شاعرا او كاتباً او خطيباً، كما لا يعيبه الا يكون مصوراً أو مثالا أو موسيقيا فان هذه الفنون من الكتابة والشعر والخطابة والتصوير والموسيقى والنحت وغيرها مظاهر لفدرات خاصة وهي وقف على الموهوبين في كل أمة، من الذين وهبوا الاستعداد، وملكوا وسائل المحاكاة وأدواتها في كل فن من الفنون .. ولا يمكن ان ينال فن منها الرغبة أو الفهم بل ان التحصيل وحده لا يعني شيئا، اذا لم يصحبه الطبع، أو الاستعداد.

وقد نجد عند العارفين من أسلافنا ما يدل على هذا الادراك الواعي لمعنى الخصوصية في الأدب والفنون، وتحذير غير الموهوبين من التكلف في طلب ما لا يحسنون.



شكسبير

مقومات شخصية الأديب

بقلم: د. بدوي طبانة

فولتر



وهذه كلمات لواحد من اعلام المتكلمين، في اقدم وثيقة عربية من الوثائق التي نعدّها اصلا من اصول التفكير الفني عند العرب، وهي صحيفة بشر بن المعمّر (ت ٢١٠هـ) وفيها يقول ما نحن بصدده:

«انك اذا لم تتعاط قرض الشعر الموزون، ولم تتكلف اختيار الكلام المنشور لم يعلبك بترك ذلك أحد فان انت تكلفتها، ولم تكن حاذقا مطبوعا، ولا محكما لسانك، بصيرا بما عليك ومالك، عليك من انت أقل عيبا منه، ورأى من هو دونك انه فوقك .. فاذا ابتليت بأن تتكلف القول، وتتعاطى الصنعة، ولم تسمح لك الطباع في أول وهلة وتعاصى عليك بعد إحالة الفكرة، فلا تعجل ولا تفصح، ودعه يبايض يومك، وسواد ليلك، وعادوه عند نشاطك وفراغ بالك، فانك لا تعدم الاجابة ولا المواناة، ان كانت هناك طبيعة أو جربت من الصناعة على عرق .. فان تمنّع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل عرض، ومن غير طول اجمال فالنزلة الثالثة ان تتحول من هذه الصناعة الى أشهى الصناعات اليك واخفها عليك».

وخلاصة ما أريد التنبيه اليه والوقوف عنده في هذا المقام انه لا بد ان يجتمع عند الكاتب أو الاديب أيا ما كان أمورا!

الأول: الاستعداد الفطري

الاستعداد الفطري لمزاولة صناعة الادب أو جنس من اجناسه .. وذلك الاستعداد الفطري اشبه بالفرائز النفسية التي ركبت في طبيعة الانسان، يستطيع تعليلها أو سموها، ولا يستطيع ازلتها أو القضاء عليها .. ومعنى انه استعداد فطري انه يولد مع صاحبه، ونحيا معه ما عاش، وانه لا يمكن ان ينال بالتوقيف أو التعليم أو التحصيل، وانما هو ملكة راسخة في اعماق صاحبا تصدر عنها اعماله وسلوكه.

وذلك لا يمنع ان هذه الملكة قد تنشط، وقد يزدهر نتائجها، لبعض المثيرات، او في بعض الاحيان كما تخف حدتها، ويخفت بريقها، بتأثير بعض الملابس، وتحت ضغط العوامل والاسباب التي تحول بينها وبين العطاء، حتى يتاح لها ما بعيدا الى العطاء، وييسر لها سبيل الانطلاق الى غاياتها .. ويذكر الرواة انه قيل لكثير: لم تقول الشعر؟ أجبت: فقال: والله ما كان ذلك. ولكن ذهب الشباب فما أطرب ورزيت عرق فما انسب. ومات ابن أبي ليلى فما أرغب..

والاجيال ان ينهي الحافر الى صخر لا يستطيع ان يحفر فيه.

وقد نفى كثير عن نفسه «الاجبال» أو بعبارة اخرى انكر ان تكون شاعريته قد ماتت، لأن الفنية كاملة في نفس صاحبا، ولكنها ضمنت بمكنونها أمام هذه الأحداث والنوازل التي ألمت به، وهي الشباب الذي ولى والحبيب الذي ودع، والكريم الذي كان يتماح منه برّ غير ان هذه النوازل التي عددها الشاعر تبدو وكأنها دوافع لقيض الشاعر، ومثيرات للعواصف والانفعالات في اعماق الشاعر المعمود!!

ولكننا نعرف بالعجز المطلق عن ادراك حقيقة البشرية وسير اغوارها، وقد يكون الصمت عن الجواب ابلغ جواب وقد نبه الدموع في نشوة السرور، وفي فرحة اللقاء، كما نبه من مرارة الاحزان، ومن لوعة الفراق، وقد يضحك الانسان مما يثير الاسى ويبعث الشجون ويستنزف العبرات، حتى قيل «أشرف البلية ما يضحك»!

وما كان لنا ندع كلمة كثير تقضي من غير تعليق، وهي على وجازتها جذرية بأن يقف أمامها القاري مثل هذه الوقفة، وان يعبر عن رأيه فيها في أضيق الحدود، وفي أقل الكلمات، على ان هذه الكلمة الوجيزة التي عبر بها كثير في هذه العبارة المنشورة، لا تقل في ابداعها وجودتها عن المختار من شعره، ولا ينقصها عن الشعر سوى الوزن العروضي .. ولنا ننسى الكلمة التي قالها الاصمعي ليشار «انت في كلامك أشعر منك في أبياتك»!

وخلاصة هذا كله:

- (١) ان الفنية خصوصية كاملة في نفس صاحبا، تثيرها التجارب والانفعالات.
 - (٢) انها تلازم صاحبا، نحيا بحياته، ولا تموت الا بموته.
 - (٣) انها لا تنال بالتلقي أو بالتحصيل، وانما تعان وتنضج بتحصيل ثقافات تتصل بها، وتعتمد عليها وتبني بها.
- ومن ذلك مثلا ان المصور أو الرسام في حاجة الى معرفة تامة بالادوات التي يستخدمها والاصباغ التي يولف بينها، والموسيقى في حاجة الى معرفة طبيعة الأوتار، وما تنبعث من الاصدا والانعكاسات حتى يستطيع ان ينتخير ما يعود العزف عليه، من هذه الأوتار وغيرها من الادوات الموسيقية، حتى يؤدي الاغان، التي يريد تأديتها على اكمل الوجهه التي ينشدها، وكذلك النحات يشعر بالحاجة الشديدة الى معرفة طبيعة الصخور والاحجار التي يعمل فيها ازميله واجود المواد التي يصنع منها ذلك الازميل ويطرده القياس في كل فن من الفنون.
- وذلك بالاضافة الى حاجة كل فنان الى معرفة اصول هذا

الفن الذي يزاوله والوقوف على تقاليده التي اعجبت الناس ورضيت عنها أذواقهم، وتكونت منها معالم ذلك الفن، وعرفت منها أهم خصائصه.

الثاني: القوى العقلية

• مما ينبغي أن يتوافر في الكاتب أو الشاعر هو «القوى العقلية» ولا نعني بتوافر «القوى العقلية» أن يكون الكاتب أو الأديب عالماً من العلماء، أو واحداً من المفكرين، أو أن يجري على نهجهم في الكتابة والتأليف، لأن الأدب لا يقاس بمقاييس العقل أو المنطق. وعالم المعرفة هو عالم الخفايا التي تتبدى إليها عقول المفكرين بعد البحث والتجربة والاستقراء التام للكليات والخصائيات في الاشياء والنظائر، والأدلة القينية التي تجعل هذه الخفايا قابلة للتعميم وتجعلها أيضاً قابلة للتعليم.

وأما الذي نعينه بتوافر «القوى العقلية» أن يكون عند الأديب ما يستطيع به التمييز بين الجيد والرديء والصواب من الخطأ، حتى ينفي عن نفسه مظنة الجهل، وما يفرق به بين

الفتح والجمال، وما يمدد بالافكار والمعاني التي يصبها في القوالب والأشكال الأدبية، وما يساعد على التخيل وتأليف الصور الفنية وكل ذلك هو ما نعينه بقولنا عن الأديب «أن يكون عنده ما يريد أن يقول».. وذلك لأن الأديب ليس ضرباً من ضروب الهذيان، وليس معرضاً من معارض الغفلة أو الجاهلة. وينصرف مثلاً بين فيه الفروق بين «القوى العقلية» اللازمة للمفكر أو العالم «والقوى العقلية» التي نريدها للأديب.

فقد ذكر القاضي في «الوساطة» أن خصوم المنني عابوا عليه قوله:

بليت بلى الاطلاع ان لم افق بها

وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

وقالوا في نقده: «أراد التناهي في اطالة الوقوف»، فبالغ في تقصيره وكم عسى هذا الشحيح - بالغاً ما بلغ من الشح، وواقعاً حيث وقع من البخل - أن يقف على خاتمه؛ والخاتم أيضاً مما لا يخفى في الترب إذا طلب ولا يعسر وجوده إذا فنش.

وهذا النقد كما نرى يقوم على الحجة العقلية، والتفكير المنطقي لأن الشحيح شديد الحرص على خاتمه وليس من العسير أن يعثر عليه، لأن عينه ستسبق الخاتم إلى التراب قبل أن يصل إليه.

ويدافع القاضي عن أبي الطيب بقوله «إن الشاعر إذا قال - وهو يريد اطالة وقوفه - أني أقف وقوف شحيح ضاع خاتمه، لم يرد التسوية بين الوقوفين في القدر والزمان والصورة، وإنما يريد: لأقفن وقوفاً زائداً على القدر المعتاد، خارجاً عن حد الاعتدال، كما أن وقوف الشحيح يزيد على ما يعرف في أمثاله، وعلى ما جرت به العادة في اضربه وإنما هو كقول الشاعر:

رب ليل أمد من نفس العاشق طولاً قطعته بانتحاب

ونحن نعلم أن نفس العاشق بالغاً ما بلغ لا يمتد امتداداً أقصر أجزاء الليل، وأن الساعة الواحدة من ساعاته لا تنقضي إلا عن انقاس لا تحصى كاللحظة ما كانت في امتدادها وطولها وإنما مراد الشاعر أن الليل زائد في الطول على مقادير الليالي، كزيادة نفس العاشق على الانقاس. فهذا وجه لا يرى به بأس في تصحيح المعنى.

وأخيراً يصرح القاضي في هذه المسائل الفكرية بقوله «وإن

أبو هلال العسكري

هو أبو هلال الحسن بن عبدالله. أديب معروف من الأهواز درس بعباد والبصرة وأصفهان. خلف ديوان شعر، وله عدة كتب مثل «التلخيص»، «جوهرة الأمثال»، «مشرح الحاشية»، «الحاشية على تفسير القرآن»، «ما نلح فيه الخاصة»، «ولي الأديب له: «معاني الأدب»، «المصون»، وله في الأخبار: «من احتكم من الخلق إلى القضاء»، «الأوائل»، «ولي البلاغة: «الصائغين: النظم والنثر»، وهو أهم كتبه إذ عالج فيه المعاني والألفاظ وحسن النظم والأجاز والأطبا والسرفات والتشبيه والسجع والأزدواج والبديع. توفي عام ١٠٠٥هـ.

الأصمعي

هو عبد الملك الباهل الأصمعي. ولد عام ٧٤٠هـ. وتوفي عام ٨٣١هـ. لغوي، ولد ومات بالبصرة. درس الحديث، طاف بالوادي فصار حجة في الأخبار والتواريخ واللغة والشعر. عرف بكثرة الخطط ورواية الشعر. نالت رواياته من التوفيق أكثر مما نالت مرويات غيره. ألّف الكثير من الرسائل الغوية الصغيرة، وينسب إليه كتاب تاريخي، وأهم ما وصل من كتبه والتي أعتمد عليها كل من جاء بعده من اللغويين: «خلق الإنسان»، و «معرفة الشراء»، و «الأصمعيات»، وهي اثنتان وتسعون قصيدة ومقطوعة من الرجز اختارها واحد وسبعين شاعراً جاهلياً ومجسدياً وإسلامياً.

كان من الرأي الآيؤخذ الشاعر بهذه الدقائق الفلسفية، ما لم يأخذ نفسه بها، ويتكلف العمل لها، فيؤخذ فيها حينئذ بحكمة، ويطالب بما جنى على نفسه».

ونحسب أن هذا التفريق بين مجالات التفكير العلمي والتفكير الفني محتاج الى تفصيل في بحث خاص.

ونعود الى المعاني الادبية والى النتايع التي تستقي منها، لنرى من هذه المعاني ما يستفاد بالخبرة والتجربة وحشد الذهن بألوان المعارف والثقافات التي تفتق العقول، وتشد الاذهان ومما ما هو طبيعي يرجع الى خصائص الجنس، والى عوامل البيئة والوراثة وغيرها من العوامل التي تؤثر في التجارب، وفي اختراع المعاني وتوليدها، وفي تأليف الصور، وهي تختلف من جنس الى جنس، ومن أديب الى أديب..

الأديب المثقف .. والأديب الغفل

الأديب المثقف والاديب الغفل من

لا عهد لهم به. و«الغربة» في طليعة العوامل التي تجذب الانتباه، وتنشط العقول والقلوب، وتثير شعور الاعجاب، كما ان «الألفة» تغض كثيرا من قم الاشياء، ولاسيما في عالم الفنون. ولا يوصف شيء بالجدة الا اذا كان فيه قدر من الغربة وبالإضافة الى ذلك فان هذه «الجدة» أو «الغربة» مقياس من اهم المقاييس التي تقاس بها عبقرية الأديب، وقدرته على الابتكار وإثبات اصالته وفقددها سبب في وصفه بالعجز أو التقليد والاتباع. وكلاهما يبرّون شخصيته الفنية.

وحديثنا في هذا المجال عن «القوى العقلية» في الفن الادبي يشمل الحديث عن «القوى المخيلة» لانها منابع المحتويات والمضمونات التي تصب في القوالب الادبية، والاختلاف بين الناس في التفكير كاختلافهم في القدرة على التخيل، ولهذا «التخيل» اثره في الاعمال الادبية بعامه، وفي فن الشعر بخاصة.

الثالث: القوى التعبيرية

تركيب الكلام انما يظهر تركيب الفكر، وطريقة تسلسل المقولات التي عن طريقها يفهم العالم .. ولما كان تطور اللغة يوازي تطور الفكر فاننا نجد ان وظيفة اللغة هي التعبير الدقيق عن التجربة ..

ويرى ان لغة الشعر ضرب من الموسيقى، وما توجده من
آثار جميلة انما يرجع الى تركيبها، والى كونها خلعت شكلا غير
منوع على التجربة حبما تباور في صور جديدة.

ثم يقسم الشعراء الى طيقتين:

* طبقة الشعراء الموسيقيين وتكون هذه الطبقة من الذين يسيطرون على اللغة بوصفها «إيقاعاً» فيعرفون متى يجمعون الأنغام ومتى يفردها على تتابع. وهؤلاء يستطيعون أن يولدوا آلافاً من ضروب التأثير الرائعة المختلفة عن طريق تنسيق الأصوات والصور والتدرج بالعاطفة والانتقالات اللفظية المفاجئة، ويجد أمثلة لهذا الفن في خطابة «شيشرون» وفي شعر الحكماء، وفي القصائد الغنائية، وفي الشعر القصصي.

* طبقة الشعراء النضبيين (السيكولوجيين): وهؤلاء لا يولدون تأثيرهم عن طريق ما في اللغة من كمال ذاتي وإنما عن طريق تكيفهم اللغة للموضوعات نكيفا دبقا .. والشعراء المسرحيون هم خير من يمثل هذه الطبقة من الشعراء (السيكولوجيين).

وأما ما كان الأمر فقد رأينا الإشادة باللغة أو القدرة التعبيرية
وبدور الخطير الذي تؤديه في بناء الأعمال الأدبية سواء عند
الشعراء المومنين أو الإلهاة، وعند الشعراء الفسيفس الذين
يكفون اللغة لخصائصها اعلمهم القصصية أو المسرحية. كما
يوشي بها تصورهم للمواقف ودلالة الحوار على ما يدور في
أغاف الشخصيات.

ولن يستطيع هذا أو ذاك أن يحقق شيئاً من غايته في التأثير أو الامتناع أو الانقاع إلا عن طريق الثروة اللغوية أو القوة البيانية التي ينبغي أن يكون على حظ عظيم منها، وقدرة فائقة على التصرف فيها..

صبا غنیا..

ذلك ان الادب ليس تعبيراً عن معان ومضمرات ابا
كانت هذه المعاني والمضمرات لان اصحاب اللغة جميعا
يعبرون عن اغراضهم ، وعن كل ما ينعهم التعبير عنه . وانما
هو تعبير جميل ذو خصائص يتميز بها عما ألف الناس في
تعبيرهم عن هذه الاغراض والمقاصد .

والفاوت بين الادباء انما ينشأ عن تفاوتهم في القدرات
البائية التي يبلغ بها الكلام غايته من الاعجاب والتأثير. وذلك
ما عبر عنه (فولير) في قوله ان الاشياء تؤثر فينا - في الأغلب -
من نواحي اساليبها اي من نواحي القوالب التي تصب فيها لان
نفسنا، كما ذكره لوجيه ⁽¹⁾، ولكن الاسلوب هو الذي
يفرق بين كاتب وكاتب.

بل ان المعاني المتوسطة في الجودة، تلحق بالمعاني الجيدة النادرة اذا استطاع الاديب ان يكسوها كسوة ممتازة، ويعرضها في معرض انيق.

وإذا كان من نقاد العرب من أكد هذه الفكرة وفي طليعتهم أبو عثمان الجاحظ وأبو هلال العسكري في مواضع كثيرة من كتابهما، فإن كثيراً من نقاد الغرب ينحون هذا المنحنى في تقدير التعبير الأدبي وإدائه اللغة ليس غير، وهم مع تقديرهم للمضمونات الأدبية يلحون أحياناً ظاهراً على ضرورة توافر البهجة الحسية الذي يبدو في الأداء اللغوي وفي القوالب والأشكال .. والقاعدة عند «لاس ألبركسي» الناقد الأنجليزي المعروف هي أنه كلما عظم «الأنغام» تطلب قوة فنية أعظم. لكي تعبر عنه، لأن التجربة إذا كثرت وسمت لابد لها من مقدرة على (التعبير) اسمي وأكبر لكي تحمله إلى عمل أي مبتلها تحليلاً صادقا .. ثم يقول أن كبار المؤلفين من أمثال هوميروس ودانتي وشكسبير وملتن لم يستطيعوا أن ينقلوا البناء الأعظم التجارب وإسماها إلا أنهم زرقوا أكبر مقدرة على التعبير اللغوي .. ومثل هذا يؤكد الفيلسوف «جورج سانتانا» في كتابه «الاحساس بالجمال» الذي يقول فيه أن النحو عندما يظهر



قصيدة

(١٨٦٧ - ١٩٣٦م) شاعر وروائي ومؤلف مسرحي إيطالي. فاز بجائزة نوبل ١٩٣٤م. كان أستاذا للأدب الإيطالي بكلية البات الأهلية بروما. بدأ بنظم الشعر. ثم اتجه إلى كتابة الرواية والقصة القصيرة. أعظم مسرحياته التي حققت له شهرة فائقة (ست شخصيات تحت عن مؤلف) ١٩٢٢م وقد ترجمت إلى العربية. و (الليلة نرجل الخليل) وكذلك (هري الرابع). بلغ إنتاجه الأدبي حوالي ثلاثمائة قصة قصيرة. وست روايات. وخمسين مسرحية. تتميز قصصه ومسرحياته بالعمق الفلسفي. وقد ترجمت أكثر رواياته ومسرحياته إلى لغات عدة منها اللغة العربية. كما قدمت بعض مسرحياته في بعض دول الوطن العربي.



ولما عاد (تشنشي) من المدرسة، يكتبه المربوطة بعضها إلى بعض، والمعلقة على أحد كتفيه، وجد أن الكلب لا يزال بالباب، فما كان منه إلا أن ركل الباب بكل ضيق، مع علمه بأن الباب موصد، وأن أحدا لا يوجد بالبيت. وأخيرا لم يجد

في صبر وأناة، جلس الكلب على رجليه الخلفيتين أمام الباب الموصد، منتظرا حتى يفتح الباب ومن حين لآخر، كان يرفع قدمه الأمامية، ويدق على الباب، ولا يتوانى عن إصدار عواء خفيف بين كل فترة وأخرى.



رابعاً في اللعبة؟

أجل لقد كان الكلب يقفز لدى كل رمية. وينبح مع كل ارتدادة لربطة الكتف. وقف الناس ينتفحون بعضهم كان يشتم غضباً. سواء بسبب حماقة اللعبة أو بسبب بهجة الكلب. والبعض الآخر كان يسيط غضباً لرؤيته كتباً غالية الثمن تخبئ كل هذا الامتهان.

وعندما شعر تشنشي بالثمة من جراء اللعب. ألقى بكنبه على الأرض. وراح يجلس مستنداً الى الحائط وكان ينوي ان يجلس فوق الكتف. لكنها انزلت من تحتة. فما كان منه إلا أن هوى بكل ثقله قاعداً على الأرض. فتطلع حواله بتعطية لا تخلو من الشراسة. بينما قفز الكلب الى الوراء.

كانت الشقاوة كل الشقاوة التي مرت برأس تشنشي ترتسم بوضوح واضح على شعره الأصفر بين التين. وعينيه الخضراوتين المتالأتين. كان في سن ستة. أحمرقاً في تفكيره. مندفعاً في سلوكه. وعندما جلس على الأرض سأل منه مخاطبه. وكان قد نسي متدبلة لدى عودته الى المدرسة بعد الظهر. فظل مخاطبه يسيل من منخره. أما ساقاه الطويلتان الممدودتان أمامه. فقد كشفتنا عن أنه لا يزال يرتدي بطلوناً قصيراً. رغم أن هذا البطلون القصير لم يعد يتناسب مع سنوات عمره. وأما ركبته المقرصتان فكانتا بارزتين وفي مستوى وجهه تماماً. يبقى الحذاء الذي كان يلبسه. والذي بدا مسهلماً كما فيه الكفاية لأن الحذاء .. أي حذاء لا يمكن أن يعسد في وجه المعاملة التي يلقاها منه.

شعر تشنشي بالضييق. وبدا عليه الضجر والحزن. فقصم ساقه الى صدره وتمخط. ثم سحب ظهره من على الحائط. ونفض واقفاً استعداداً للرحيل. ولكن الرحيل الى أين؟ .. الى أين يرحل؟ والى أين ينتجه؟

لنتنشى قليلاً في ربوع الريف. عسانا نقطف ثمرة أو ثمرة تين من ثمار التين أو التفاح؟

وعلى الرغم من أن تشنشي لم يكن واقفاً من إمكان حصوله على مثل هذه الثمار. إلا أنه تناول كتبه في تكاسل وبلادة. ووضعها فوق كتفه.

كان الطريق المعبد ينتهي به الى بيته. أما الطريق الذي يقوده الى أعناق الريف فلم يكن بالطريق المعبد أو الموصوف. ولكن .. ياله من إحساس رائع أن يركب الإنسان عربة تعرها

الخبيل. فيصفي لصوت حوافر الخيل. وقفزة العجلار. وهي تعبر من الطريق المعبد الى ذلك الطريق المترب .. حيث لا صوت لعجلات العربة ولا حوافر الجياد. فالأرض المتربة امتصت كل صوت وابتلعت كل ضجيج.

وسرعان ما استعاد تشنشي صورة المدرس عندما يستشيط غضباً. وفؤولة يتحدث يدهو بالغ وصوت رقيق. فيتلاشي التهديد. ويتبرخ الوعيد. ولكنك ياتشنشي. لكي تصل الى قلب الريف. عليك أن تقطع تلك الطريق المتربة تاركاً وراءك مجموعة البيوت التي تقع في تلك الضاحية الوضعية. الى أن



تتفرج بك الطريق فتجد نفسك في ميدان صغير خارج حدود المدينة. بنيت فيه مستشفى حديثة. ما زالت حوائطها البيضاء نظيفة. تبهير البصر في وهج الشمس.

هذا المستشفى هو الذي استقبل منذ فترة وجيزة كل مريض المستشفى القديم. استقبلهم وهم محمولين على القالات. وفي داخل العربات. وكان الاستقبال بمثابة احتفال تقدمه عربات المستشفى يستأجرها التي تعرف على نوافذها الصغيرة. ومن ورائها الحالات المحمولة على نقالات جميلة مصنوعة من الشباك.

بعد مرور فترة من الزمن. كان تشنشي وكتابه قد وصل الى الميدان وكان الوقت قد أمسى متأخراً. فالشمس غابت في الأفق. والتاقهون من المرضى راحوا يطلون بقمصانهم الرمادية وأردبتهم البيضاء من فتحات النوافذ الكبيرة. وقف تشنشي حائراً. تلهو مرارة بالسة فراح يستند الى سياج قديم متفكراً في الكثير من الأمور التي لم يستطع إدراكها: في طبيعة هذه الأمور .. أمه .. كيف كانت تعيش. وعلى من كانت تعتمد في معيشتها؟ إنها لم تكن تتواجد بالبيت على الاطلاق. كما انها

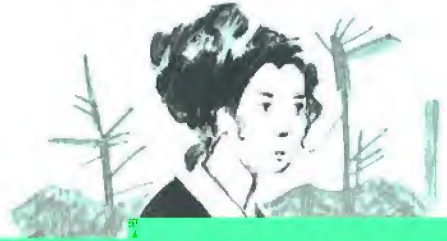
قطب تشنشي جيبته في عبوس، وهو يسير الى اعلى التل، كانت هناك أمور أخرى لا يود أن يفكر بها على الإطلاق. منها مثلاً والده الذي لم يكن يعرف عنه شيئاً بالمرّة. عندما كان صغيراً قيل له ان والده قد مات قبل ان يولد. لكن أحداً لم يقل له من كان أبوه، ولذا لم يعد يهتم بالسؤال. ربما كان هو ذلك الكسيح القابع هناك وقد أفعده شلل جانبه الأيمن. فراح يجر نفسه جراً، حتى يصل الى حجرة الصالون. حيث يقبع فوكس. فيأخذ في النباح لأنه يكره رؤية عكازه.

ما لكل اولئك النسوة اللاتي يتحلقن في دائرة يتفرجن على شيء ما. بطونهن منتفخة لكنهن جميعاً لسن حوامل. ربما كانت واحدة فقط بينهن هي الحامل. تلك التي تعالو بطناً الى الأمام، وتكاد تجر نفسها جراً وهي تمشي على الأرض. وتلك الأخرى التي تحمل طفلاً بين ذراعيها، الطفل يسك بمعطفها وهي تصبح أود. باللقطة الصغيرة من اللحم!

كانت أمه جميلة. ولا تزال شابة وعلى جانب من الجمال. ولقد أرضعته من ثديها عندما كان طفلاً سواء تحت سقف بيتها

أصرت على الحاقه بتلك المدرسة. تلك المدرسة اللعينة. التي كانت بعيدة جداً عن بيته. فكان لزاماً عليه أن يجري كل يوم نصف ساعة على الأقل لكي يلحق بميعاد المدرسة. ثم يعود في الظهر لكي يرجع ثانية الى المدرسة. دون ان يتمكن من ازدياد بلعتين من الطعام. ومع ذلك لم يكن يسلم من اتهام أمه له بالصعلكة وتبديد وقته في اللعب مع الكلب.

كانت توبخه دائماً، وتبغته بالقذارة. وتنعى عليه انه لا يذاكر ويقتصد من النقود التي ترسله بها لشراء الطعام. فلا تعصر لها شيئاً من الطعام الطازج ولكن .. أين فوكس؟





غريبة عنه.

وهكذا يظل تشنشي بعيداً عن جسده، مندبجاً في كل هذه الأشياء التي يراها ولا يدركها، السماء الممتعة وقد غاب عنها ضوء القمر، الأشجار الداكنة وقد لفنها عباءة الظلام. الأرض السوداء الحديدة الاستزراع التي لا تزال تنفوح منها رائحة العطر. وفجأة، على حين كان تشنشي مستغرقاً في أحلام القطة، رفع يده إلى أذنه بتركة تلقائية عندما جاءته من أسفل السور ضحكة صغيرة، ضحكة صبي ربي في مثل عمره، أخفى نفسه وراء السور، بعد أن اقتطف بعض أوراق الأفخوان وصنع منها حبلاً، جعل من نهايته انشوطه، وراح يرمي بها خلسة حول أذن تشنشي.

وحين التفت تشنشي، أشار عليه الصبي أن يبقى ساكناً في مكانه، وإذا به يلقي بالانشوطه على طول الخائط، ثم يحطسها فوق رأس سحلية صغيرة كانت تطل من بين الأشجار وكان الصبي يحاول اصطليادها منذ فترة طويلة، ومال تشنشي يجسده ليشاهد الأمر ولكن السحلية دونما وعي دفعت برأسها قليلاً إلى داخل الانشوطه ولكنها الدفعة التي لا تمكن الصبي من الإطباق عليها بالانشوطه، لذا كان لزاماً عليه أن يتألك نفسه، فلا تهرت يده والا انزعجت السحلية ولاذت بالفرار.

أجل .. أجل .. لقد استطاع الصبي أن يشد الحية في الوقت المناسب تماماً، وإذا بالسحلية ترتعش مثل السمكة في نهاية الجبل الطويل، وقفز تشنشي بشغف من فوق حائط السور، ولكن الصبي خشي أن يختطف منه السحلية، فراح

الصغيرة التي اقتلعها حوافر الحمير التي تعبر الطريق يوماً بعد يوم، وفي كل يوم يزداد الخدار الطريق، ركل تشنشي حجريين بطرف حذائه، ورأهما وهما يطيران في الهواء، وكان الجانب الآخر من الطريق مغطى بزهور الأفخوان، فجمع بعضاً من هذه الزهور حتى تجمعت في يده صلبة من الورد، وخطر على بال تشنشي المثل الشعبي القائل «بانك اذا قذفت بهذه الورد أحداً من الناس، ولصقت به وردة أو أكثر، فإن عدد زيجاته ستكون بعدد ما لصق به من ورد»، ولم يجد تشنشي أمامه سوى

كلية فوكس لكي يرميه بصلبة الورد، باللعجب .. سيع زوجات يافوكس، لقد لصقت بشعرك كل الزهور!

أما فوكس ذلك الصامت، فقد وقف في مكانه، وعيناه مغلقتان، غير فاهم للنكته التي أطلقها سيده، بخصوص زوجاته السبع.

وشعر تشنشي بالتعب، وبعدم رغبته في مواصلة السير، فاتجه إلى يسار الطريق وجلس على حافة السور يتطلع إلى وجه القمر، وهو يبرز على مهل، وضوءه الشاحب يسطع على صفحة السماء المشوبة باللون الأخضر، فإذا به يرى ضوء القمر ولا يراه، تماماً كتلك الأشجار التي تتدافع على ذهنه الواحدة وراء الأخرى، فتتأى بفكره بعيداً عن جسده الصغير، ويظل هكذا .. شارداً بفكره، غير شاعر يجسده إلا بعد فترة طويلة من الزمن، فإذا ما حدث له أن وضع يده على ركبته أو على قدمه المتسخة، أو على حذائه المهترئ، بدت له هذه الأجزاء من جسده، وهذه الأشياء التي فوق جسده، وكأنها جميعاً

بحواره شيء ما لا يدري ما هو بالضبط هل كان فوكس؟ لا يدري! كل الذي يدريه أنه انتزع الحجر من حائط السور، ودون أن يدري ماذا حدث، هوى به على رأس الصبي، وسكن كل شيء وبدا الزمن ذاته، وكأنما قد توقف عن الحركة، وعلاه الذهول أمام مرأى الصبي الصغير الممدد على الأرض. وراح الصبي في غيبوبة، صدره يتنفس ببطيء، وقلبه يبق بفتور، فاجتاح تشنشي الذعر وهو لا يصدق ما حدث، ولا يصدق أيضاً أن هذا الريني سيستعيد وداعته تحت ضوء القمر. إنه لم يفعل ذلك عن قصد، لم يقصد أن يفعل ذلك بل هو لا يدري ماذا فعل؟



واقرب من الصبي بدافع من الفضول وجب الاستطلاع، اقرب خطوة في إثر خطوة ثم انحى فوقه ليراه، كانت رأس الصبي مطبوحة، والدم يتساقط من فمه على الأرض، وجزء من ساقه تعرى .. جزء بين الشراب القطني ورجل البنتلون. بدا الصبي كما لو كان ميتاً فارقه الحياة، وبدت السحلية ملقاة على الحجر ويطنبا الى أعلى، والأنشودة حول رقبته، وبدا المشهد كله أمام تشنشي وكأنه حلم، حلم من أحلام اليقظة، أم من أحلام النوم؟

لا يهم وإنما المهم الآن هو أن يفق تشنشي من هذا الحلم كالثا ما كان، وان ينصرف بسرعة من هذا المكان، وبسرعة ففر تشنشي من فوق حائط السور، والتقط ربطة كتبه، وغدق السير. ومن ورائه كلبه فوكس، وكلما ابتعد عن المكان وهو في طريق العودة، كلما زاد شعوره بالأطمئنان، حتى وصل الى الميدان الخالي، الخالي من كل شيء الا من وجه القمر، لكنه كان قرأ آخر، قرأ ضوءه باهت لا يسمح الا برؤية واجهة المستشفى البيضاء.

والآن عليك يانشنشي أن تسبر مرة ثانية عبر الطريق خلال الفضاحية حتى تعود الى البيت، البيت الذي لم تعد اليه أمك حتى الآن، ولست بحاجة يانشنشي لأن تقدم لها أية تفصيلات عما حدث، ولا عن المكان الذي كنت فيه، فقط ما عليك الا أن تنتظرها أمام الباب.

وإذا كنت تظن ان أمك وحدها هي التي ترى في انتظارك أمام الباب أمراً عادياً وطبيعياً، فعليك انت أيضاً ان تنظر الى الأمر كله بنفس النظرة، والآن كما كنت، واقفاً أمام الباب، مستنداً بكفتيك الى الحائط. فإنك لا تستحق أكثر من أن تظل هناك ... تنتظراً!

يطوح ذراعه المسكة بالحبل عدة مرات في الهواء، حتى ارتطمت السحلية بحجر كبير ملقى على الأرض وصاح تشنشي على الفور «لا .. لا ..» ولكن متى؟ بعد قوات الأوان!

وبلا حراك استقرت السحلية فوق الحجر، ويطنبا البيضاء تلعب في الضوء، غضب تشنشي، فكلم كان يود هو أيضاً بدافع من غريزة الصيد التي ترقد فينا جميعاً، أن يرى السحلية وهي في المصيدة، لكن أن تقتل. هكذا دون أن يتمكن من اللقاء نظرة عن قرب الى عينيها الصغيرتين السريعتي الحركة، فهذا مما يجعله يفقد صوابه، ويتجه الى الصبي بعد انلقى نظرة على السحلية وهي تصدر تشنجاتها الأخيرة، وقد اتنايت الرعدة أرجلها الصغيرة وشملت كل جسدها الأخضر. اتجه تشنشي الى الصبي فدفعه في صدره دفعة قوية طرحته على الأرض، فما كان من الصبي إلا أن نهض على الفور وملاً يده بخفنة من التراب قذف بها تشنشي في وجهه، فجعلته لا يستطيع ان يرى ما حوله، وعلا الغضب وجه تشنشي، وأهاجه طعم التراب في فمه فقبض على قطعة من الطين وقذف بها الصبي فتشب بينها الشجار، وكلم كان شجاراً ضارباً!

كان الصبي الريني أسرع من تشنشي وأكثر تحمكا في رميته، لم يخطئي في رمية من الرميات، وإنما كان في كل رمية يقرب أكثر وأكثر وهو يقذف بقرصات الطين التي لا تجرح، ولكنها تلسع وتضرب بعنف وتقع كالطارق على صدر تشنشي وعلى وجهه وعلى شعره وأذنيه وحتى حذائه، حتى غدا محاصراً غير قادر على حيازة نفسه أو الدفاع عنها فما كان منه إلا أن قفز في اتجاه حائط السور، وبداه مرفوعتان لينتزع حجراً، وفجأة مرق





عناوين المكاتب

الرياض جدة الدمام الخفجي رأس تنورة الخبر

٢٧١٣٢ ٣٤٢٤١ ٢٣٠١١

ص.ب ٢٥٣ ٨١٢ ص.ب ٢٧ ص.ب (٤)



الدراما التلفزيونية

ودورها في إيجاد قيم وع



اختراع التلفزيون وانتشاره



عسلى مدى واسع من

النصف الثاني من القرن العشرين

دفع بعض المؤرخين لاطلاق صفة «عصر

التلفزيون» على هذا العصر بل ان احدث

النظريات الاعلامية - نظرية مارشال

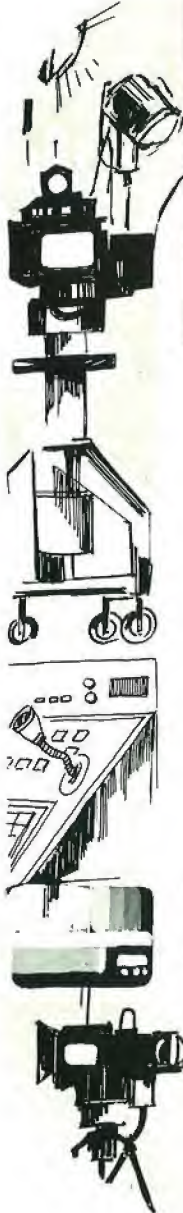
ماكولهان - تقول:

«ان النظام الاجتماعي يقوم الى حد كبير على طبيعة وسائل الاعلام التي يتم بمقتضاها الاتصال، وان التحول الاساسي في الاتصال التكنولوجي يجعل التحولات والتغيرات الاجتماعية تبدأ».

في رأيه ان وسيلة الاتصال هي التي ترسم شكل المجتمع وعلاقاته، فبينما ساهم اختراع الطباعة في تجزئة المجتمعات وابتعاد اسلوب الحياة «السطري» تعود وسائل الاتصال الحديثة على رأسها التلفزيون فتحول العالم الى قرية عالمية، كما تقوى تلك الوسائل العودة الى القبلية في الحياة الانسانية، لدرجة انه يقول ان الجيل الذي نشأ في عصر التلفزيون - كل جيل الامريكيين الذين اصبحوا الآن يبلغون ٢٥ سنة - يعتبرون من رجال القبائل الجدد، عندهم توازن حسي قبلي، وعندهم العادة القبلية للاستجابة العاطفية للكلمة المنطوقة، فهم ساهنوا يريدون المساهمة ويريدون ان يلعبوا ويشتركوا أكثر.

ان الانسان في رأي «ماكولهان» الذي يستخدم حاسة السمع ليس فردا بل جزء من وعي جمعي - وهو القائل بان الوسيلة هي الرسالة - لان الوسيلة هي التي تشكل وهي التي تسيطر على مدى الارتباط البشري وشكله على العمل البشري.

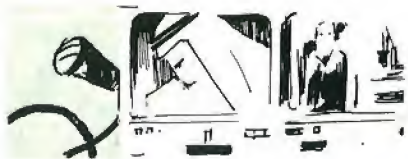
ولسنا في مجال الجدل او عدم التيقن لما يتوافر بهذه الوسيلة الجديدة للاتصال الجماهيري من امكانيات كبيرة واذا كانت الكلمة المسموعة أبسر من الكلمة المكتوبة.



ات جديدة

بقتل: أنعام محمد علي

لما كانت الصورة تعتبر العنصر الأول في التلفزيون، فإن في برامج التعبير غير المباشر، تهتم بارتجاع طريق لها الى عقل وعين المشاهد.



(وخصوصا في المجتمعات التي تصل نسبة الامة فيها الى اكثر من ٧٠٪)، فلاشك ان مصاحبة تلك الكلمة المسموعة بالصورة الحية المتحركة يجعلها اكثر يسرا واشد جاذبية وقدرة على شد الانتباه، من هنا يصبح للداعية المرئية (التلفزيون) قدرة خارقة على الاقناع.

وتتميز وسيلة التعبير بالدراما عن غيرها من وسائل التعبير الاخرى (وسيلة الخير - الحوار - الريبورتاج - الفيلم التسجيلي - البرنامج التعليمي - الاغنية - الموسيقى) بانها اكثر قبولاً لدى نفسية المشاهد، اذ ان المعالجة الدرامية بامكانها ايها المنفرج بالواقع وتجسيد ذلك في شكل ديكور وملابس وشخوص ومواقف درامية يرى فيها المشاهد نفسه، ثم يحاولها كشف الاشخاص امام انفسهم، وعن طريق التوحد يرى المشاهد نفسه وكأنه هو الذي يحدث له نفس الشيء فيبدأ في اعادة التفكير في الكثير من سلوكه السابق واعادة ترتيب قيمه ومعاييره ولكن ليس هذا بالامر الهين - فلقد ثبت ان لا كثرة وسائل الاعلام ولا مضاعفة الوسائل والقنوات - تحدث بالضرورة زيادة مقابلة في تغيير سلوك وعادات المشاهدين. وانما للطريقة التي تؤدي بها دخلا في فاعليتها فقد تؤدي الطريقة التي يعالج بها الموضوع الى عدم وصول الهدف المرجو منه كما يجب للمشاهد، ويحدث هذا غالبا عندما يكون المستقبل خارج الاطار الدلالي للمرسل، او قد تساعد هذه الطريقة في المعالجة عوامل التعديم النفسية لدى المشاهد فتزيد من تدعيم افكاره وتقويها.

وربما تؤدي ايضا هذه المعالجة الى تنشيط العوامل الانتقالية فيندفع المشاهد الى مقاومة التغيير محافظة على توازنه النفسي. وقد تؤدي المعالجة الموضوع ما في السطحية والسذاجة مما يدفع المشاهد الى السخرية منها والاعراض عنها. فتحتاج وصول مضمون الدراما للتلفزيونية يتوقف الى حد كبير على القالب او الشكل الذي صبت فيه - من حيث السيناريو - او طريقة تفسير النص وتنفيذه (الاخراج).

النص التلفزيوني (السيناريو)

عند كتابة النص التلفزيوني لبرنامج درامي يهدف الى تغيير يوضع في الاعتبار ان هذا العمل يتدرج تحت ما يعرف بالدراما الموجهة، ومن هنا تعطى البطولة للمضمون المراد ابرازه، بحيث توضع كل العناصر في خدمة المضمون ابتداء من كتابة السيناريو الى كل ما يتعلق بتنفيذ هذا النص.

وقد وجد ان شكل «الاسرة» من أنجح القوالب التي تقدم فيها هذه الموضوعات باعتبار ان هذا القالب يتوافق مع طبيعة التلفزيون كجهاز منزلي، كما انه لما كانت الاسرة هي الخلية الاولى للمجتمع فمن الممكن ان تتوافر في شكل «العائلة» المرونة الكافية لاستيعاب كل الافكار التي يراد صياها في البرنامج، سواء تلك الموجهة للاسرة ككيان قائم بذاته او فيما يتعلق بعلاقتها بالمتنوع وانعكاس ما يحدث فيه عليها. وفيما يتعلق برسم الشخصيات نجد انه لا بد ان يتوافر فيها قدرتها على الخروج من التخصص الى التعميم.

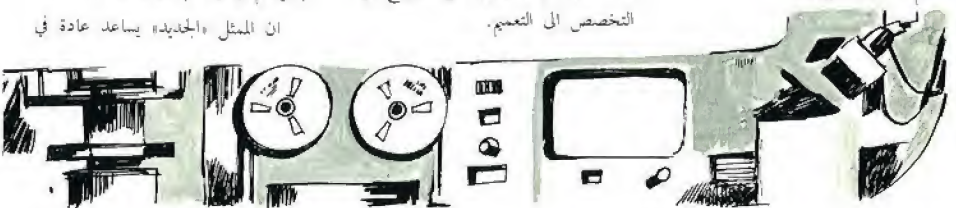
وتختار الاحداث بحيث تتحول الشاشة الى مرآة يمارس المشاهد نفسه فيها واقع حياته اليومية وليس أمام احداث مصنوعة تحكيها الحبكة المنطقية (بداية - وسط - نهاية) لان واقع الحياة الفعلي يتناهي مع هذه الحبكة المنطقية.

ولهذا فمن المستحسن ان تعالج هذه الموضوعات دراميا فيها يعرف بدراما المواقف، التي تربط فيها بينها وحدة الفكرة او فيها يعرف بتعبير آخر (الريبورتاج الدرامي) الذي يقوم على نقص تفاصيل واقع الحياة اليومية والاختيار من بينها لما يمكن تعميمه وصياغته فنيا وقد يستخدم (كسر الايهام) في النص التلفزيوني الدرامي لمثل هذه البرامج للوصول الى علاقة سريعة ومباشرة من المشاهد.

الاخراج

كما سبق ذكره فان كل عنصر - في مثل هذا النوع من البرامج - يجب توظيفه لخدمة المضمون.

فاختيار الممثلين لهذه البرامج يحسن الا يكون من بين النجوم المشهورة، اذ ان النجم المشهور غالبا ما يكون سجين دور معين من الصعب تحريره منه، كما انه عادة «يسرق» الكاميرا من (المضمون) فيصبح اهتمام المشاهد منصبا على حركات وسكناات النجم - ملابس وتزيينه شعره - ويتقهقر (المضمون) الى المقام الثاني بعد النجم، بل ان بعض النجوم لشدة نجوميتهم - يلغي وجودهم وصول أي مضمون الى المشاهد. ان الممثل «الجديد» يساعد عادة في





الدكتور للخدمة المضمون في مثل هذه البرامج.

وما ينطبق على الدكتور في هذا الخصوص نجد انه ينطبق على الملابس، فارتداء الشخصيات للملابس بسيطة - كالتى يرتديها المشاهد وهو يشاهدهم - يسهل على تلك الشخصيات في معظم المواقف ان تختلط بالمشاهد دون ان يشعر ادنى غربة بينه وبينهم.

وإذا كان الماكياج يعتبر احد العناصر التي تنسب الى معظم البرامج التلفزيونية خاصة بالنسبة للمسئلات والمذيعات، حيث تسبب المبالغة في التجميل وتصنيف الشعر واستخدام الباروكات - تسبب عادة في افساد ان لم تكن الاطاحة بكل ما رسمه المؤلف والمخرج للشخصية. الا ان هذا العنصر في برامج المرأة المعالجة دراميا، يجب استخدامه بقدر محسوب للخدمة المضمون. فالسبابة والاعتدال على الشكل الطبيعي للممثل - في حدود متطلبات الاضاءة والكاميرات التلفزيونية - يساعد على اقناع

«الايهام» بالواقع ويخضع لكل ما تتطلبه الشخصية من أداء وملابس وماكياج.

ان حرفة الاداء التمثيلي الذي يغلف عادة بعض التمثيلات التلفزيونية ويطبعا بطابع المبالغة - هذا الاداء لا يصلح لتمثيل تلك البرامج الدرامية التي تعالج هذه الموضوعات حيث قد يخفي المضمون خلف الصراخ او الانفجار الزائد عن الحد. ولهذا يجب ان تسود السبابة، حتى عندما تختل المناقشة في بعض المواقف فيجب الانسحاب منها مناقشة داخل منزل لا يجب ان يزيد احتدادها عن قدر محسوب.

ان الاداء التمثيلي في مثل هذا النوع من البرامج يجب ان يوجه المشاهد بان ما يراه هو الواقع ولكن دون ان يؤدي هذا الايهام الى تعديره فال المطلوب هو جذب المشاهد الى البرنامج ولكن المطلوب ايضا مشاهد مفتوح العينين لا مفتوح الفم.

وقد يستخدم احيانا اسلوب الاداء التمثيلي المباشر الموجه للمشاهد لكسر الايهام، ويمكن ان يتم ذلك بمخاطبة

المتفرج او توجيه الكلام الى شخصية توضع في مكانه.

المتفرج، ويربط كل عنصر مضمون

بما كانت الصورة تعتبر لعنصر الاول في التلفزيون، فان برامج التعبير غير سبابة هذه التي لا يجد متفرج ان عن وعقل متشدد باستخدام الحركة التي تجعل المشاهد يتفرج تفصيل لبرنامج مع واقع الحياة اليومية. وكل من يتفرج يشعر ان لم يكن يفر في امرأة وليس في جهاز يؤدي فيه المشدود دون ان يرى نفسه هو

البرامج، ورد كل شيء في واقع حبه اليومية، هي الاسس التي يقوم عليها مستخدم عنصر الدكتور والملابس والماكياج.

واكثر المشاهد حارة تلك التي تدور في حجرة منزل ولا يجب ان يوجد احد في سحري، بل في شخصيات البرنامج يمكن في التمثيلات والتصور ويعتبر على التفرج بسهولة في افهم العبارات. وليس من يمكن حصر الاستخدامات التي ينفذ فيها

واحد عند تدور في حجرات السرور والشخصيات تؤدي دورها بها هي

تأكل وتغلق ملابسها وتلبسها وتسعد للنوم او تسقيط منه، والحركة تناسب من حجرة الى اخرى - ان هذا باختصار حياة يومية تنقلها الكاميرا كوسيط مخفف، في هذا النوع من البرامج لا يحتاج الأمر الى حركات بهلوانية بالكاميرا ولقطات في غير مكانها وتوقيفها، كذلك فان الايقاع هنا يجب ان يعكس ايقاع الحياة العصرية، ليزيد من تعميق الاحساس لدى المشاهد بان ما يراه هو الواقع، ويظل مشدودا طوال مدة عرض البرنامج، دون ان تتاح له فرصة ملل تجعله ينصرف عن الشاشة - وبهذا يصبح الطريق ممهدا أمام المضمون للوصول الى المشاهد في يسر وسهولة.

ان اللفظة يجب ان تكون دائما «غنية» بما تعبر عنه، والتتابع من لفظة الى اخرى يجب ان يكون له خط مرسوم بهدف ابراز مضمون معين. وإذا كان التلفزيون - كما يقول ماكولها - (وسيلة اللفظة الكبيرة)، فانه في مثل هذه البرامج - يصبح استخدام

(اللفظة الكبيرة) كثر ضرورة. لان هذه اللفظة قد يفرق فيه من تركيز وما تفرقه من تفاصيل تعمل على لاسراع توصيل المضمون، فكل من يعد مهمة يمكن ان تضع وسط ربحه اللغات الموسعة ان جهد لا يخرج في هذه الدراما الموجهة، يجب ان يتضاعف، مستخدما كل التجميل الفنية من اداء تمثيلي رفيع المستوى وحركة فنيي باخوية ويضع محسوب بدقة حتى يمكن للمشاهد ابتلاع برنامج عما يسمعه من افكار وتوجيهات. كقصر دواء على الدكتور

مسابقة مجلة الفيصل

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١- قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على ثلاث جوائز على النحو التالي:

أ) الجائزة الاولى ٥٠٠٠ ريال

ب) الجائزة الثانية ٣٠٠٠ ريال

ج) الجائزة الثالثة ٢٠٠٠ ريال

وهناك سبع جوائز أخرى قيمة كل جائزة اشترك في المجلة لمدة عام.

٢- المطلوب الاجابة على جميع الأسئلة .. وأرفاقها مع قسيمة

العدد الخاصة بالمسابقة موضحة عليها الأسم ثلاثيا او رباعيا

- ان امكن - مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة

الجائزة الى المشترك في المسابقة حالة الفوز.

٣- ترسل الاجابات على العنوان التالي:

(الرياض - المملكة العربية السعودية - مجلة الفيصل -

ص.ب (٣) المسابقة).

٤- أية اجابة تصل بعد ٣٠ يوما من صدور العدد لا يلتفت اليها.

٥- ننصح بمتابعة اعداد المجلة لان أغلب اسئلة المسابقة سوف

يجدها القارئ في ثنايا المواضيع المنشورة فيها.

٦- من حق القارئ ان يشترك باسمه في المسابقة الواحدة اكثر من

مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

السؤال الأول:

انشأ (دار الندوة) في مكة المكرمة .. وكانت له سدانة الكعبة .. من هو ؟

السؤال الثاني:

في اي عام كانت حجة الوداع ؟

السؤال الثالث:

ايها اصح بلجع مدير: (مدراء .. ام مديرون) .. ولماذا ؟

السؤال الرابع:

حينما يسير الثامن يحمل احدهما العلم الوطني .. ويعمل الآخر علم دولة اخرى .. فأيهما يكون الى اليمين ؟

السؤال الخامس:

اين توجد هذه القصور:

قصر المشي - قصر الحمراء - قصر غمدان - قصر عابدين - قصر بكنجهام - قصر فارنيزي.

السؤال السادس:

وزير مفوض - قنصل - من وظائف السلك الدبلوماسي .. ماذا يقصد بها ؟

السؤال السابع:

ما هو الميكرون .. والمليمكرون ؟

السؤال الثامن:

بلغ عدد الصحف اليومية في العالم حوالي (١٣,٠٠٠ - ١٧٥,٠٠٠ - ٢٥٠,٠٠٠ صحيفة) عين الرقم الصحيح ؟

السؤال التاسع:

ما هو المعدن الوحيد الذي يوجد على هيئة سائل في درجة الحرارة العادية ؟

السؤال العاشر:

شجرة التفاح .. بعد كم سنة تعطي اول ثمارها ..

وكم عدد الكيلوغرامات التي تنتجها الشجرة الواحدة ؟

مسابقة مجلّة الفصيل
(العدد الثالث)
الاسم:
المعلم:

شركة الاسمنت السعودية

سامة محدودة



تعتبر هذه الشركة لبنة قوية
في صرح البناء والتقدم في
المنطقة الشرقية من المملكة العربية
السعودية. فإنتاجها اليومي يبلغ
١٣٢٥ طن ..

ورأس مال الشركة المصروح به ٨٤٠ مليون ريال ، بينما
رأس المال المدفوع ٣٦٧,٥ مليون ريال .. وهي تنتج الأنواع التالية:

- **اسمنت بورتلاند عادي**
- **اسمنت أبارالزيت**
- **اسمنت مقاوم للأحماض**

وتعتبر هي الشركة الوحيدة المنتجة للنوع الأخير من
الأسمنت في المملكة .. كما أنها تقوم بتوزيع إنتاجها العام على المستهلكين
حسب السعر المحدد من قبل الدولة ..

وضمن خططها المستقبلية تزمع شركة الأسمنت السعودية
بالدما م توسعة مصنعها على مرحلتين يبدأ القرن الأول في التوسعة
إنتاجه في شهر رمضان بطاقة إنتاجية يومية ١٥٠٠ طن ، والقرن الثاني
في شهر محرم القادم ليصبح مجموع الإنتاج الكلي ٤٣٢٥ طن يوميا

وفي نطاق سياستها لتعميم إنتاجها بمنطقة الخليج العربي تكونت
شركة الأسمنت السعودي البحريني لتبدأ إنتاجها بإذن الله بعد ثلاث
سنوات تقريبا بطاقة يومية قدرها ٦٠٠ طن .

إن شركة الأسمنت السعودية مثال حي للتقدم التكنولوجي
في هذا المجال بمنطقة الخليج العربي .

المركز الرئيسي : الدمام - المملكة العربية السعودية

برقياً : الأسمنت - الدما م

تلكس رقم : ٦٠٦٨ س.ت ٦٠٣ ص.ب ٣٠٦

مباد

دائرة المعارف

١

أبها:

حاضرة مقاطعة عسير، وهي مدينة تتمتع بمناخ طيب وطبيعة ساحرة جعلتها مقصد المصطافين والسياح من مختلف الجهات، حيث ترتفع عن مستوى سطح البحر بحوالي ٢٠٠٠ متر، وهي مدينة ذات تاريخ موغل في القدم، حيث تعود إلى ما قبل الميلاد بسافة عام، وكانت تسمى آنذ باسم (هيفاء) أو (إفا) وكانت إحدى المدن الكبرى في دولة سبأ، ويمكن أن بالقيس كانت تعتمد عليها في تأمين المواشي اللازمة لقوافلها التجارية.

ولقد فوّق مرتفعات سارة عسير التي يبلغ ارتفاعها أكثر من (٢٠٠٠) أي متر فوق مستوى سطح البحر. ومن ثمّ سمّاها ثمار وتنفّس هناك لامتياز من آن لآخر وعلى امتداد شهر عديدة من العام لما يجعلها بقعة غنية بالسياح والزهور والبراريح علاوة على استمرار جريان المياه هناك. ومن أجمل المناطق الخلقة - تصيف السودة التي تمتد الطريق اليه من قلب مدينة أبها بطول ٢٠ كم، وكذلك منطقة الخلة (السفل والعليا) ذات الطبيعة السحرة والتي يزورها الكثيرون من الأدهني طلباً للاستمتاع بجمالها.

ب

برج أبيقل

يقع هذا البرج في مدينة باريس العاصمة الفرنسية - عام ١٨٨٩م. وهو مشهور لدرجة ان اعداد كثيرة من السياح تزود لمشاهدته سنوياً. وقد بناه اسكندر جوستاف ايفل الذي سمي باسمه. ويبلغ ارتفاع البرج ٩٨٤ قدماً. ولقد كان حين شيد هذا البرج أعلى بناء في العالم. ولكن بعد ٤١ عاماً ببيت نامضة

السحاب في نيويورك حيث صارت أكثر منه ارتفاعاً وهي (عارة كوريزلي) اما الآن فإن عارة (الإمبارستيت) تعلو عن برج أبيقل حوالي ٣٠٠ قدم.

ويتكون برج أبيقل من ثلاثة طوابق وبالقرب من قته توجد شرفة يستطيع الانسان منها ان يرى الى مسافة ٥٠ ميلاً أو أكثر، وبعض الزوار الذين يصلون الى هذه الشرفة قد يصابون بالدوار.

وللبرج فوائد عديدة عدا الناحية السياحية، اذ يستخدم كمخطة للأرصاء الحيوية. كما نقلت الرسائل اللاسلكية والرسائل الراديو ترسل منه بعدة سنوات. وخلال السنوات الأخيرة كان يستعمل في نقل برامج التلفزيون.

ت

التسجيل التجاري:

صدر نظام التسجيل (السجل) التجاري في المملكة العربية السعودية عام ١٣٧٥هـ حيث يلزم كل مؤسسة صناعية أو تجارية بأن تقوم بإدراج اسمها ضمن الشركات المسجلة بمكاتب السجل التجاري. والغاية من المدن الرئيسية بالمملكة. ويعتبر ذلك أيضاً سائراً على مشروع المؤسسات التجارية الأجنبية والوكلاء السعوديين الذين يمثلونها. أو عند إنشاء وحدات أو فروع إضافية لها.

وتتم إجراءات التسجيل التجاري بتقديم نموذج الطلب المخصص للسجل. بعد استيفاء المعلومات اللازمة مثل اسم المؤسسة وأصحابها وجسباتهم وحصصهم برأس المال، ومشاطات هذه المؤسسة التي تزعم القيام بها وموقعها.

ث

ثريا:

في الفلك عنقود مفتوح في كوكبة الثور، يحتوي على بضع مئات من النجوم، أبعادها من ٣٢٥ إلى ٣٥٠ سنة ضوئية، ولكن يظهر منها للعين ستة فقط، أطلق عليها اسم (الشقيقات) السبع إشارة إلى سبعة أبناء لأطلس، والنجم العنقودي، وتذكر الأساطير أن الشقيقة السابعة مفقودة أو غائبة، وفي الحقيقة يمكن رؤيتها بالمظار الفلكي، وربما كانت قديماً أكثر لمعاناً بحيث تبدو للعين المجردة.

ج

جمال الدين الافغاني:

محمد جمال الدين الافغاني بن السيد صغفر من بيت كبير في بلاد الأفغان. ولد عام ١٢٥٤هـ/١٨٣٨م كاتب وخطيب ومصلح اجتماعي وسياسي. هاجر من بلاده إلى مصر واتخذ من بيته في القاهرة ملتقى للتلاميذ ومريديه من طلاب العلم. أصدر صحيفة (العروة الوثقى) مع تلميذه وصديقه الشيخ محمد عبده، وترك عدداً من الآثار المكتوبة منها رسائله في (الرد على الدهريين) و (تتمة البيان) وهو مختصر في تاريخ الأفغان، وكتب كثيراً من المقالات في مجلة (ضياء الخافقين) التي اشترك في تحريرها وكانت باللغة العربية والانجليزية وقد توفي عام ١٨٩٧م.

ح

الحديث:

لغة الخبر، وقد أطلق اصطلاحاً على ما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم وأقواله وأحواله وأعمال الصحابة وأحوالهم. وعلم الحديث هو الدراسة التي تنصب على ذلك، وقد أفرده الأئمة الأولون علماً سموه «مصطلح الحديث» ليتوصلوا إلى تمحيص ما يروى عن الرسول فينتقوا على صحيحه الخالص من شائبة التحريف والتصحيح وتمييز الناسخ من المنسوخ. وفي

كل حديث (سند) أو إسناد يبين الراوي أو الرواة و «متن» هو موضوع الحديث، والصحابة هم أول مصدر للحديث ثم يجيء بعدهم التابعون وتابعو التابعين.

ومن أوائل الكتب التي ألقت في الحديث موطأ مالك (ت ١١١هـ) وابن جريج (ت ١٥٠هـ) ثم مجموعة البخاري (ت ٢٥٦هـ) ومسلم (ت ٢٦١هـ) وابن ماجه (ت ٢٨٢هـ) والنسائي (ت ٣٣٨هـ) والدارقطني (ت ٣٨٥هـ) والمعروف أن عمر بن عبد العزيز هو الذي دعا إلى تدوين الحديث، ولم ينشط هذا التدوين إلا في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة، حيث بلغ مداه في القرن الثالث بظهور كتب الحديث الكبرى.

خ

الخطابة:

وجدت الخطابة قديماً مع الشعر، وقد برع فيها العرب، وكانت الخطابة أحد أسلحة القبائل للتفاخر والغلبة، وكان الخطيب هو المتحدث عن القبيلة في الجاهلية، فكان لذلك من أثرها، ونجى منزله بعد الشاعر مباشرة وكان الخطيب يتميز بالفصاحة وجهاة الصوت وعدم التردد وسرعة البديهة والقدرة على الإشادة بالقبيلة.

ومن أشهر الخطباء العرب قيس بن ساعدة الأيادي إذ يقال انه اول من علا على شرف وخطب عليها، وأول من قال (أما بعد) وأول من اتكأ على عصا أو سيف عند خطبته. وأكثم بن صيفي بن رباح وكان من رؤساء حكام العرب وبني تميم وذو الأصبع العدواني الذي عاش نحو من مائة وسبعين. أما الخطبة الدينية فقد عرفت منذ ظهور الإسلام ثم صارت شعيرة دينية في صلاة الجمعة وتسبقها الصلاة في غيرها.

د

الدرعية:

مدينة ذات تاريخ حافل، ومنها انطلقت بذور توحيد

ر

رابطة العالم الاسلامي:

عقدت وفود العالم الاسلامي مؤتمرا في مكة المكرمة بين ١٤-١٦ ذي الحجة من عام ١٣٨١هـ وقد تدارست قضايا العالم الإسلامي، واتخذت عدة قرارات وتوصيات. ومن هذه القرارات تأسيس هيئة إسلامية مقرها مكة المكرمة تسمى (رابطة العالم الإسلامي).

وتهدف هذه الرابطة الى تبليغ دعوة الإسلام وشرح مبادئها وتعاليمها وحض الشبهات عنها ومجاهدة المؤامرات الخطيرة التي يربد بها أعداء الإسلام فتنه المسلمين عن دينهم وتمزيق وحدتهم وأخوتهم. والنظر في القضايا الإسلامية بما يحقق مصالح المسلمين وأمانهم وحل مشاكلهم.

وشرف على الرابطة مجلس تأسيسي يقوم برسم سياسة الرابطة، ويجتمع على شكل هيئة عليا دوريا خلال العام بدعوة من الأمين العام.

ومثل الأمين العام الرابطة لدى سائر المراجع الحكومية والشعبية، كما يقوم بالإشراف على تنظيماتها الإدارية وهو المسؤول عن تنفيذ القرارات.

وتصدر الرابطة مجلة شهرية ذات مواضيع وبحوث جيدة باسم مجلة (رابطة العالم الإسلامي) وقد صدر العدد الأول منها في ربيع الأول ١٣٨٣هـ.

ز

زرقاء البامة:

من بني جدبس بالبامة قبل الإسلام .. وكانت مضرب المثل في حدة البصر، لما أقبلت جموع حسان بن تبع الحميري، رأتهم فيها روي من مسيرة ثلاثة أيام، وأنذرت قومها، فلم يصدقوها، فاجتاحهم حسان، يقال لها زرقاء لزرقه عينها و «زرقاء جو» وجو اسم البامة، صار اسمها وقصتها رمزا شعريا من رموز الشعر العربي الحديث.

الجزيرة العربية، تقع قرب مدينة الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية على بعد حوالي ١٣ كم الى الشمال الغربي.

وكانت الدرعية يطلق عليها قديما اسم (غبراء) ثم عرفت فيما بعد باسم (العودة) ثم (عودة الدرعية) ثم (الدرعية) والغبراء اليوم على بعد حوالي ٣ كم الى الجنوب الغربي من قلب الدرعية الحديثة.

والغبراء كما جاء في (معجم البلدان) لباقوت الحموي: هي الأرض الحمراء والمقصود بالحمراء الأرض الخصبة، ويرجع سبب خصوبة هذه الأرض الى وادي حنيقة الذي يتجفن الدرعية بين ضفتيه.

وفي عام ١١٣٩هـ/١٧٢٢م استقل الإمام محمد بن سعود بن مقرن بولاية الدرعية، واتخذ منها عاصمة للملكة وتبوأت مكانتها منذ هذا التاريخ، وازدهرت بالعمران، ونشطت الحركة التجارية بها، وقد نعمت بأسباب العزة حينما التجأ اليها المصلح الكبير الشيخ محمد بن عبد الوهاب قادما من العينة. وأصبحت منارة للعلم والدين حيث كان الشيخ ينظم حلقات الدرس بمسجدها الجامع وفي منزله.

والدرعية اليوم تمر بمرحلة هامة من تاريخها الجيد عمرانا .. واقتصادا .. وتعلما .. وقد انشئت مؤسسة علمية باسم (مؤسسة الدرعية) مقرها الرئيسي حاليا سويسرا .. وتساهم مؤسسة الملك فيصل الخيرية في إنشاء هذه المؤسسة العالمية ذات الصبغة العلمية مهمتها إجراء أبحاث عن إمكانية استغلال الطاقة الشمسية في السعودية.

ذ

الذهب:

عنصر فلزي سهل الطرق والسحب لا يصدأ وتعمل منه أوراق الذهب، أصفر لامع يختلف لونه بمرجه مع معادن أخرى، معروف من الأزمنة القديمة وهو موصل للكهرباء وتناطه الكيماوي ضئيل، ويعبر عن عنتوى الإثابة (الخلط) من الذهب بالقيراط (باعتبار القيراط مساويا لجزء من ٢٤ جزء بالوزن من الكتلة المليية، ولذا يقال ان الذهب الخالص مساويا ٢٤ قيراطا) والذهب هو الفلز المختار لصنع العملة المعدنية، ويدخل في صناعات عديدة منها: الحلي والأسنان وروؤوس الأقلام.

(س)

سافكو:

قامت المؤسسة العامة للبترول والمعادن (بترمين) بإنشاء شركة مساهمة سعودية للأسمدة تدعى شركة الأسمدة العربية السعودية (سافكو) كشركة مساهمة سعودية مركزها الرئيسي مدينة الدمام بالمنطقة الشرقية، ومهمتها انتاج وتخويل وتصنيع الأسمدة بجميع أنواعها وتسويقها والاتجار فيها داخل المملكة وخارجها، واستغلال الغاز المتوفر في المنطقة الشرقية من المملكة في الانتاج وتخويل وتصنيع الأمونيا والكبريت الخام ومشتقاتها مع تسويقها والاتجار فيها داخل المملكة وخارجها وذلك بإنشاء مصنع لهذا الغرض ومد خط أنابيب الغاز إليه.

(ش)

شط العرب:

نهر يتكون من التقاء نهرى دجلة والفرات، ويصب في الخليج ويبلغ طوله من مصب «كرمة علي» حتى الخليج حوالي ١١٠ كم ويكون الحدود المشتركة بين العراق وإيران، ابتداء من جنوب البصرة بحوالي ٣٠ كم حتى المصب، وهو صالح للملاحة، إذ تدخله البواخر ذات العاطس الذي يبلغ حوالي ٩٧٥ سم، وتصل الى ميناء البصرة في أثناء المد الذي يرفع مستوى النهر الى ٣٠٥ سم تقريباً. وتحيط به بساتين النخيل التي تكون أكبر غابة للنخيل في العالم.

(ص)

صخور الرخام:

صخر متحول له نسيج حبيبي متوسط، ينتج عن تحول الصخور الجيرية بفعل الحرارة خاصة عند تدخل الكتل التارية فيها، ولونه يتفاوت ما بين الأبيض الى الأسود الداكن وكثيراً ما توجد به عروق معدنية رفيعة لأكاسيد فلزية مختلفة خاصة الحديد، ويكتسب الرخام لونه الجميل، ومنظره الجذاب بعد ما يتم صناعته. وصخور الرخام توجد بكثرة في المملكة العربية السعودية وتنتشر في مناطق عدة مع صخور الدرع لحق ما قبل الكامري بمنطقة جبل ياديم وقرسان وعقيف وظالم في طريق

جدة الرياض، وطريق جدة مكة، المدينة، واستعماله كثيرة في عمليات البناء وفي الديكور.

(ض)

ضمير:

اصطلاح نحوي يطلق على الاسم الدال على المتكلم والمخاطب والغائب في مقابل الاسم الظاهر أو المظهر وسماه الصريون المضمير أيضاً، أما الكوفيون فسموه الكناية، وينقسم الى منفصل ومتصل، والى ظاهر ومستر .. واجب الاستتار وجائزه. والى ضمير رفع وضمير نصب وجر، وكل الضائير مبنية ومعرفة.

(ط)

الطبري:

أبو جعفر محمد بن جرير، المتوفى سنة ٣١٠ هجرية، والطبري في رأي النافدين ثقة في تاريخه، ثقة في تفسيره، اعتمد عليه المؤرخون والمفسرون الذين جاءوا من بعده، فأكثر الروايات التي سجلها في تاريخه وفي تفسيره تعد نصوصاً تاريخية، والروايات التي جمعها في مؤلفيه، منها ما أبدى رأيه معترضاً أو مؤيداً، ومنها ما ترك أمر تحقيقه للذين يأتيون من بعده.

(ظ)

ظروفات:

اصطلاح في الموسيقى العربية لضرب في الابعاعات .. زمان دوره (١٣ من ٨) والأصل فيه دور من مثنو خفيف ثقيل المتساوي الرباعي .. يدخله الادراج بنقرات خفيفة زائدة في جزئه الثالث .. وفي فاصلته.

(ع)

العلامات الفارقة (التجارية):

صدر نظام تسجيل العلامات الفارقة عام

الكبرى بالجلس حق الفيتو أو الاعتراض، إذ أن ذلك إجراء من شأنه في هذه الحالة أن يعطل مشروع القرار المعروض على المجلس، وفي هذه الحالة يعرض المشروع على الجمعية العامة التي تضم مندوبي جميع الدول المستقلة، فإذا حصل موافقة ثلثي الأعضاء، أصبح المشروع قراراً.

القانون السعودي :



الكونجيس

١٣٥٨هـ/ ١٩٣٨م وذلك لحماية حقوق الشركات التجارية والصناعية السعودية في البضائع التي تنتجها حالياً أو تستوردها من الخارج، ولحفظ أصحاب تلك العلامات في البضائع التي تحمل علاماتهم بداعي صنعها أو الإبتناع بها أو عرضها للبيع، وتستمر حماية العلامة الفارقة بتسجيلها في وزارة المالية والاقتصاد الوطني لمدة خمسة عشر سنة قابلة للتجديد لمدة مماثلة.

الغدة النخامية :



قیمت

اصطلاح لایبی مورد اتفاق، و یکی من فرد اولیه
برایه فی وقت کد قابل صدور من جمله صحه حق فی
صدور ده ثواب، و قد شاهد اصطلاح دستوری من
حق محض همه فی عصر اروپائی الاول، فی وقت کد
تقریر فی صدور محض سبوح، و دلی و شاهد
و امثال من بیافته علم.

وقد سار الخليل في بعض حديث بأنه حتى يمكن
الكتابة وحده، باستخدام في وقت في نفس
الذبح، وهو متداول، ذلك لحركات الحركات المتداخلة
منه، وهو، إلا في أية منطقة تعني عن هذا،
من سبعة خمس حركات، و قد يكون
ذلك استخدام، فهو، ما قلنا عن الترويع،
أكثر من سبعة، بل، بل، لا استخدام، حتى يكون

(ل)

لسان الدين بن الخطيب:

عالم فقيه .. وأديب شاعر .. كان عالماً بالطب، وقد ساعده تبحره في اللغة العربية وفنونها على أن يكون كاتباً من كبار الكتاب فألف في كثير من العلوم والآداب، وكتب كثيراً من الرسائل السياسية والاخوانية والسلطانية، وكتب في التاريخ والأدب والاستعطاق، والوصف وغيرها. ورسائله غنية بمعلوماته في الأدب والتاريخ والعلوم. ولد في لوشة جنوبي غرناطة سنة ١٣١٣م واشتهر بلقب ذو الرياستين (الأدب والسياسة) وهو يعود في أصله إلى أسرة هاجرت من الشام، وقد قتل عام ١٣٧٤م. تناهز مؤلفاته الستين، ومعظمها في التاريخ وتخطيط البلدان والطب والأدب والشعر، ومن أشهرها (الإحاطة في تاريخ غرناطة).

(م)

المكتبة المحمودية:

يرجع إنشاء المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة إلى عام ١٢٣٧هـ وقد أنشأها السلطان العثماني محمود الثاني (١٢٢٣هـ - ١٢٢٥هـ) ضمن المدرسة التي أسسها في الجهة الغربية من المسجد النبوي الشريف، وبعد التوسعة التي أدخلت على المسجد النبوي.

وخصص للمكتبة مكان في الطابق العلوي من المسجد، وتشرف على المكتبة وزارة الحج والأوقاف، وتضم المكتبة مجموعات من الكتب المطبوعة تقدر بما يزيد على (٤,٠٠٠) مجلد و (٣,٠٠٠) مخطوط ويعود معظم المخطوطات التي بالمكتبة إلى وقت المرحوم محمد عابد السندي المحدث الشهير.

(ن)

نظام توزيع الأراضي البور:

صدر هذا النظام في رجب ٨٨هـ الموافق (١٩٦٨/٩/٢٨م) مستهدفاً تنظيم توزيع الأراضي البور في المملكة بصفة عامة، وقد تضمن هذا النظام عدة نقاط في أهمها: أن المساحة التي تعطى لغرض الاستئجار للفرد الواحد لإقامة مزرعة اقتصادية مساحتها ٥٠ دونماً كحد أدنى، ١٠٠

دونم كحد أعلى والمشاركات والمؤسسات ٤٠٠ دونم كما يستهدف النظام زيادة دخول المزارع وتحسين ظروفه المعيشية من جهة ومن جهة أخرى زيادة الرفعة الزراعية عن طريق استصلاح الأرض وإحيائها وإفساح المجال للرؤوس الأموال الخاصة باستئجار الأراضي، كما أن مدة الاستئجار ٢-٣ سنوات فإذا استثمرت الأرض خلال هذه المدة تملك له والا تسحب منه وتعطى لشخص آخر.

(و)

الواقدي:

عبدالله محمد بن عمر المدني المتوفي سنة ٢٠٧هـ، استاذ (ابن سعد) وأحد الأوائل الفاتحين الذين عونا بالمغازي والسير، ذكر له ابن النديم مؤلفات كثيرة منها (التاريخ والمغازي والبعث) ومنها (الطبقات)، وقال عنه (خلف الواقدي سبالة فطر كتباً، كل فطر منها حمل رجلين) والواقدي في مؤلفاته اقرب بعلم التاريخ القائم على الحديث، إلى الأسلوب التاريخي ومادته، وتقول دائرة المعارف الإسلامية «وتاريخ المغازي للواقدي هو وحده الذي حفظ كياناً بوضعه الأصلي». أما (الطبقات) فلا يعرف الكثير عنه شيئاً.

(هـ)

الهرمونات:

مواد كباوية ذات فاعلية كبيرة بمقادير ضئيلة، تفرزها الغدد الصماء وتختلف في هذا عن الفيتامينات التي لا يمكن للجسم تكوينها. ويلزم تناولها مع الطعام حتى إن البعض يطلق على الفيتامينات اسم (الهرمونات الخارجية).

وتلعب الهرمونات دورها على كافة أجهزة الجسم بينما تنحصر أهمية الفيتامين في المحافظة على حيوية الخلية فهي تلعب دورها في مستوى خلوي في البكتريا والإنسان.

وتيسر الهرمونات على المرحلة الأولى من عمليات التمثيل الغذائي في الجسم. حيث تؤثر على المواد البروتينية والكربوهيدراتية والدهنية، كل على حدة.

(ي)

ياردة:

وحدة طول تساوي ثلاثة أقدام أو ستة وثلاثون بوصة أو ٩١٤٣٨٣.٩٠٠ متر، وتستخدم في قياس طول القماش في بعض البلدان.

كتب وددت للمجلة

عام ١٩٧٢، وقد صدر هذا الكتاب عن الاتحاد القومي للفنون التشكيلية بتونس، بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) ومع الاتحاد العام للفنانين التشكيليين العرب. يقع في ٢١٣ صفحة من القطع الكبير.

العلم والتعلم

مجلة علمية تعليمية شعرية، تصدر في تونس تحت شعار «مجلة التربية القومية الأصيلة» بإشراف الأستاذ أحمد الشرفي، وتقع في ٣٢ صفحة من القطع الصغير. وقد ورد منها العدد السابع من السنة الأولى عام ١٩٧٦ والعددان الثامن والتاسع من السنة الثانية ١٩٧٦.

عراصة الخصوم

مسرحية نثرية للاديب السوري علي عقلة عرسان، تقع في ١٢٦ صفحة من القطع الصغير، وصدرت عن اتحاد

«وددت للمجلة هذه الطائفة من الكتب في مختلف مجالات المعرفة الانسانية والمجلة ترحب بكل عطاء ثقافي جديد من شأنه ان يفتح امام القاري آفاقاً اوسع وارحب وابعد مدى».

ابو القاسم الشابي حياته وشعره

الكتاب الاول في مكتبة الشابي. وهي سلسلة من الكتب والدراسات الحية عن أدب الشابي وحياته وآثاره وعصره. تأليف واشرف الاستاذ أبو القاسم محمد كرو. يقع في ٢٨٧ صفحة من القطع المتوسط الناشر: الشركة التونسية للتوزيع. قرطاج - تونس.

صفد في التاريخ

دراسة واقية في تاريخ مدينة (صفد) العربية من أقدم العصور حتى الوقت الحاضر، مع صفحات خالدة من تاريخ الآباء والأجداد وكفاح الأبناء والأحفاد، تأليف: محمود العابدي يقع في ٣٢٤ صفحة من القطع الكبير عام ١٩٧٧ عان - الأردن.

خلاصة تاريخ تونس

مختصر يشمل ذكر حوادث القطر التونسي من أقدم العصور الى الزمان الحاضر،

وهو الطبعة الخامسة من هذا الكتاب، التي صدرت بعد وفاة مؤلفها العلامة حسن حسي عبد الوهاب، يقع في ٢٤٧ صفحة من القطع الكبير، الناشر: الدار التونسية للنشر عام ١٩٧٦.

التراث الموسيقي التونسي

السفر السادس ويتناول الموسيقى التونسية خلال قرن مضى، تأليف الدكتور بله حسن فرزه، ويقع في ٨٨ صفحة من القطع الكبير، السفر السابع، ويتناول حياة وآثار شيخ الفنانين التونسيين

المرحوم خميس ترنان الملقب بصاحب الصوت الرنان، والذي يعد ركنا من أركان الموسيقى العربية، تأليف: صالح المهدي ويقع في ١٠٠ صفحة من القطع الكبير، الناشر: ادارة الموسيقى والفنون الشعبية بالجمهورية التونسية.

الملتقى العربي في الانطاخ المعاصرة

للفنون التشكيلية العربية

تسجيل شامل لمؤتمر الفنون التشكيلية الذي عقد بالحمادات في الفترة من ٤ الى ١١ سبتمبر

كتب ورصدت للمجلة

الكتاب العرب بدمشق عام
١٩٧٦.

أقبل الزمن المستحيل

ديوان من الشعر للشاعر السوري ممدوح عدوان، مع مقدمة للاستاذ ناجي علوش الأمين العام لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين، يقع في ١٠٣ صفحة من القطع الصغير، الناشر الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين.

مختارات أبي شرف

مجموعة مقالات يومية في الأدب والاجتماع والدين، نشرت تباعاً في السودان الجديد، وصدرت طبعتها الثانية في هذا الكتاب، للاستاذ مصطفى أبو شرف، مع تصدير بقلم فقيده الصحافة السودانية احمد يوسف هاشم يقع في ١٩٧ صفحة من القطع الكبير، الناشر: مطبعة التمدن.

المكتبة الصغيرة

في سلسلة المكتبة الصغيرة التي يصدرها ويشرف عليها الاستاذ الأدب عبد العزيز الرفاعي، صدر العدد (١٩) بعنوان «صرار بن الأزور» الصحابي، الفارس، الشاعر، وهو دراسة في صفات هذه الشخصية المثيرة التي لازم صاحبها البطل القائد خالد بن الوليد، كتبها باسلوبه الأدبي متبها أخبارها في بطون الكتب، الأستاذ عبد العزيز الرفاعي يقع في ٩٣ صفحة من القطع الصغير. وفي نفس السلسلة ايضا صدر العدد (٢٠) بعنوان «قاطع الطريق» وهو عبارة عن قصة شعرية من الشعر العربي الفصيح، للشاعر السعودي الاستاذ أحمد قنديل، يقع في ٧٩ صفحة من القطع الصغير.

رسوم على الحائط

ديوان من الشعر الجديد للشاعر السعودي سعد الحميد، يحتوي على (١٨) قصيدة نشرت بين عامي ١٩٦٦-١٩٧٧م، وهي تمثل باكورة حصاد الشاعر في حقل الابداع الشعري، يقع في ١٦٣ صفحة من القطع المتوسط، الناشر: منشورات دار الوطن بالرياض.

مشاهير نجد وغيرهم

دراسة تاريخية تقع في ٥٤٣ صفحة من القطع المتوسط، يعرض فيها مؤلف الكتاب الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف ابن عبد الله آل الشيخ لترجمة حياة مائة من مشاهير نجد وغيرها. وفي مقدمة الكتاب يقول الشيخ حسن بن عبد الله آل الشيخ ان المؤلف يدافع من حبه هذه الجزيرة وعلمائها، فقد

عكف على جمع هذه التراجيم (للعلماء) في محاولة للإبقاء على ذكراهم، وتسجيل جهودهم ومآثرهم العلمية وكفاحهم في الدعوة الى الله. وقد نشر الكتاب باشراف دار البائة للبحث والترجمة والنشر.

ابن مقرب حياته وسفره

دراسة تاريخية لحياة شاعر عربي، نشأ في بلدة العيون بمنطقة الاحساء وترعرع في ربوع البحرين، له قصائد في كافة أغراض الشعر. كما ناقش الكتاب، الذي ألفه الاستاذ عمران محمد العمران، تاريخ هذا الشاعر الذي ظل مغموط الحق من قبل الدارسين والباحثين يقع الكتاب في ١٨٣ صفحة من القطع المتوسط - الناشر مطابع الرياض.